

د. فرست مرعي

فصول من تاريخ
يهود كوردستان

فصول من تـاريخ يهود كوردستـان



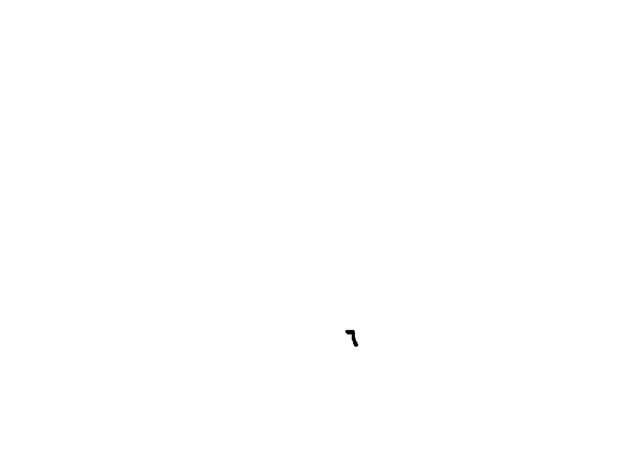
حكومة اقليم كوردستان
وزارة الثقافة و الشباب
المديرية العامة للإعلام والطباعة والنشر
مديرية الطباعة والنشر – دهوك

- اسم الكتاب: فصول من تاريخ يهود كوردستان
- الموضوع: تاريخ
- المؤلف: د. فرست مرعي اسماعيل
- تصميم: نازدار احمد جزراوي
- تصميم الغلاف: گوهدار صلاح الدين
- حجم الكتاب: ١٥ × ٢٢
- عدد الصفحات: ١٩٤
- السعر: ٣٠٠٠
- عدد النسخ: ٥٠٠
- التسلسل: ٦٢
- الطبعة الأولى
- رقم الايداع: ٢١٢٦ سنة ٢٠١٣
- المطبعة: مطبعة محافظة دهوك ـ دهوك – كوردستان

فصول من
تاريخ يهود كوردستان

د. فرست مرعی

الفهرست



مقدمة

مما لاشك فيه ان لليهود جذور تاريخية قديمة و تراث لا يستهان به في العراق وكوردستان، وهذا يرجع بدوره الى تراكمات تاريخية وثقافية تركت اثارها في البنية الفكرية والاجتماعية والثقافية للتراثين العراقي والكوردستاني.

فالسبييّن الاشوري والبابلي ٧٢١ – ٧٢٢ ق.م و ٥٨٦ ق.م لليهود في المملكتين اليهوديتن الشمالية (الإسرائيلية) والجنوبية (يهودا) الى العراق وكوردستان، جعل من الضروري الالتفات الى تاريخ هذا الشعب الذي سكن هذه البقاع والبحث من جديد عن جذوره و تراثه و هويته، ناهيك عن علاقته بالمحيط المكون له وللمجموعات الأخرى التي تخالفه في العرق و الهوية، ولكن تجمعهم علاقات الجيرة والتواصل المشترك والمصير الواحد.

وانطلاقا مما تقدم، فقد حاولت الاسهام بقدر الإمكان في بيان بعض الحقائق التي كان لها تأثير في تكوين وبلورة البنية الذهنية والثقافية

لهذه الطائفة (اليهود) ومدى اسهامها في صياغة الكثير من المفاهيم والتصورات ضمن المجتمعين العراقي والكوردستاني.

وكان للمؤرخين والانثروبولوجيين اليهود دور كبير في بيان وتوضيح الفروق بين يهود العراق ويهود كوردستان من النواحي الاجتماعية والثقافية تبعا للظروف البيئية والاجتماعية السائدة، وليس راجعا الى التطورات الدراماتيكية التي حدثت في العراق بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م وما تلاها من انتفاضة وهجرة مليونية للشعب الكوردي الى تركيا وإيران.

يتضمن هذا الكتاب عدة أبحاث ودراسات ومقالات تاريخية ودينية واجتماعية كتبت في حقب متباعدة حول يهود كوردستان والعراق، بهدف القاء الضوء على الجذور التاريخية لليهود الكورد وكيفية استقرارهم في جبال ووديان كوردستان بعد قضاء الأشوريين بقيادة ملكهم سرجون الثاني على المملكة الإسرائيلية (الشمالية) واحتلال عاصمتها (شكيم – يونو بوليس – نابلس) عام ٧٢١ – ٧٢٢ ق.م و سبي سكانها اليهود الى ضفاف نهر البليخ والخابور في شمال سوريا الى جبال ميديا (كوردستان الحالية).

بعدها كثرت الدراسات عن بعض الحركات الدينية اليهودية وتأثيرها على جيرانهم الكورد متصديا للعلاقة الجدلية المتراكمة طوال فترة ٢٧٠٠ سنة بين الكوردي المسلم والكوردي اليهودي والتي افرزت بالنتيجة مجتمعا يهوديا كورديا تقاسم الكثير من أواصر الجيرة والتعاون والمصير.

وفي نفس السياق فأن هناك عدد من الباحثين والمؤرخين ينفون تلك العلاقة بين الكورد واليهود بحجة إرجاع الجذور العرقية اليهودية الى محتد (اصل) سامي، وينسون مسيرة ٢٧٠٠ عام بين الجانبين التي أرست قواعد مشتركة تركت اثارها في البنية الاجتماعية و الثقافية والوجدانية ما بين المجموعتين. وهذا ما بدا واضحا عند الكورد اليهود في إسرائيل عند احتفالهم بالاعياد و المناسبات الكوردية و رفع العلم الكوردي وارتداء الزي الكوردي التقليدي، بعكس مجموعات أخرى عايشت الكورد حقبا طويلة ولكن القواسم المشتركة ما بين الجانبين تكاد تتلاشى بمرور الزمن، إنها ولعمري مفارقة؟

وختاما أرجو الله العلي القدير

أن يلهمنا الرشاد والسداد

ومن الله التوفيق

دهـــــــوك

٤ /٢٠١٣/٧م

(١)

الصراع الآشوري – المصري على المملكة الشمالية (إسرائيل)

مقدمة

إن أقدم وجود لليهود في العراق عامة وإقليم كردستان خاصة، يرجع دون شك إلى عهد الإمبراطورية الآشورية الذي دام ثلاثة قرون كاملة من سنة ٩١١ لغاية ٦١٢ق.م، وذلك حين حرر الآشوريون فلسطين من اليهود في عدة حملات عسكرية منظمة قاموا بها ضد الممالك الإسرائيلية المغتصبة لأرض فلسطين، تمكنوا خلالها من جلب عدة آلاف من اليهود كأسرى، وتم إسكانهم في أراضي شمال العراق وسوريا.

لذلك من الأهمية بمكان البحث عن دور الآشوريين في إعادة صياغة خارطة الشرق الأدنى القديم من جديد، بعد أن تمكنوا من إخضاع غالبية الدول والممالك المجاورة لهم والمعاصرة لحكمهم من المانئين والاورارتيين والميديين والآراميين وغيرهم من الأقوام لحكمهم.

وفي موضوع بحثنا" تمكن الآشوريون من القضاء على مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية) نهائياً، ومن تحطيم مملكة يهودا (المملكة الجنوبية)، وجعلها فريسة

سهلة لإسلافهم البابليين حينما قضوا عليها نهائياً سنة ٥٨٦ق.م في عهد عائلها الملك نبوخذنصر الكلداني، لذلك بعد سقوط نظام صدام حسين في نيسان عام ٢٠٠٣م، سجد حاخامات إسرائيل شكراً لإلههم (يهوه) على سقوط بابل (عاصمة العراق زمن السبي البابلي).أي بعبارة أخرى، إن العراقيين القدماء من الأشوريين والكلدانيين البابليين هم من اسقطوا الممالك الإسرائيلية الواحدة تلو الأخرى، حرروا بلاد كنعان (= فلسطين) من الاحتلال الإسرائيلي (=العبراني). وفي اعتقاد الباحث أن إحدى أسباب الحرب على العراق واحتلاله وتدميره هو الانتقام منهم بسبب قيام أسلافهم بالقضاء على الدويلات العبرانية، بالإضافة إلى أسباب أخرى لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

ظهور الآشوريين

الأشوريون من الأقوام السامية (الجزرية) القديمة، أي المتكلمين إحدى لغات العائلة السامية، وهي السامية الشرقية التي كانت تسمى باللغة الأكدية، وفرعها الثاني هو اللغة البابلية، حيث تفرعت الأكدية (الأم) إلى هذين الفرعين في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد . وقد هاجر هؤلاء في البداية من شبه الجزيرة العربية، واتجهوا نحو بادية الشام و بادية العراق وما بين النهرين، كما كان الحال مع الاموريين، ثم رحلوا في زمن ما من الألف الرابع أو مطلع الألف الثالث قبل الميلاد إلى موطنهم في شمال شرق العراق. وقد ذهب بعض الباحثين، ولاسيما القدامى إلى أن الأشوريين نزحوا من موطنهم من الجنوب، أي من بلاد بابل في زمن ما لعله إبان

الهجرة الأولى للساميين إلى وادي الرافدين، فكان الاكديون في الجنوب، ثم هاجر قسم من هؤلاء الساميين وهم الآشوريون إلى الشمال.[1]

ينسب الأشوريون إلى إلههم القومي (آشور)، أو إلى أولى عواصمهم (آشور) التي تقع على بعد بضعة كيلومترات من قلعة (مدينة الشرقاط) الواقعة على بعد ١٢٠ كم جنوب مدينة الموصل[2]، ولا يعلم بوجه التأكيد أيهما أصل للأخر، على انه يجوز الوجهان فان نسبة السكان والأقوام إلى المدن استعمال مألوف مثل الأكديين نسبة إلى مدينة أكد، والبابليين نسبة إلى مدينة بابل.

وقد سبق الأشوريين في استيطان القسم الشمالي من العراق أقوام جاء ذكرها في المصادر المسمارية على هيئة (السوباريين) أو (السوبارتيين)، وعند مجيء الأقوام الأشورية في مطلع الألف الثالث قل الميلاد، غلب العنصر الأشوري على المنطقة وامتزج السكان المحليون بالعنصر الجديد، وشاع استخدام مصطلح بلاد (آشور) و (الأشوريين) للدلالة على المنطقة والسكان منذ ذلك التاريخ وحتى نهاية كيان الأشوريين السياسي في نهاية القرن السابع الميلادي على يد التحالف الميدي- الكلداني.

تتمثل بلاد آشور الأصلية بالقسم الشمالي من العراق، غير أن حدود الدولة الأشورية كانت تتغير تبعاً للتغيرات السياسية، وتبعاً لقوة أو ضعف الحكومة

---

(١) العهد القديم، التوراة، سفر التكوين، الاصحاح ١٠ – ١١ .

(٢) وللأشوريين عدة عواصم أخرى منها: مدينة كالح (نمرود) الواقعة شرقي نهر دجلة على بعد ٣٠كم جنوب شرق مدينة نينوى، والأخرى مدينة نينوى الواقعة في الضفة الشرقية لنهر دجلة مقابل مدينة الموصل الحالية، والعاصمة الرابعة هي مدينة خرس باد التي أنشأها الملك الأشوري سرجون، وتقع على بعد ٢٠ كم شمال شرق مدينة نينوى (=الموصل الحالية)، ينظر، هاري بورتر: موسوعة مختصر التاريخ القديم (القاهرة، مكتبة مدبولي،١٩٩١)، ص٤٨-٤٩.

المركزيـة في بـلاد آشـور، وقـد وصـلت حـدود الدولـة الآشـورية أحيانـا إلى مصـر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وبلاد عيلام (=إيران الحالية)، بينما اقتصـرت في أحيانٍ أخرى على بلاد آشور الأصلية فقط.

وقد مرت علي بلاد آشور عدة أطوار، يمكن إيجازها بما يلي:

١- عصور قبل التاريخ.

٢- عصر التبعية السومرية الأكدية (٢٥٠٠؟-٢٠٠٠ق.م تقريباً)

٣- العصر الاشورى القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ق.م)

٤- العصر الاشورى الوسيط (١٥٠٠-٩١١ق.م)

٥- العصر الاشورى الحديث (٩١١-٦١٢ق.م)

أ- الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ق.م)

ب- الإمبراطوريـة الآشـورية الثانيـة (٧٤٤-٦١٢ق.م) وبضـمتها السـلالة السرجونية (٧١٢-٦١٢ق.م)

وكانت أشور قبل كل شيء قوة عسكرية، وكانت شهرتها ترجع أولا إلى ما كـان يتحلى بها جيشها من حظ كبير من التنظيم والتماسك.

ظهور الإمبراطورية المصرية

تحتل مصر موقعا استراتيجيا هاما بالنسبة لبلدان الشرق الأدنى القديم وتتمتع بطبيعة جغرافية آثرت في حياة القطـر المصري القـديم ومسـيرة حضـارته، فوقـوع مصر عند التقاء آسيا بأفريقيا قريبا من سواحل أوربا الجنوبية، وامتداد سـواحلها على طول شواطئ بحـرين مهمـين همـا البحـر الأبـيض المتوسـط والبحـر الأحمـر، أكسبا مصر أهمية خاصة وسمحا لها الاتصال حضاريا منذ وقت مبكر مع مـواطن

الحضارات القديمة الأخرى، وفي مقدمتها العراق وسوريا وفلسطين وكريت وبلاد اليونان[1].

كما كان لهذا الموقع أثره في تدفق القبائل العربية القديمة القاطنة في شبه الجزيرة العربية إلي مصر السفلى عن طريق سيناء منذ وقت مبكر أيضا، وكانت أهم الهجرات التي وفدت مصر عن هذا الطريق هي هجرة القبائل التي عرفت في المصادر القديمة باسم الهكسوس[2].

وأهم ما يميز مصرفي جغرافيها وتاريخها، نهرها العظيم (النيل) مصدر الحياة والخصب ،بحيث يصح القول مع المؤرخ هيرودوت المأثور: (إن مصر هبة النيل)[3].

---

(١) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (بغداد، جامعة بغداد،١٩٧٩)، ص ١٩٧.

(٢) الهكسوس: إن كلمة الهكسوس ووفقاً للتفسيرات المتعددة هي الصيغة اليونانية للعبارة المصرية حقا (خاسوت) بمعنى أمير البلاد الأجنبية، أو أمراء العامة، وتدرج هذه العبارة الشعوب الأسيوية التي ترجع في أغلبيتها إلى الأصل السامي مع اختلاطها ببعض العناصر الحورية، وهم الذين اكتسحوا مملكة الدلتا الشرقية التي أسسها (نحسي) Nehesy، وانتشر فيها أعداد غفيرة من الأسيويين. وانطلاقاً من هذه المملكة ومن عاصمتها (أفاريس Aviaries)، استطاع (سليتس Salitis) زعيم الهكسوس أن يفرض سيطرته على مصر، وتم تتويجه كملك في مدينة (منف) حوالي عام ١٦٥٠ق.م. وقد استمر حكم الهكسوس لمصر ما يقرب من مائة عام (١٦٥٠-١٥٣٩ق.م). ينظر باسكال فيرنوس وجان يويوت: موسوعة الفراعنة الأسماء- الأماكن – الموضوعات، ترجمة محمود ماهر طه (القاهرة/ الفكر للدراسات،٢٠٠١)، ص ٢٦٩-٢٧١.

(٣) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد، د.م،١٩٥٦)، ج٢، ص ٤" وكلمة النيل ليست من أصل مصري قديم، والمرجح إنها من الكلمات السامية القديمة المشتقة من "نهر" أو "نهل" أو"نخل" (إبدال الراء لاما) فصارت الكلمة الثانية بصيغة "نيل" ومنها الكلمة اليونانية (Neilos) واللاتينية (Nilus). أما المصريون القدماء فقد سموا نهر النيل، وكذلك الإله الخاص بنهر النيل باسم" حعف" أو "حعفي"، وفي الأزمان المتأخرة صار يلفظ بهيئة (هوفي وأوفي وجوفي). ينظر المرجع نفسه الهامش (١).

لقد ساعدت الوثائق المكتوبة التي خلفها لنا المصريون القدماء علي ضبط أدوار التأريخ في حضارة وادي النيل، وأشهر هذه الوثائق التاريخية المدونة – إثبات سلالات الملوك المصريين – الذين جمعهم الكاهن المصري (منيثو) حيث ألفها باليونانية في عهد البطالمة (البطالسة) في مصر في القرن الثالث ق.م (في عهد الملك بطليموس فيلادلفوس).

لقد قسم (منيثو) فراعنة مصر والسلالات التي حكمت منذ أول سلالة إلي نهاية التأريخ المصري إلي (٣١) سلالة، وقد اتبع تقسيمه جمع الباحثين المحدثين، ولكن لما كانت نهاية كل سلالة لا تتميز علي الدوام بتغييرات سياسية بارزة وتطورات حضارية أو فنية متميزة، فقد ارتأى الباحثون في التاريخ المصري تقسيم تاريخ العصر القديم إلي عصور ما قبل التاريخ بثلاثة عصور كبرى تتميز بأكثر من وجه واحد من النواحي السياسية والفنية والاجتماعية، والمتفق علية أن هناك ثلاثة عصور كبري رئيسية مع فترات اضطراب سياسي تفصل مابين بعضها، وهي :

أولا: عصور ما قبل التاريخ

ثانيا: عصر المملكة القديمة

أ– بداية السلالات (٣١٠٠– ق.م) للسلالة الأولي والسلالة الثانية.

ب– عصر الأهرام (٢٧٨٠–٢٢٧٠ق.م) (السلالات من ٣ إلى ٦).

ثالثا: عصر النبلاء وأمراء الإقطاع (الفترة المظلمة الأولى (٢٢٧٠–٢١٠٠ق.م)، ويشمل السلالات من ٧ الى١٠.

رابعا: عصر المملكة الوسطى (٢١٠٠–١٧٨٨ق.م)، ويشمل السلالتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

خامسا: عصر الهكسوس (الفترة المظلمة الثانية)) (١٧٨٨-١٥٧٣ق.م)، ويشمل السلالات (١٣الي١٧).

سادسا: عصر المملكة الحديثة (عهد الإمبراطورية) (١٥٧٣-١٠٨٥ق.م).

سابعا: عصر المملكة الأخيرة (عهد الضعف والتدهور) (١٠٩٠-٦٦٣ق.م)، ويشمل السلالات الحادية والعشرين والثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة العشرين والخامسة والعشرين[١].

الصراع الآشوري – المصري على بلاد كنعان (فلسطين)

في منتصف الألف الثاني قل الميلاد، بدت تطفو على السطح شكة من العلاقات الدولية بين ممالك الشرق الأدنى. فبعد أن تمكنت الأقوام الهندو – أوربية (الكاشية – الكاسية) من احتلال بابل عاصمة المملكة البابلية القديمة عام ١٥٠٠ق.م، وتأسيس سلالة خاصة بهم (كاردونياش) لمدة نيف وخمسة قرون، تمكنت الحضارة البابلية من احتواء هؤلاء الأقوام غير الساميين في بوتقتها، مثلما فعل الإغريق بالرومان فيما بعد، لان المستوى الحضاري للبابليين كان أرقى من هؤلاء الأقوام الهندو أوربية.

أما في مصر فبعد أن حكم الهكسوس في الدلتا (مصر السفلى) أكثر من قرن، ثار عليهم آخر نبلاء الأسرة السابعة عشرة وتم طردهم وتحرير البلاد منهم بقيام السلالة الثامنة عشرة. ولم يكتف ملوك هذه السلالة بطردهم بل لاحقوهم إلى بلاد كنعان (فلسطين) وسوريا التي غزا منه الهكسوس البلاد المصرية، فنتج عن ذلك

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص١٤- ١٧،

تكوين الإمبراطورية المصرية، وبدأ طور جديد في تأريخ الشرق الأدنى، انمحت فيه الحواجز في العالم القديم واتصلت الشعوب بعضها ببعض ودخلت في علاقات مباشرة، وتكونت بين الدول صلات دبلوماسية هي الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات الدولية، ودخلت الحضارة في طور عالمي في أكثر مظاهرها وأوجهها.

وتتميز العلاقات في هذا العهد بسعتها وشمولها بكثرة النصوص والوثائق التاريخية، مما جاءتنا من السجلات الرسمية الملوكية، ولا سيما من مصر، ومن عاصمة المملكة الحيثية (الخاتية – الهيتية) حاتوشاش (قرب بوغازكوي الواقعة شرق أنقرة)، وقد اشتهرت الرسائل الرسمية التي عثر عليها في تل العمارنة Amarna عاصمة الفرعون أمنحوتب الرابع (أخناتون) شهرة عظيمة بحيث أطلق (اسم العمارنة)(١) على قسم من العهد التاريخي.

ففي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد كانت هناك خمس قوى دولية تسيطر على منطقة الشرق الأدنى القديم، وهي:

١- المملكة المصرية

---

(١) العمارنة : اشتقت هذه الكلمة العربية من اسم قبيلة عمران التي استقرت في هذا الموقع (من مصر الوسطى) خلال العصور الإسلامية، واسم تل العمارنة الدارج غير صحيح من حيث الدراسة اللغوية للموقع، فهو يستخدم عادة للإشارة إلى العاصمة التي أسسها الملك (أمنحوتب الرابع) الذي أصبح يسمى فيما بعد بأخناتون، وكان ذلك حوالي ١٣٤٩ق.م. كما أن صفة العمارنة هي نسبة للديانة التي نادى بها أخناتون. فبعد ما يقرن من أربع سنوات من مناداة الملك بعقيدته وبالأسلوب الفني الجديد قرر وبوحي من الإله " آتون" أن يحدد عند أعالي "هرمو بوليس Thermopolis" منطقة شاسعة مترامية الأطراف تقع بين سفحي جبلين، تحدها حوالي اثنتي عشرة لوحة من حجر الصوان دونت عليها ذكرى أول زيارة لهذا الموقع (في العام الرابع لحكمه)، واستلامه (في العام السادس لحكمه)، وتأكيداً لتأسيس هذه المدينة نهائيا (في العام الثامن) والتي حملت اسم اخناتون أي أفق قرص الشمس، ومما يعرف أن سكان هذه المدينة وأرضها وكل مواردها وضعت في خدمة الشمس. ينظر : موسوعة الفراعنة، المرجع السابق، ص١٩٨-٢٠٠.

٢- المملكة الحيثية

٣- المملكة الكاشية

٤- الدولة الميتانية

٥- الدولة الأشورية

وكانت الإمبراطورية المصرية في عز قوتها منذ حكم السلالة الثامنة عشرة (في القرن السادس عشر ق.م)، وينتهي بزوال تلك الإمبراطورية بعد عهد الفرعون رعمسيس الثاني (وهو آخر عاهل قوي في السلالة العشرين) في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وتميز هذا العهد بتعاظم قوة الأشوريين بعد أن ضعفت الدولة الكاشية في بابل، وهذا ما جعلهم يلتزمون الحياد ويركنون إلى صداقة الدولة المصرية والحيثية على حد سواء.

أما الدولة الميتانية التي عرفها المصريون باسم (نهاري- نهارينا)، وعرفها الأشوريون باسم "خانيكلبات" (Khanigalbat) فكانت دولة صغيرة واقعة في شمال غرب العراق وشمال سورية" وبمثابة دولة حاجزة ومفتاح للتنازع بين المصريين والحيثيين في بلاد الشام[1].

وانضم إلى الدول المتنافسة: الأشوريون الذين كانوا يخشون ضغط الدولة الميتانية وتوسعها على حسابهم. وقد رأت مصر تجاه خطر الحيثيين والأشوريين أن تكسب صداقة الدولة الميتانية، فكانت بين الطرفين مصاهرات سياسية، ولكن ذلك لم يخلص الميتانيين من تدخل الحيثيين والأشوريين، ففرض الحيثيون أولاً

---

(١) كانت مناطق نفوذ الدولة الميتانية تقع بالضبط في المثلث الواقع بين الممالك الثلاثة المصرية، والحيثية، والأشورية، ولا يزال موقع عاصمته (وشوكاني- رأس العين) مجهولاً، ويعتقد بعض الباحثين، بأنه يقع على الحدود السورية — التركية شمال شرق مدينة حلب.

حمايتهم على الدولة الميتانية بعد انقسام في البيت المالك فيها، ثم قضى الآشوريون عليها عام ١٤٦٥ق.م عندما صفا الجو السياسي لهم بعد الحيثيين[١].

الصراع المصري – الحيثي على سورية وبلاد كنعان (فلسطين)

كانت المملكة الحيثية ترنو بأنظارها إلى سورية وفينيقية وبلاد كنعان (فلسطين) من أجل الاستحواذ عليها لموقعها الاستراتيجي وكثرة خيراتها، وحانت هذه الفرصة لهم في نهاية حكم الفرعون المصري (أمنحوتب الثالث) في حدود سنة ١٣٩٠ أو ١٣٩٠ق.م، حيث خلفه على العرش المصري (أمنحوتب الرابع) "أخناتون" الذي شغلته ثورته الدينية (التوحيدية) عن شؤون الملك في الداخل والخارج، ولكن في الجانب الآخر اعتلى العرش الحيثي ملك هو (شوبيلوليوما) كان على جانب كبير من المقدرة والدهاء.

وتجدر الإشارة إلى أنه في سنة ١٨٧٧م عثر بين أنقاض مدينة أخناتون " تل العمارنة" على جزء من محفوظات أو سجلات ما يسمى بوزارة الخارجية زمن الملكين أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع (أخناتون)، ومعظمها رسائل من ملوك

---

(١) لقد بقيت الدولة الأشورية تتمتع بحياتها السياسية ولو كان ذلك تحت حماية أهم دولة حورية هي المملكة الميتانية، وبذلك أصبحت دولة مغلوبة على أمرها وظلاً تابعاً للمملكة الميتانية، بيد أنها استطاعت منذ ١٤٠٠ق.م الاستقلال تبعاً لموهبتها السياسية وقوتها العسكرية، وتمكنت حتى من تبوأ مركز قيادي في الشرق الأدنى جنبا إلى جنب مع الشعب الحيثي, ينظر: أنطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وآخرون (دمشق، د.ن، د.م)،ص ١٧٧" أما الباحث العراقي طه باقر، فيذكر بأن الملك الميتاني (سوشتار) غزا بلاد آشور نفسها في القرن الخامس عشر، والملك الآشوري"آشور أوبا لط (١٣٦٢–١٣٣٧ق.م) قضى على دولتهم، ولعل القرن الخامس عشر تصحيف، والصحيح ما أثبته. ينظر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١،ص١٠٠–١٠١.

آشور وسورية وفلسطين وآسيا الصغرى إلى ملك مصر، ويضمنها رسائل استغاثة لبعض الملوك والأمراء تطلب من الملك أخناتون أن يسارع إلى نجدتهم قبل أن يقعوا في قبضة الملوك الحيثيين وأتباعهم[(١)].

وقد بدأ الملك الحيثي (شوبيلوليوما) نزاعه مع مصر على سيادة بلاد الشام سوريا وفلسطين بإثارة المعارضين من أمراء سوريا للنفوذ المصري، ثم بدأت من بعد ذلك بين الطرفين حروب ومعارك زهاء القرن الواحد (١٣٨٠–١٢٧٨ق.م)، آخرها المعركة الشهيرة التي وقعت في موقع (قادش)١١ في سوريا بين الفرعون المصري (رعمسيس) الثاني والحيثيين مع حلفائهم السوريين، وعلى الرغم من أن المعركة لم تكن حاسمة فان الإعياء الذي أصاب الجانبين وخوف الحيثيين من خطر التوسع الآشوري الذي داهمهم في زمن الملك الآشوري (شيلمنصر الأول)١٢٧٤–١٢٤٥ق.م" كل ذلك عمل على وقف النزاع المسلح وعقد معاهدة صداقة بين الفرعون (رعمسيس الثاني) والملك الحيثي (حاتوسيل) في حدود سنة ١٢٧٨ق.م، تنطوي في مضامينها على إحلال الصداقة والتعاون وعدم الاعتداء بين المصريين والحيثيين، وقد تزوج على إثرها الفرعون المصري بأميرة حيثية هي ابنة الملك حاتوسيل بعد أن ماتت زوجته الملكة (نفرتا ري) [(٢)].

---

(١) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم (سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، د.م،١٩٩٢)، ص٢١٦.

(٢) احمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – مصر . العراق . إيران (بيروت، دار النهضة العربية،١٩٨٩).ص ١٦٦" أسامة خالد: معالم تاريخ مصر الفرعونية منذ عصر الأسرة الواحد والعشرين حتى نهاية عصر الأسرة الثلاثون (الإسكندرية، دار الوفاء،٢٠٠٨)،ص ١٢٢" وكان الفرعون المصري أمنحوتب الثالث قد تزوج من ابنة الملك الميتاني (شوتارنا). طه باقر: مقدمة تاريخ الحضارات القديمة –الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين (بيروت، دار الوراق،٢٠٠٩)،ج١، ص٥٣٥.

وكان من نتائج هذه المعركة الاعتراف بالسيادة الحيثية على سوريا وفينيقيا الجنوبية (الساحل اللبناني الى حدود عكا الفلسطينية)، والاعتراف بسيادة مصر على بلاد كنعان (فلسطين)، ولبنان، وجزء من سوريا. ولكن هذا السلم لم يستمر طويلاً، إذ حل اضطراب جديد في منطقة الشرق الأدنى، مبعثه هجرة الأقوام الهندو أوربية التي أزاحت موجات أخرى من الأقوام ودفعت بهم إلى أقطار الشرق الأدنى، فقد أزاحت القبائل الإغريقية (الآخيون) الإيجيين والكريتيين في مواطنهم في جزر بحر إيجة ومنها كريت، واندفعت فلول هؤلاء إلى سواحل مصر وبلاد كنعان وسوريا، فغزت بعض المدن الفينيقية مثل جبيل وأوغاريت، وهدد قسم منهم الحدود البرية (سيناء والبحرية (الدلتا) لمصر، مما أضطر الفرعون المصري (رعمسيس الثالث– أول ملوك السلالة العشرين) إلى الاشتباك معهم بمعارك برية وبحرية لدرء الخطر عن أبواب مصر[(١)].

ومن النتائج الخطيرة لتلك الهجرات هي تحطيم المملكة الحيثية وإزالتها من الوجود (في حدود ١٢٠٠ق.م)، والقضاء على الحضارة الإغريقية في طروادة، وتمكن قسم من هؤلاء (فلول الإيجيين)، وهم الفلسطينيون المذكورون في العهد القديم من الوصول إلى ساحل بلاد كنعان الملاصق لشبه جزيرة سيناء، من تأسيس دويلات في بعض مدن بلاد كنعان الساحلية كغزة وعسقلان وأشد ود وغيرها، واشتق اسم فلسطين لاحقاً من اسم هؤلاء المهاجرين[(٢)].

---

(١) احمد سليم : المرجع السابق، ص١٧٣–١٧٤.

(٢) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، ص٢١٨" احمد سليم: المرجع السابق، ١٧٤.

وما زاد من اضطراب الأحوال قبل هذا الزمن مجيء هجرات أخرى من القبائل السامية وهم:الآراميون والعبرانيون، وقد بدأ الآراميون يثبتون أقدامهم في ربوع الشرق الأدنى، ودخلوا في نزاع رهيب مع أبناء عمومتهم الآشوريين شغل طوال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، وقد كاد يقضي على كيان الآشوريين" لولا قوتهم وتماسكهم الجيد وشجاعة وبراعة ملوكهم[١] .

سيطرة بني إسرائيل على بلاد كنعان (فلسطين)

هناك خلاف كبير بين المؤرخين والباحثين المحدثين، حول تاريخ ظهور نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) بين التوراة التي تقدرها بحوالي ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد، وبين المصادر التاريخية التي تحددها ب ١٨٠٠ إلى ١٩٠٠عام قبل الميلاد[٢] .

وبخصوص أصل إبراهيم الخليل، فان التوراة عندما تؤكد انتمائه إلى العبرانيين، فإنها تقصد به الشعوب من شبه الجزيرة العربية البدوية التي ربما تنتمي إلى القبائل الآرامية[٣]، وبهذا المعنى جاءت كلمة "عبيرو" التي عثر عليها في النصوص المصرية والتي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد،

---

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٣٤٥.

(٢) احمد سوسة : مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ (الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام،١٩٨١)،ص ٥٢٤ –٥٢٥ .

(٣) ج.م.ر. روبرت سون: موجز تاريخ العالم، ترجمة فارس قطان (دمشق، منشورات وزارة الثقافة،٢٠٠٤)، ج١،ص١٨٧.

وفي بعض المصادر في القرن الثالث عشر[1]. ويعترف (جورج بوست) بأن لقب أبرام العبراني لم يقصد به الإسرائيلي وإنما يمكن تأويله على حد تعبيره بإبرام السائح أو المهاجر، ويؤيد ذلك المستشرق (ثورير ثوردارسون) أستاذ اللاهوت في جامعة أيسلندا، فيذكر:" إن أبراهام (إبراهيم) كان شبه بدوي ينتمي Seminomade ينتمي إلى القبائل القديمة المسماة بالعبيرو ولعله ينحدر من هذا العرق القبائلي نفسه". فقد عاش إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي في زمن يسبق عهد موسى بسبع مئة عام، وقد ظلت هذه التسمية، أي تسمية عبري وعبراني، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من الجماعات البدوية[2].

وأما ما أورده بعض الباحثين من أن كلمة "عبري" مشتقة من عبر أي قطع نهراً أو غيره أو من"عابر" أحد أسلاف إبراهيم، فغير مستند إلى أي دليل أو أساس، وهي من قبيل الحدس والاجتهاد، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية حيث قال تعالى:" يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون... ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"[3]. ولهذه الآية الشريفة معنيان: المعنى الأول هو أن إبراهيم ما كان على دين "يهوه" اله اليهود" بل كان حنيفاً مسلماً، والمعنى

(١) المرجع نفسه، ج١،ص١٨٧.

(٢) التوراة، سفر التكوين، الاصحاح٢٩، ١٤-١٧، الإصحاح ٤٤:١٥، ٤١" سفر الخروج:،١٥،١٦،١٥.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٦٤ و ٦٦.

الثاني هو أن دور إبراهيم الخليل هو غير دور اليهود، ولا يتصل بدور اليهود الأخير[1].

وتجدر الإشارة إلى أن احد الباحثين الغربيين يذكر بأنه لا دليل تاريخي أو آثاري يؤكد قصة هؤلاء العبرانيين إلا التقاليد، كما هو الحال في كافة مراحل التاريخ العبراني حتى عام ١٢٠٠ق.م، ولكن كتب العهد القديم التي تروي هذه التقاليد لم تأخذ شكلها الحالي – حتى القرن السابع ق.م – أي ربما بعد ٨٠٠ سنة من قصة نبي الله يوسف"عليه السلام"، وإن فيها عناصر أقدم حتى من ذلك[2].

أما بشأن الموطن الأصلي لإبراهيم الخليل، فيذكر الكتاب المقدس بأنه جاء من منطقة أور الكلدانيين في جنوب العراق، فيما تذكر مصادر أخرى بأنه جاء من منطقة هاران (حران) في شمال سوريا (=حالياً ضمن الأراضي التركية على مقربة من الحدود السورية)[3]. وبعد هجرته الى ارض كنعان (فلسطين)في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، استقر في مدينة حبرون (الخليل) مع زمن هجرات الأقوام الأخرى التي جاءت بالهكسوس والحوريين إلى جهات البحر الأبيض المتوسط . وقد ولد إبراهيم ابنه البكر (إسماعيل) من جاريته (هاجر)، وإسحاق من زوجته (سارة)، وان ابنه إسحاق ولد يعقوب الذي فضل بعد إقامته عدة سنين في "فدان آرام" (= شمال سوريا) على أخيه (عيسو)، وجعله وريث ابيه، وبدل اسمه إلى "إسرائيل"، كما بدل اسم "عيسو" بأدوم" (=الأحمر)، وسميت ذريته بالادوميين

---

(١) احمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ، ٥٠٥ .

(٢) روبرت سون: موجز تاريخ العالم، ج١،ص ١٨٨" وهذا مما يثبت أن للأساطير دور لا يستهان به في كتابة التاريخ العبراني حتى في مراحله المتأخرة.

(٣) احمد سوسة: المرجع السابق، ص ٥٠٧ الهامش (٨٠).

بعد أن حلوا في "جبل سعير". وهكذا خرج أحفاد عيسو من العبرانيين، كما أخرج إسماعيل وأبناؤه، حيث فضل عليه أخوه إسحاق، وجاء من يعقوب الأسباط الاثنا عشر، وان الابن الحادي عشر"يوسف" (ابن راحيل الأكبر) قد بيع في مصر، فنال حظوة عظمى في بلاط الملك المصري وفق ما ذكره القرآن الكريم.

وبعد أن عاش أحفاد يوسف وأحفاد أخوته في مصر عدة أجيال، رجعوا إلى فلسطين تحت قيادة نبي الله موسى "عليه السلام" في عهد فرعون الخروج (رعمسيس الثالث) حوالي عام ١٢٩٠ق.م، وهذه هي بداية الهجرة الثالثة التي يعرف عن حقيقتها التاريخية أكثر من الهجرتين الأوليين. ومن الجدير بالذكر أن كلمة "إسرائيل" ذكرت لأول مرة في مسلة الفرعون "مرين فتاح – منفتاح" بن رعمسيس التي وجدت في مدينة طيبة في حدود١٢٣٠[(١)].

ثم دخل بنو إسرائيل إلى بلاد كنعان، وقاتلوا سكانها الأصليين العرب العمالقة بقيادة خليفة موسى (يوشع بن نون) في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبعد ذلك تمكنوا من إنشاء المملكة اليهودية بقيادة شاؤل (١٠٢٠– ١٠٠٤ق.م) على ارض فلسطين، الذي يحدد عهده بداية تأريخ العبرانيين كقوم لهم كيان سياسي.

وبعد مقتل شاؤل تولى القيادة حامل درع الملك نبي الله داود (عليه السلام) م ١٠٠٤ – ٩٦٠ق.م، وكان في أول أمره يحكم بصفته تابعاً للفلسطينيين، ولكنه تمكن أخيرا من إحراز الاستقلال التام، واشتهر بنزاله في عهد شاؤل مع "جالوت– جليات" البطل الفلسطيني الشهير. ولم يكتف بذلك بل انه وسع حدود مملكته الى جهات لم تبلغها المملكة قبله ولا بعده، فاستطاع أن يصد الفلسطينيين ويقضي

---

(١) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٢٨٤" احمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص

على سلطانهم تقريباً واستولى على دويلات: مؤاب[1]، وأدوم[2]، وعمون[3]، كما انه غزا دمشق، واتخذ عاصمته في "أورشليم"[4] التي انتزعها من سكانها اليبوسيين (غير الساميين)، وكان هذا اختيارا موفقاً لموقعها بين القسمين الشمالي والجنوبي، وبنى فيها قصره الملكي على أيدي معماريين من أهل صور بمساعدة صديقه "حيرام" ملك صور (٩٨١ –٩٤٧ق.م)، وبنى نبي الله داود (عليه السلام) مسجداً لعبادة الله فيه، ولكن احد الباحثين العرب المحدثين يذكر بهذا الصدد ما نصه:"

---

(١) المؤابيون : هم ذرية (مؤابِ بن لوط) ولهم قرابة لبني إسرائيل أيضا، امتدت مملكتهم من البحر الميت، واتسعت شمالاً حتى نهر (أرنون)، فهي اليوم تشكل القسم الشرقي من البحر الميت للمملكة الأردنية الهاشمية .

(٢) الأدوميون : ينتسبون إلى (عيسو) بن إسحاق، أخي يعقوب، فهم من أقرب الشعوب إلى بني إسرائيل، وكان عيسو يسمى (أدوم). اسم موطنه (سعير) ويقع بين البحر الميت وخليج العقبة، وكان اسم عاصمتهم (سالع أوسلع)، ثم تغير إلى (البتراء). من إلهتهم (حدد)، وكان بنو إسرائيل يعتبرونهم من ألد أعدائهم.

(٣) العمونيون : هم من نسل (بني عمي) بن لوط"عليه السلام"، فهم ذو قرابة لبني إسرائيل، سكنوا جبال جلعاد ما بين نهري: (أرنون) و (يبوق)، وكانت عاصمتهم (ربة عمون)، -- -- وهي (عمان) الآن عاصمة الأردن، عبدوا (مالكوم) وقدموا له الذبائح، وعبدوا (كموش) اله المؤابيين

(٤) أورشليم: اسم المدينة من أصل كنعاني من (يرو– شالم)، أو (يرو– شلم) و (شالم) أو (شلم)، اسم اله كنعاني معنى اسمه السلام، ونجده يدخل في أسماء أعلام عبرانية مهمة مثل (أبشا لوم)، (أي أبو السلام وهو ابنِ داود) وسليمان أيضا. طه باقر: مقدمة، ج٢، ص٢٤٣" بينما عرفها باحث آخر تعريفا مغايراً بقوله، من أسماءِ مدينة القدس، وليس بنو إسرائيل هم أول من سماها بهذا الاسم، بل هو اسم قديم جداً، ولم تسم بهذا الاسم نسبة لإلههم (ساليم) كما زعم. بل سميت بهذا الاسم لكثرة سلام الملائكة على بعضهم أثناء ترددهم الى مسجدها المبارك. ينظر: محمد علي دولة: صفحات في اليهوديات لتفسدن في الأرض مرتين (دمشق، دار القلم،٢٠٠٧)، ص٢٩٧.

وأقام داود معبداً قومياً لليهود وهو معبد (يهوه)، جاعلاً بذلك عبادة (يهوه) الديانة الرسمية للمملكة الموحدة"[1] .

وخلف نبي الله داود"عليه السلام" ابنه نبي الله سليمان"عليه السلام" (٩٦٠-٩٢٥ق.م)، الذي بلغت المملكة في عهده أوج ازدهارها، واشتهر باهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعدين والتعمير بمقياس كبير. وقام ببناء قصره الكبير الذي استغرق وقتا طويلاً، وقام ببنائه البناؤن الفينيقيون، كما كان الحال مع أبيه. وقد أسس نظاماً للضرائب التي فرضها على شعب إسرائيل، بالإضافة إلى الجزية التي تأتيه من المدن والشعوب الخاضعة لسلطته، واهتم أيضا ببناء الحصون والقلاع والمخازن والثكنات والإسطبلات، وقد عثر على خرائب إسطبلاته في التنقيبات التي أجريت في منطقة "مجيدو"[2] .

واشتهر نبي الله سليمان ببناء المعبد المشهور (هيكل سليمان)، وهو في الحقيقة (المسجد الأقصى) الذي أشاد به (القرآن الكريم)، وقام أحبار اليهود بتحريف اسمه إلى الهيكل، وهو في الأصل مصطلح بابلي -سومري دخل إلى اللغة الكنعانية التي اقتبسها اليهود منهم، كما اقتبسوا الفن والتراث والإلهة الكنعانية[3] .

انقسام المملكة الإسرائيلية (الشمالية)

---

(١) طه باقر : المرجع السابق، ج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم (جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية،١٩٧٩)، ص ١٩٢ - ١٩٣" عزت شاكر: ملوك يهوذا (القاهرة، دار الثقافة،١٩٩٩)،ص ٣٣-٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩٠ - ١٩١.

وفي عام ٩٣١ق.م توفي النبي والملك سليمان بن داود" عليهما السلام"، وطفت على السطح مظاهر التشرذم السياسي بين بني إسرائيل من الأسباط الشمالية والجنوبية. والفكرة الأولى التي برزت بعد سليمان في عهد ابنه (رحبعام)، كانت مسألة استمرار الوحدة بين يهوذا وإسرائيل مع أورشليم (القدس) مركزاً للحكم، ويظهر أن مسألة العرش في منطقة القدس تمت دون أية صعوبة تذكر[١].

وبخصوص القبائل الشمالية (الأسباط العشرة)" فان الأمر اختلف لأنهم لن يقبلوا أن يكون (لملك يهوذا) حق السيادة عليهم، وبهذه المناسبة فان الملك (رحبعام) ذهب إلى (شكيم) بنفسه لمحاولة التأثير على قرار هذه القبائل، بما يتناسب ومحاولة إخضاعهم لنفوذه على خطى أبيه، وسأله المجتمعون عما اذا كان سيتعهد بتقليل فداحة الضرائب التي كانت في عهد ابيه (سليمان)، فأجابهم جواباً طائشاً كما جاء في العهد القديم: "لقد أدبكم أبي بالسياط، أما أنا فسأودبكم بالعقارب"[٢]، ولكن مع أسباب ذكرها العهد القديم كأسباب لانفصال المملكتين، منها: سوء تصرفه، ولسانه اللاذع، وحماقته، وعدم موافقته على خفض الضرائب التي كان والده قد أثقل كاهلهم بها، رغم نصيحة مستشاريه، وأمور أخرى، كل ذلك دعاهم إلى القول مجتمعين:" أي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسى (= داود)، إلى خيامك يا إسرائيل، الآن انظر إلى بيتك يا داود..."[٣]، وانفضوا عنه وملكوا عليهم (يربعام بن نباط) من سبط (إفريم بن

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم وزميله : اليهود في العالم القديم (الرياض، دار المريخ،٢٠٠٧)،ص ٩٨." عزت شكر: المرجع السابق،ص٣٤.

(٢) العهد القديم : سفر الملوك الأول، ١٢: ١١.

(٣) الملوك الأول: ١٢، ١٦.

يوسف) الذي كان قد هرب من واله (سليمان) الى مصر، وهكذا ضاع مجد مملكة سليمان، ولم يملك (رحبعام) إلا على سبطين فقط وهما: يهوذا وبنيامين، ولولا صعود (رحبعام) إلى مركبته وهربه من شكيم (نابلس) إلى أورشليم (القدس) لكانوا قد قتلوه، كما قتلوا مفوضه الملكي (مسئول العمل الإجباري – السخرة) "أدورام"[1].

وهكذا كون (رحبعام بن سليمان) مملكة يهوذا في الجنوب من سبطين، وأتخذ من أورشليم (القدس) عاصمة له، بينما كون (يربعام بن نباط) مملكة إسرائيل في الشمال من عشرة أسباط وقسماً من سبط بنيامين[2]، وأتخذ من مدينة شكيم (نابلس) عاصمة له[3].

---

(١) مصطفى عبد العليم: اليهود في العالم القديم، ص٩٩– ١٠٠" عزت شاكر: المرجع السابق، ص ٣٣ –٤٥.

(٢) هنري س . عبودي : معجم الحضارات السامية، (طرابلس لبنان، جروس برس،١٩٨٨)، ص ٥٨٦.

(٣) شكيم: مدينة كنعانية قديمة في جبل أفرا يم بين عيبال جرزيم (من هنا اسمها الذي يعني العنق لأنها تبدو كالعنق بين الكتفين)، تذكرها النصوص المصرية ورسائل تل العمارنة باسم "سيكمم". أقام إبراهيم الخليل وابنه إسحاق وابنه يعقوب في جوارها، وقد سمي أهلها" الحويون". كانت شكيم أولى المدن الملكية في بني إسرائيل، حيث توج فيها " رحبعام بن سليمان" ولكن تصرفه الخاطئ سبب انفصال القبائل العش من مملكة يهوذا، وحين انتقلت عاصمة ملوك الشمال من شكيم إلى السامرة بعد فينوئيل وترصة، إنكسفت شكيم، بعد المنفى صارت شكيم مركز الساميين الديني، لاسيما حين بني هيكل على جبل جرزيم القريب منها. دمر يوحنا هرقانوس سنة ١٢٨ق.م الهيكل والمدينة، وبنيت المدينة الرومانية بعيداً عن شكيم، وسميت "فيلا فيا نيا بوليس" الذي بقي في الاسم الحالي. ينظر: بولس الفغالي: قاموس الكتاب المقدس والشرق الأدنى، ص٧١٧– ٧١٨" سامي سعيد الأحمد: فلسطين حتى التحرير العربي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)، ص٤٦–٤٧.

ومـع أن مملكـة إسـرائيل كانـت أكـبر مـن مملكـة يهـوذا مـن ناحيـة المسـاحة والسكان، فإنها كانت أقل اندماجاً بـين أسـباطها لكثـرة عـددهم، ووجـود خلافـات عائلية حادة بينهم، على الأراضي والميـاه، كمـا كانـت أقـل تنظيمـا وإدارة داخـل أراضيها، كما أنها تفتقر إلى اللحمـة الدينيـة والسياسـية[1]، فضـلا عـن ذلـك أنهـا كانت معرضة تماماً للهجوم من جانب المملكة الآشورية من ناحية الشرق والشـمال، وبعض الممالك الآرامية من ناحية الشمال. أما مملكة يهوذا فكانت حـدودها مؤمنـة الى حد ما، فيما عدا حدودها الجنوبية مع مصر الفرعونية[2].

المملكة الإسرائيلية الشمالية ٩٣٠ – ٧٢٢ ق.م

أتخذ يربعام بن نباط مدينـة شـكيم (نـابلس) عاصـمة لملكـه في بدايـة الأمـر، ولكن لطبيعة تكوين هذه المملكة من عشرة أسباط، فقد اضطربت الأحوال، وبـدت المنافسة شديدة بين هـذه الأسـباط، حيـث تقلـب علـى عرشـها تسـعة عشـر ملكـاً ينتمون إلى ثماني أسر مختلفة، وتغيرت عاصمتها أكثر من مرة، ففـي المـرة الأولى، بني يربعام مدينة (فينوئيل – تل الفارعة) الواقعة في شرق الأردن واتخذها عاصـمة له . ويبدو أن سبب الانتقال الأول يعود إلى التهديد العسكري من مملكة يهـوذا مـن جانب، ومن المملكة المصرية من جانب آخر.

وقد تربع على مملكة إسرائيل إلى أن سقطت على يـد الآشـوريين مـا بـين ١٨– ١٩ ملكاً، هم حسب الترتيب التاريخي:

---

(١) هنري س. عبودي : معجم الحضارات السامية،، ص٥٨٨.

(٢) مصطفى عبد العليم : المرجع السابق، ص ١٠٢ – ١٠٣.

يربعام بن نباط (٩٧٤-٩٥٤ق.م).

ناداب بن يربعام (٩٥٤-٩٥٣ق.م).

يعشا بن آخياه (٩٥٣-٩٢٩ق.م).

أيلاه بن بعشا (٩٢٩-٩٢٨ق.م).

زمري (٩٢٨ ق.م)

عمري (٩٢٦-٩١٨ق.م).

أخاب بن عمري (٩١٨-٨٩٧ق.م).

آخازيا بن أخاب (٨٩٧-٨٩٥ق.م).

يورام بن أخاب (٨٩٥-٨٨٤ق.م).

ياهو (زعيم انقلاب) (٨٨٤-٨٥٦ق.م).

يهوآحاز بن ياهو (٨٥٦-٨٣٩ق.م).

يهوآش بن يهوآحاز (٨٣٩-٨٢٥ق.م).

يربعام الثاني بن يوآش (٨٢٥-٧٨٤ق.م).

زكريا (٧٧٣ق.م).

شلوم بن يابش (٧٧٢ق.م).

مناحيم (٧٧١-٧٦١ق.).

فقحيا بن مناحيم (٧٦١-٧٥٨ق.م).

فاقح بن رمليا هو (٧٥٨-٧٣٩ق.م).

هوشع بن أيلاه (٧٣٠-٧٢٥ق.م).

الصراع المصري – الآشوري على نابلس

لقد ازدهرت المملكة الإسرائيلية في أيام داود وسليمان، أثناء انحسار القوى الدولية الكبرى، وحصول الاضطراب الشديد إثر انهيار سلطة الحيثيين في الشمال، وانشغال الأشوريين بالصراعات مع جيرانهم من جهة الشمال حيث الدولة اورارتية، ومن الشرق القبائل الميدية والاسكيثية شديدة المراس والعناد، فضلاً عن الممالك الآرامية في طول سوريا وعرضها. كما أن الإمبراطورية المصرية قد حل بها الانهيار والتفسخ في أيام السلالة الواحدة والعشرين، حيث بدأ في عهد هذه السلالة نفوذ الليبيين في المملكة المصرية، حتى أنهم أسسوا سلالة منهم هي: السلالة الثانية والعشرون (٩٥٠ق.م)، كما تدل على ذلك أسمائهم وأنسابهم، واشتهرت هذه السلالة بحكم الفرعون القوي (شيشنك– شيشانق)، وهو (شيشق)[1] الوارد اسمه في التوراة الذي تدخل في شؤون المملكة الإسرائيلية بعد موت سليمان . ومن جهة أخرى فان المملكة الحيثية في الشمال قد زالت دولتهم من الوجود في تلك الحقبة، فضلاً عن مملكة آشور التي لم تكن قد استعادت عافيتها من جديد.

ففي ربيع سنة ٩٢٤ ق.م (السنة الخامسة من حكم رحبعام) بدأ الفرعون المصري (شيشانق) حملته العسكرية على فلسطين، حيث اتخذ من مدينة غزة

---

(١) شيشق أو شيشاق ملك مصر، معروف باسم شيشانق الأول، هرب يربعام بن نياط من وجه سليمان فلجأ الى شيشق. بعدها غلب شيشق رحبعام بن سليمان، يعدد شيشق في لائحة فلسطين (جداريه على الحائط الجنوبي في معبد أمون الكبير في الكرنك) اسم "١٦٥" مدينة احتلها خلال حملته على فلسطين. اجتاح شيشانق سهل يزرع يل ووصل إلى شرقي الأردن. كان شيشق ليبياً أسس السلالة ٢٢ وأقام في بوبستيس، تميز حكمه (٩٤٥– ٩٢٤ق.م) بالعودة إلى السياسة الفلسطينية التقليدية التي انتهجها الفراعنة، اكتشف في مقابر يوسانيس (في تانيس) تابوت شيشاق مجهول" ولكن اكتشف اسم شيشاق على مسلة في مجدو، كما اكتشف على إناء مهيأ لكي يكون هدية. بولس الفغالي : قاموس الشرق الأدنى، ص ٧٣٦ – ٧٣٧.

مركزاً لتجمع قواته، حيث قسمها إلى ثلاث حملات، اتجهت اثنتـان منـه الى النقـب، أما الحملة الثالثة والرئيسية فقد اتجهت بقيادة الفرعون شيشانق نفسه إلى الشـمال الشرقي مخترقة سهول فلسطين، حيـث هـاجم المـدن الحصـينة في مملكـة يهـوذا،: جبعون، وبيت حران، وعجلون واستولى عليها، ففي حين اختار رحبعام زعيم يهوذا الخضوع للفرعون ودفع الجزية ليـؤمن عرشـه وحكومتـه، فضـلاً عـن تسـليم كنـوز سليمان، لذلك لم يحاول الفرعون المرور بأورشليم رغم أنها واقعة في طريق جيشه، لذلك لم تظهر أورشليم (القدس) في قائمة المدن التي استولى عليها الفرعون، ولعله اقترب منها، واتخذ من مدينة (جعبون)[1] قاعـدة عسـكرية لقواتـه ينطلـق منهـا إلى بقية أجزاء فلسطين[2] .

أما يربعام فقد انسحب إلى شرق الأردن إلى (فينوئيـل)[3] ثـم (محنـا يـم)[4] تاركاً العاصمة (شكيم) لمصيرها، حيث استولى عليهـا الفرعـون وأتخـذ مـن مدينـة

---

(١) جبعون: مدينة مهمة سكنها الحويون وهم قوم من سلالة كنعان، تقع على بعد ١٥ ميل شمال أورشليم (القدس)، تعنى أطلالها الآن بالجيب. احمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ، معجم الإعلام والأقوام والبلدان، ص ٨٢٢.

(٢) مصطفى عبد العليم : اليهود في العالم القديم، ص ١١٤ – ١١٥

(٣) مدينة كنعانية تقع بالقرب من معبر يبوق، يذكر سفر التكوين أن يعقوب صارع الملاك فيها، وعاقب جدعون اهله، وكانت عاصمة لمملكة رحبعام لوقت قصير، أسمها حالياً تلول الذهب. ينظر: (أطلس الكتاب المقدس، ص ٢١) .

(٤) محنا يم : مدينة تقع في شرق الأردن، تقع جنوبي يبوق وعلى الحدود بين مساكن قبيلتي جاد ومنسي . تواجه فيه يعقوب وملائكة الله، لجأ إليها (إيش بوشت بن شاؤل) حين نودي به ملكاً، وداود حين هرب من أبشا لوم، احتفظ بالاسم القديم في محنة الحالية. أما موقع المدينة القديمة فهو أما (تلول الذهب)، وإما (تلول حجاج) الذي يبعد ٤٠ كلم إلى الشرق من نابلس. بولس فغالي: المحيط الجامع، ص ١١٥٣" وقد وردت عند مصطفى عبد العليم في كتابه (اليهود في العالم القديم) بصيغة محانيم، ولعله تصحيف.

ترصة[1] قاعدة له، وبعد انسحاب الفرعون اتخذ يربعام من مدينة ترصة عاصمة لـه . وبعد أن عاد شيشانق من حملتـه نقـش فنـانوه منـاظر هـذه الحملـة علـى جدار المعبد الجنوبي لمعبد آمون بالكرنك، مع تحديد الأماكن التي قام بغزوها[2] .

وكان من مشاهير ملوك مملكة إسـرائيل "عـومري" (٨٨٥ – ٨٧٤ ق.م) الـذي أسس مدينة (السامرة)، حيث حصنها ونقل مقر العاصمة إليها من مدينة (ترصـة)، بهدف أن يكون للملكة إسرائيل مكان مقدس للحـج مثـل المملكـة الجنوبيـة، فـبني مدينة السامرة على طريقة سـليمان في بنائـه لأورشـليم، وبنـى فيهـا قصـراً وسـعه وزخرفه ابنـه ووريثـه (أحـاب)، هـذا القصـر هـو (بيـت العـاج) الـذي أظهـرت فيـه الحفريات الحديثة أثاثا منزلاً بالعاج، ويبدو انه كان مكسواً بالذهب[3] .

وتقـع السـامرة في وادي سـعير، وهـو موقـع اسـتراتيجي يسـيطر علـى الطريـق الشمالي الجنوبي في مواجهة أي زحف من مملكة يهوذا، فضلاً عن سـهولة اتصـالها بفينيقيا الذي كان يرتبط معها بعاهدة تحالف، وتقع السامرة على بعد حوالي (٤٢) ميلاً إلى الشمال من أورشليم (القدس)، و (٢٥) ميلاً إلى الشرق من صور، وعلى بعد (٥) أميال شمالي غرب شكيم في منطقـة تقـع بعيـداً – في غـرب أمـاكن الملـوك في، وترصة، وفينوئيل – وهي أقرب إلى الساحل الكنعاني، وقد أطلق اسـم السـامرة في

---

(١) ترصة : مدينة كنعانية قديمة هزمت على يد يوشع بن نون (سفر يوشع، ١٢ : ٢٤)" وأصبحت فيما بعد عاصمة المملكة الشمالية منذ عهد يربعام الأول حتى عهد عمري (الملوك الأول، ٢٣: ١٦–٢٤)، وهي على الأرجح لا تبعد كثيرا عن السامرة، وقد اشتهرت بجمالها، واجريت فيها تنقيبات هامة (أطلس الكتاب المقدس، ص ١٤).

(٢) أسامة خالد : معالم تاريخ مصر الفرعونية، ص ٤٦– ٤٧" سامي سعيد الأحمد: فلسطين حتى التحرير العربي، ص٥٠.

(٣) فيليب حتى: تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق، مراجعة جبرائيل جبور، (بيروت، دار الثقافة،١٩٥٨)، ص ٢٠٩.

البداية على العاصمة التي أسسها الملك عمري في مملكة إسرائيل، ثم اتسعت الدائرة فشملت الإقليم الشمالي كله حوالي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، واسم السامرة يعني "برج الحراسة" وينطبق هذا الاسم على طبيعة وصفها الجغرافي وسط مملكة إسرائيل[١] .

وقد خلف (أحاب) والده في حكم المملكة الإسرائيلية، وكان حليفاً لمملكة دمشق الآرامية في موقعة (قرقار) الشهيرة ضد الآشوريين عام ٨٥٤ ق.م، وفي زمنه حدث نزاع حاد في المملكة بتأثير زوجته (إيزابيلا) ابنة ملك صور وصيدا، التي حملت زوجها على إدخال العبادة الكنعانية الوثنية الخاصة ب" بعل"، مما حرض حاخامات يهود ضده، وأسفرت النتيجة، عن قيام احد القادة العسكريين ويدعى (ياهو) بانقلاب قضى بموجبه على سلالة (عومري)، وصار ملكاً عام ٨٢٤ ق.م [٢]. فعندما قام الملك الأشوري شليمنصر الثالث بحملته على ملك آرام (حزائيل) ونجح فيه، حيث لم يبادر الملك (ياهو) إلى مساندة ملك دمشق حسب الاتفاق السابق. وهذا ما بدا واضحاً في تسجيل الملك الأشوري للملك الإسرائيلي (ياهو) ساجداً يقبل الأرض ويقدم الجزية ،في "المسلة السوداء" التي نصبها الملك شليمنصر الثالث في عاصمته (كالح – نمرود) في شمال العراق، واكتشفها الاثاري البريطاني (لايارد) عام ١٨٤٦م، وهي محفوظة حاليا في المتحف البريطاني في لندن، وجاء فيها: "في العام الثاني عشر من حكمي عبرت نهر الفرات للمرة السادسة عشرة، وكان حزائيل ملك آرام قد ركن الى قوة جيشه الكبير العدد الذي استدعاه وقد جعل جبل سانير ... مركزه الحصين ... ولكنني قاتلته وأوقعت به الهزيمة، وأفنيت بأسلحتي

---

(١) مصطفى عبد العليم: اليهود في العالم القديم، ص١٢٢.

(٢) طه باقر : المرجع السابق، ج٢، ص ٢٩٢.

١٦٠٠٠٠ من جنده المدربين، وانتزعت منه ١٩٢١ من مركباته و٤٧٠ من خيول الفرسان مع تجهيزاتها... وزحفت حتى بلغت جبال...وهي رأس عند البحر[١]، حيث حيث أقيمت صورة لشخصه الملكي. وفي هذا الوقت جاءتني جزية شعب صور وصيدا وياهو بن عمري (من بيت عمري)" .

ولما كانت المملكتان اليهوديتان (إسرائيل) و (يهودا) تتجاذبان أطراف الصراع مع بعضهما البعض، ومع كل من الممالك الآرامية في سوريا، والمملكتان الآشورية في العراق والفرعونية في مصر، لذا فلا مناص من حدوث احتكاك بين الدولتين على حساب المملكتين اليهوديتين . وهذا ما حدث فعلاً حين بدأ الملك الآشوري "تجلاثبليزر الثالث" (٧٤٧-٧٢٧ق.م) سلسلة حملات ناجحة على الممالك الآرامية في سوريا (دمشق، وجلعاد)، وفلسطين (الجليل، وسهل صارونة) عام ٧٣٤ق.م واستمرت حتى عام ٧٣٢ق.م، حتى تمكن من إسقاط دمشق عام ٧٣٢ق.م[٢].

ومن ثم قام الآشوريين بغزو مملكة إسرائيل حيث سيطروا على كل أراضي الجليل وشرق الأردن، وتم سبي (قبائل نفتا لي) وسكان مدن شرق الأردن إلى بلاد آشور، ولم يبق من مملكة إسرائيل سوى المنطقة الجبلية المحيطة بالعاصمة السامرة فقط[٣].

---

(١) رأس نهر الكلب يقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً من بيروت، حيث اكتشفت نقوش ولوحات خمسة آشورية، تعود للملك الآشوري شليمنص الثالث، وخلفائه منحوتة في الواجهة الصخرية عند مرور نهر الكلب. بولس الفغالي: الجامع المحيط،١٠٣٠.

(٢) فيليب حتى: تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢١٣.

(٣) سفر الملوك الثاني، ١٥ : ٢٩ " سفر أخبار اليوم الأول، ٥ : ٢٦.

وهناك مسلة آشورية نقش عليها حملة الملك (تجلا ثبليزر الثالث) على بلاد آرام (سوريا) و مملكة (إسرائيل) جاء فيها: "قمت بضم جميع مدن بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم أترك سوى مدينة السامرة... وأخذت نفتا لي بأسرها وضممتها إلى آشور، وعهدت إلى رجالي بأن يكونوا حكاماً عليها، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حملت إلى آشور"[١] .

وعندما خلف الملك"شيلمانصر الخامس " (٧٢٧-٧٢٢ق.م) "الملك تجلاثبليزر الثالث" في حكم آشور، انتهز الملك الإسرائيلي"هوشع أيلاه" (٧٣٠ – ٧٢٥ ق.م) الفرصة ورفض دفع الجزية لآشور، وبدأ في إجراء اتصالات مع المصريين، حيث كان الآشوريون يرنون بأنظارهم إلى وادي النيل، وكان ملك مصر حينذاك (الفرعون بيعنخي ذي الأصل الليبي) ومؤسس السلالة الخامسة والعشرين[٢] ، وإحساسا بالخطر الآشوري المتزايد" قد تحالف مع بعض ملوك فلسطين وسوريا،ومن ضمنهم (هوشع)، وحين تعرض حلفاؤه للخطر، وتحديداً المملكة الإسرائيلية في عهد عاهلها (هوشع)، أرسل إليهم قوات تؤازرهم، ولكن الملك الآشوري سرجون الثاني استطاع هزيمة القوات المصرية والمتحالفة سنة ٧٢٠ ق.م في منطقة رفح على الحدود المصرية[٣] .

---

(١) احمد سوسة : المرجع السابق، ص ٥٨٥ هامش ١٥٨.

(٢) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٦)، ص ٤١٥، واسمه الحقيقي (بي)، والإضافة (عنخ) هي لقبه وتعني الحياة السعيدة.

(٣) محمد إبراهيم بكر: صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، ص ٢٢٤" عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم،٤١٨.

ويعلق احد الباحثين المصريين على هزيمة التحالف المصري، بالقول:" ولكن مصر فاتها حينذاك أن تقدر إمكانيات سرجون الآشوري إبان عنفوانه، فانهزم حاكم غزة برغم تأييدها له"[1].

وكان الملك الآشوري (شيلمانصر الخامس) قد تحرك على رأس جيشه وحاصر العاصمة (السامرة) عام ٧٢٤ق.م، مما أضطر (هوشع) لدفع الجزية، ويبدو أن (شيلمانصر) تغاضى عن إسقاط العاصمة (السامرة) لكي يوفر جهده لمحاربة صور، ولكنه على أية حال عندما علم بالاتصالات السرية بين مملكة إسرائيل ومصر الفرعونية، ألقى القبض على (هوشع) وأودعه السجن، وفي رواية أخرى أن هوشع أسر أثناء الحصار[2] .

ونتيجة لعدم إيفاء المملكة الإسرائيلية بوعودها تجاه الآشوريين ومساندتها لضمها صور، فقد بدأ الآشوريين من جديد بمحاصرة (السامرة)، و (صور) في عهد ملكهم الجديد" سرجون الثاني" (٧٢٢-٧٠٥ق.م) الذي خلف (شيلمانصر الخامس) في عرش آشور . وفي السنة الأولى لحكم الملك (سرجون الثاني) سقطت العاصمة (السامرة)، حيث نسب هذا الفضل للملك (سرجون)[3]، بينما يعزو العهد القديم النصر الحقيقي للملك (شيلمانصر الخامس) .[4]

---

(١) عبد العزيز صالح " المرجع السابق، ٤١٨.

(٢) فرست مرعي : لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية ومخططاتهما ضد الإسلام، (صنعاء، المنتدى الجامعي،٢٠٠٤)، ص١٤ نقلا عن شموئيل باب ينفي في كتابه (تاريخ إسرائيل)، ص ٢٤٩.

(٣) طه باقر : المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٢ – ٢٩٣.

(٤) سفر الملوك الثاني، ١٨: ٩ -١٠.

وقد علق أحد الباحثين المصريين أن سبب استمرار حصار السامرة لمدة ثلاث سنوات متتالية، مرده إلى الدعم المصري للمملكة الإسرائيلية[1]. في حين أن المصريين كانوا السبب في عدم دفع ملك إسرائيل الجزية للملك الآشوري، وبالتالي عدم الخضوع لسلطانه .

وبذا كانت نهاية مملكة إسرائيل وبقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر دورها وهي تتأرجح في مهب الرياح بين رحمة حكومة مصر من الغرب ودولة أشور من الشرق، فإذا انحازت للأولى غضبت عليها الثانية، وإذا انضمت إلى الثانية أغاضت الأولى .

ولما انحاز حزقيا ملك يهوذا إلى مصر غضب الملك الأشوري (سنحا ريب)، الذي خلف سرجون، فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لإخضاعها أو تدميرها والقضاء عليها، كما فعل أسلافه بإسرائيل فهب حزقيا وأرسل وفدا إلى مصر مستنجدا بملكها، فوعده المصريون بمده بالعون، فانتقده النبي (اشعيا) على اعتماده على ملك مصر بدلا من اعتماده على الرب بقوله: "ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جدا ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب".[2]

وعلى أية حال فإن الآشوريين القادمين من بلاد الرافدين هم الذين أسقطوا العاصمة الإسرائيلية (السامرة)، وبدءوا في عملية التهديد للمملكة الثانية (يهودا)، وبالأخص عاصمتها أورشليم (القدس) التي كانت تقع على مسافة حوالي عشرين ميلاً من الحدود الجنوبية لمملكة إسرائيل[3].

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤١٨.

(٢) سفر إشعيا، ٣٠ :١ – ٧، ٣١ : ١ .

(٣) فرست مرعي : لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية، ص ١٤.

وقد اتبع الآشوريين أسلوبهم القديم، فقاموا بنقل إعداد كبيرة من المهنيين اليهود إلى مناطق بعيدة داخل بلاد بابل إمبراطوريتهم إلى حلج، وضفة نهر الخابور، وإلى مدن إقليم ميديا (كردستان العراق وايران حالياً)[١].

وتحطمت مملكة إسرائيل، واحل محل هؤلاء الأسرى المبعدين جماعات من السكان جلبهم من كوثي التابعة لبابل في عام ٧٠٩ ق.م، وحماه في سوريا، وسفروا يم، و لحق بهم بعض العرب في عام ٧١٥ ق.م وأسكنهم في بلاد السامرة[٢]، فأختلط هؤلاء مع الإسرائيليين ونشأ عن ذلك ما يعرف في تأريخ اليهود باسم "السامريين"، حيث اختلطت عبادة هؤلاء الأقوام الوثنيين بعبادة ((يهوه))، ونجد اثر عبادة بعض الآلهة البابلية واضحة ولاسيما عبادة الإله نرجال آلهة ((كوثي))، حيث كان من جملة الأقوام الذين أحلهم محل يهود السامرة سكان من أهل (كوثي) "تل إبراهيم الآن" من سكنة جنوب العراق[٣].

فكان ذلك مما فاقم من شقة الخلاف بين أهل السامرة وأهل يهوذا،، حتى انه لما عاد النبيين اليهوديين: (عزرا) و (نحميا) من الأسر البابلي (في حدود ٤٣٢ ق.م)، بحملة تطهيرا ليهود في أورشليم، لاسيما حين بنى السامر يون على جبل (جرزيم)معبداً خاصاً بقيادة "منسي" ابن رئيس الكهنة اليهوذاوي"يوياداع" الذي طرده النبي "نحميا" من أورشليم بسبب زواجه بابنة (سنبلط) الحاكم الفارسي في السامرة.، وظلت طائفة السامريين بهيئة مذهب متحجر إلى الزمن الحاضر، ويمثلهم

---

(١) احمد سوسة: المرجع السابق، ص٥٨٦" بولس الفغالي: المرجع السابق، ص٦٣٦" طه باقر: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٩٣.

(٢) دي لابورت : بلاد ما بين النهرين، الترجمة العربية، ص٣٠٩.

(٣) طه باقر: المرجع السابق، ص ٢٩٣" بولس الفغالي: المرجع السابق، ص٦٣٦ –٦٣٧

الآن زهاء (٥٠٠) شخصا يعيشون في نابلس، والسامر يون الحاليون لايقرون الا بـ (بانتكاس– أسفار موسى الخمس) الذي يملكون منه في مجمع نابلس مخطوطاً في الحرف العبراني القديم، ولكن يبدو ان هذا المخطوط ليس بقديم جداً وفق أحد باحثي الكتاب المقدس[١].

وقد تحدثت الحوليات الآشورية بإسهاب عن عملية نقل سكان المملكة الإسرائيلية إلى داخل أراضي الإمبراطورية الآشورية، حيث جاء في نص عائد للملك (سرجون الثاني) خلال السنة الأولى من حكمه ما يلي: "في بداية حكم الملك أنا... بلد السامريين حاصرتها وفتحتها... لأجل الإله... الذي جعلني أحرز النصر... وقد نفيت (٢٧,٢٩٠) شخصاً من سكانها، وجهزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين عربة لأجل حرسي الملكي... وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل، وأسكنت فيها أناساً من مماليك فتحتها (أنا)، ونصبت ضابطاً من ضباطي حاكماً عليها، وفرضت عليهم ضرائب كما (هي العادة) للمواطنين الآشوريين" [٢].

الخاتمة

كانت احدى نتائج الصراع الاشوري (العراقي) – المصري على نابلس – شكيم عاصمة المملكة الاسرائيلية الشمالية، ان يهود هذه المملكة، ويهود مملكة يهودا، التي اسقطها الكلدانيون البابليون عام ٥٩٧ق.م وعام ٥٨٦ق.م على التوالي،

---

(١) بولس الفغالي: المحيط الجامع، ص٦٣٦ – ٦٣٧" طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص ٢٩٣.

(٢) سليم حسن : مصر القديمة، ج١١، ص٤٨٦.

بقيادة نبوخذنصر" أثر كبير على البنية الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية على اليهود كديانة،وكمجتمع، فقد اختلطوا في أيام السبيين الأشوري والبابلي بأقوام أكثر منهم حضارة ورقياً، لاسيما ان البابليين هم من علموا العالم: علم الحساب، والقانون، والتنجيم، والري، وأساليب الزراعة، وبناء الزقورات والمعابد، وأساليب القتال، فضلا عن ممارسة العبادة في المعابد، ومحاولة الوصول بالانسان الى مصافي الالهة عن طريق الخلود على الارض، كما يبدو جلياً في اسطورة الخلق، واوتوبانشتم، ونزول الالهة الى العالم السفلي، الى غيرها من اهتمامات حضارة بلاد الرافدين .كل ذلك غير العقلية اليهودية نحو الافضل، وجعلهم يتعرفون على افكار ومباديء لم تكن في حسبانهم، فقد كتبوا التوراة من جديد في بابل، بعد ان تم تدميرها على يد الفلسطينيين، وعلى يد نبوخذنصر الكلداني. كما أن لليهود تلمودين، هما: التلمود البابلي، والاورشليمي، والتلمود هو المنهاج الذي اختطه يهود العالم للسير على منواله، بعكس السامريين، عندما يقول شيخهم وحبرهم (إمرام إيشاك) الذي يقول بأنه الرقم (١٤٥) من سلالة "هارون" شقسق موسى، والذي يختصر الفرق بين أتباعه واليهود الآخرين بقوله: "نحن الشاميريم (Shamirim) أي الأمناء على وصايا التوراة (= الاسفار الخمسة)" نحن الموصى لنا الوحيدون الحقيقيون لوصايا موسى، نمجد الله، اله أبراهام، على الجبل المقدس (جبل غاريزيم (Garizim)" [١].

ومن جانب اخر فان السبي الاشوري ليهود المملكة الشمالية، ومجيءيئهم باقوام وشعوب اخرى من العراق، وسوريا، والجزيرة العربية، الذين كانوا يعبدون

---

(١) جاك كاليبو ونيكول كاليبو: مذاهب وملل وأساطير في الشرقين الادنى والاوسط، (بيروت، الفارابي،٢٠٠٧)، ص٢٧٢-، ٢٧٤.

الهة متعددة، كل ذلك خلق بلبلة في المجتمع اليهودي الذي لا زال قابعاً في المناطق المحيطة بنابلس، مما خلق انقساماً بين المجتمع اليهودي الذي حافظ على قيمه الدينية، وهو عبادة (يهوه)، والقادمين الجدد الذين مزجوا بين عبادة (يهوه) والالهة الاشورية والآرامية والكنعانية، فخرج من هذا المزيج غير المتجانس: طائفة يهودية تدعى (السامرة،) أو (السامريين)، لا زالت تعيش في مدينة نابلس، واليهود الاخرين يحتقرونهم، ويرفضون حتى التجارة معهم[1].

---

(٢) جاك كاليبو ونيكول كاليبو: مذاهب وملل وأساطير في الشرقين الادنى والاوسط، ٢٧١، – ٢٧٢.

(٢)

انتشار اليهودية في كوردستان

في العصور القديمة، كانت الديانة اليهودية ديانة توحيد في محيط وثني، وكانت تكتسب هويتها من هذا التمايز الواضح والبسيط. أما في العصور الوسطى الغربية وفي العالم الإسلامي، فقد اختلف الأمر تماماً، إذ وجدت اليهودية نفسها في محيط توحيدي إسلامي أو شبه توحيدي مسيحي أدى إلى انطماس معالمها. ولذلك حاول علماء اليهود أن يخلقوا فجوة بين اليهود وأعضاء الديانات السماوية الأخرى.

وكان كتابهم المثير للجدل (التلمود) هو ثمرة تلك المحاولة. خلال هذه الفترة ظهر تعريف الشريعة (هالاخاه) للهوية اليهودية، فعرف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية أو من تهوّد[١].

وقد ساد هذا التعريف منذ ظهور اليهودية الحاخامية مع بدايات العصور الوسطى وإلى بداية القرن التاسع عشر، وهو تعريف ديني إثني (عرقي) حيث أدى إلى ظهور إشكالية أساسية تعلق بالجانب القومي أو العرقي، حيث يتضمن أن من

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠، ص٣١.

يولد لأم يهودية يظل يهودياً حتى ولم لو لم يمارس تعاليم الدين اليهودي، فهو يهودي بالمعنى العرقي.

أما اليهودي المتهوّد، فكان عليه أن يقوم بتنفيذ جميع الأوامر والنواهي، أي بعبارة أخرى يجب أن يكون يهودياً بالمعنى الديني. لكن هذه الإشكالية كانت هي الأخرى في حالة كمون لأن عدد الذين يتهوّدون أي يدخلون إلى اليهودية كان قليلاً إلى حدٍ كبير، فضلاً أن الترابط كان من المتانة بحيث أن أي يهودي يترك دينه كان عليه أن يتبنى ديناً آخر ويندمج في المجتمع الخارجي وينصهر فيه تماماً، الأمر الذي يحل الإشكالية.

وكان الفيلسوف الهولندي (اسبينوزا) أول يهودي يترك الدين اليهودي ولا يتبنى ديناً آخر، أي إنه كان أول يهودي إثني علماني[1].

أما التعريف الصهيوني اليهودي فهو إعتبار اليهودي كعنصر عرقي متميز. فهم يتحدثون عن (الجنس اليهودي) وعن اليهود باعتبارهم جنساً متميزاً، وقد عرّف كثير من الزعماء الصهاينة، اليهودية: بأنها (مسألة تتعلق بالدم) وتأسيساً على ما تقدم يرى مفكروا الصهيونية اليهودية بأن التزاوج بالأجانب سيؤدي إلى تدهور العرق اليهودي وأنه لا بد من تأسيس وطن قومي ودولة مستقلة يعبر فيها عن عبقريته، ولكن تم التخلي عن هذا التعريف بسبب لا علمية النظريات العرقية وعدم القبولية في الغرب خصوصاً بعد أن استطاع الزعيم الألماني هتلر عن طريق هذه النظريات إقامة جينوسايدات لليهود في ألمانيا وغيرها من الدول الأوربية التي وقعت تحت سيطرته.

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠، ص٣١-٣٢.

لـذا رأى فريـق مـن الصـهاينة أن اليهـود جماعـة مترابطـة ذات تـاريخ مشـترك منفصل ومحدد، وأن ثمة روابط تراثية (وليست عرقية) فريدة بقيت على مدى قرابة أربعة آلاف سنة بين اليهود.

كما أن أصحاب الاتجاه الديني عرّفوا اليهودي على أساس أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين، إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية والعقيدة اليهودية[1].

ومن جانب آخر فإن الدراسات والأبحاث المتعلقة باليهود الكرد قليلة، والدراسات التي ظهرت الى عالم الوجود تتعلق غالبيتها بالدراسات الوصفية والسياسية والاجتماعية،[2] ماعدا الدراسة الاثنولوجية القيمة التي قام بها الباحث اليهودي الالماني اريك براور واكمله الباحث الانثروبولوجي اليهودي الاخر رافائيل باتاي حول يهود كوردستان والصادرة عن دار ئاراس[3]. دراسة براور ومن بعده اضافات رافائيل باتاي لم تتطرق في حقيقة الامر الى كيفية انتقال اليهود الاسرى من فلسطين الى كوردستان على يد الاشوريين، وانما كان جل اعتمادها في المجال التاريخي على دراسات الرحالة اليهود الذين جابوا كوردستان طولاً وعرضاً وكان همهم الاكبر البحث عن الاسباط اليهودية العشرة (الاسطورية) المفقودة، لذا بدأ

---

(١) عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، ص٦٤–٦٥.

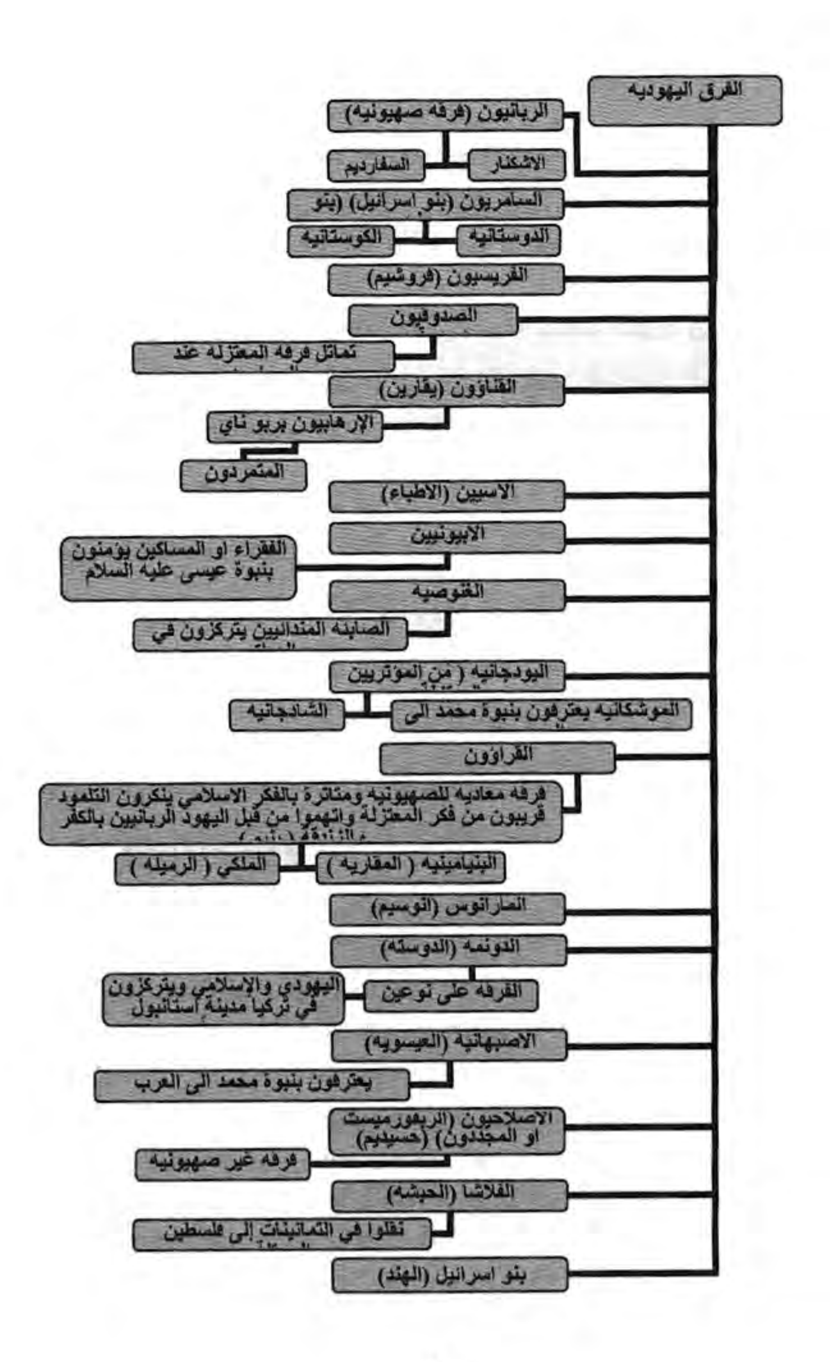
(٢) غنيمة، يوسف رزق الله: نزهة المشتاق في تاريخ العراق، مع ملحق بتاريخ يهود العراق في القرن العشرين، بقلم مير بصري، دار الوراق لندن، ١٩٩٧" معروف، خلدون ناجي: الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ – ١٩٥٢، جزءان، مركز الدراسات الفلسطينية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٧٥" كورية، يعقوب يوسف: يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، الدار الأهلية للطباعة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

(٣) نقلها إلى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، أربيل الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

بحثه ابتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي عندما قام بنيـامين بـن بونـة التطيلـي الاندلسي برحلته الى كوردستان سنة ١١٧١م[1]، لذلك فان اكثر مـن١٥٠٠ سـنة مـن تاريخ اليهـود الكـورد مازالـت غامضـة وبحاجـة الى ابحـاث ودراسـات معمقـة تزيـل الغموض عن هذا التاريخ الطويل. ولا اظن ان دائرة المعارف اليهودية استطاعت ان تميط اللثام عن هذا التاريخ المجهول الى حد كبير.

---

(١) رحلة بنيامين: ترجمها عن الاصل العربي وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد مصدرة بمقدمة للمؤرخ الكبير الاستاذ عباس العزاوي، بغداد الطبعة الاولى ١٣٦٤هـ– ١٩٤٥م.


الفرق اليهوديه
الربانيون (فرقه صهيونيه)
الاشكنار
السفارديم
السامريون (بنو اسرائيل) (بنو
الدوستانيه
الكوستانيه
الفريسيون (فروشيم)
الصدوقيون
تماثل فرقه المعتزله عند
القناؤون (يقارين)
الإرهابيون بريو ناي
المتمردون
الاسيين (الاطباء)
الابيونيين
الفقراء او المساكين يؤمنون
بنبوة عيسى عليه السلام
الغنوصيه
الصابئه المندائيين يتركزون في
اليودجانيه (من المؤتريين
العوشكانيه يعترفون بنبوة محمد الى
الشادجانيه
القراؤون
فرقه معاديه للصهيونيه ومتاثرة بالفكر الاسلامي ينكرون التلمود
قريبون من فكر المعتزلة واتهموا من قبل اليهود الربانيين بالكفر
البنيامينيه (المقاريه)
الملكي (الرميله)
الصارانوس (انوسيم)
الدونمه (الدوسته)
الفرقه على نوعين
اليهودي والإسلامي ويتركزون
في تركيا مدينة استانبول
الاصبهانيه (العيسويه)
يعترفون بنبوة محمد الى العرب
الاصلاحيون (الريفورميست
او المجددون) (حسيديم)
فرقه غير صهيونيه
الفلاشا (الحبشه)
نقلوا في الثمانينات إلى فلسطين
بنو اسرائيل (الهند)

يهود كردستان من السبي إلى الهجرة

قبل التحدث عن كيفية انتشار اليهودية كديانة سماوية في المنطقة الكوردية، لابد لنا من ان نعرف اليهودي اولاً ثم اليهودي الكوردي، فاليهودي من ولد لام يهودية او من تهود[(١)].

اما اليهودي الكوردي فهو كل «من يقطن منطقة يشغلها الكورد ويتكلم الارامية (التارطوم) ولكن ينبغي ان نضيف الى ارضنا هذه بعض المناطق المتفرقة حيث يتحدث اليهود العربية بصورة رئيسية في مدينة نصيبيين مثلاً».

لقد جاءَ اليهود الى كوردستان في موجات عديدة لا شك ان اولها كانت في سنة ٧٣٢ق.م عندما قام الاشوريون بقيادة ملكهم تجلات بلاصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) باسقاط دمشق عام ٧٣٢ ق.م ومن ثم غزو اسرائيل (المملكة الشمالية) حيث سيطروا على اراضي الجليل (شمال فلسطين) وشرق الاردن، وتم سبي قبائل نفتالي[(٢)] وسكان المدن شرق الاردن الى المنطقة الواقعة تحت سيطرة الدولة الاشورية (كوردستان تركيا حالياً)، ولم يبق من مملكة اسرائيل سوى المنطقة المحيطة بالعاصمة السامرة فقط.[(٣)]

---

(١) المسيري، عبد الوهاب: من هو اليهودي، القاهرة دار الشروق الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٣١.

(٢) نفتالي: احدى الاسباط الاثني عشر ينتمون الى نفتالي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (عليهم السلام)، وهذا السبط استقر في منطقة الجليل الشرقي بما في ذلك بحيرة طبرية بناءً على توجيهات خليفة موسى (عليه السلام) يوشع بن نون، بذلك يكون اول سبط استقر في منطقة الحوريين التي سميت فيما بعد بلاد كوردوئيني- كوردستان.

(٣) العهد القديم- الملوك الثاني ٢٩:١٥" اخبار اليوم الاول ٢٦:٥.

وهناك مسلة آشورية نقشت عليها حملة الملك تجلات بلاصر الثالث على بلاد آرام (سوريا) واسرائيل جاء فيها: قمت بضم جميع بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم اترك سوى مدينة السامرة... واخذت نفتالي (احد الاسباط الاثني عشر) وضممتها الى اشور، وعهدت الى رجالي بان يكونوا حكاماً عليها، وجميع سكان ارض عمري وممتلكاتهم حملت الى اشور»[(١)].

وعندما خلف شلمانصر الخامس (٧٢٧- ٧٢٢ق.م) تجلات بيلاصر في حكم مملكة اشور، انتهز الملك الاسرائيل هوشع بن ايلاه (٧٣٢- ٧٢٣ق.م) الفرصة ورفض دفع الجزية لاشور، وبدأ في اجراء اتصالات مع الفرعون المصري (سوا sau)، فما كان من الملك الاشوري شلمانصر الا ان تحرك على راس جيشه وحاصر العاصمة السامرة عام ٧٢٤ق.م، مما اضطر هوشع لدفع الجزية. ويبدو ان شلمانصر الخامس تغاظ عن اسقاط العاصمة السامرة لكي يوفر جهده لمحاربة صور، ولكنه على اية حال عندما علم بالاتصالات السرية بين اسرائيل ومصر القى القبض على هوشع وأودعه السجن، وفي رواية اخرى ان هوشع أسر اثناء الحصار.[(٢)]

ونتيجة لعدم ايفاء المملكة الاسرائيلية بوعودها تجاه الاشوريين ومساندتها لهم لضم مدينة صور، فقد بدأ الاشوريون من جديد بمحاصرة السامرة وصور في عهد ملكهم الجديد سرجون الثاني (٧٢٢- ٧٠٥ق.م) الذي خلف شلمانصر الخامس في

---

(١) سوسة، احمد: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٠٥- ٣٠٦.

(٢) عبد الحليم، مصطفى كمال وزميله: اليهود في العالم القديم، دمشق- بيروت دار القلم، ١٤١٦هـ- ١٩٨٥م، ص ١٤٨ نقلاً عن شموئيل بابين: تاريخ اسرائيل، ص٢٤٩.

عرش اشور. وفي السنة الاولى لحكم سرجون سقطت العاصمة السامرة حيث نسب هذا الفضل اليه، بينما يعزو العهد القديم النصر الحقيقي لشلمانصر الخامس.[1]

وعلى اية حال فان الاشوريين القادمين من نينوى هم الذين اسقطوا العاصمة الاسرائيلية السامرة، وبدأوا في عملية تهديد المملكة الثانية (يهودا- المملكة الجنوبية) وتحديداً عاصمتها اورشليم- القدس التي كانت تقع على مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً من الحدود الجنوبية لمملكة اسرائيل.

وقد اتبع الاشوريون اسلوبهم القديم فقاموا بنقل اعداد كبيرة من المهنيين اليهود الى مناطق بعيدة داخل امبراطوريتهم الى حلج والخابور والى مدن اقليم ميديا (كوردستان الجنوبية والشرقية).

وقد تحدثت الحوليات الاشورية باسهاب عن عملية نقل سكان المملكة الاسرائيلية الى داخل اراضي الامبراطورية الاشورية، حيث جاء في نص عائد للملك سرجون الثاني خلال السنة الاولى من حكمه ما يلي: "في بداية حكم الملك انا... بلد السامريين حاصرتها وفتحتها... لاجل الإله... الذي جعلني احرز النصر... وقد نفيت ٢٧٢٩٠ شخصاً من سكانها وجهزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين عربة لاجل حرسي الملكي...".

وبعد سقوط الدولة الاشورية عام ٦١٢ق.م على يد التحالف الكلداني- الميدي، فان الدولة الكلدانية- البابلية قامت بشن هجمات عديدة على المملكة الجنوبية (يهودا) لاسباب عديدة، منها عدم التزامها بعهودها، فضلاً عن التدخل المصري في شؤونها، مما حدا بالملك البابلي نبوخذ نصر الى اسقاطها نهائياً عام ٥٨٦ق.م

---

(١) العهد القديم: المصدر نفسه. ص ٢٤٩.

واحتلال عاصمتها اورشليم وتدمير هيكل سليمان (المسجد الاقصى)، وتم جلب آلاف اليهود كأسرى فيما عرف بالسبي البابلي.

بخصوص اليهود الذين تم جلبهم الى مناطق كوردستان، فقد اختفت اخبارهم، لذا سماهم الباحثين بالاسباط المفقودة The Lost Tribes، والثابت في التقاليد اليهودية ان هؤلاء هم الاسباط العشرة من مجموع الاثني عشر سبطاً وهم:

ت	الاسباط الاثني عشر	الاسباط العشرة في كوردستان (اسرى السبي الاشوري)	الاسباط الاثنان في بابل (اسرى السبي البابلي)	الملاحظات
١	نفتالي	نفتالي	بنيامين	
٢	شمعون	شمعون	يهودا	
٣	لاوي	لاوي		
٤	يساكر	يساكر		
٥	زبولون	زبولون		
٦	دان	دان		
٧	رآوبين	رآوبين		
٨	جاد	جاد		
٩	أشير	أشير		
١٠	يوسف	يوسف		
١١	بنيامين			
١٢	يهودا			

إمـارة حـديـاب (اديـابيــن)

بعد أن سيطر الفرثيون (الاشغان– ملوك الطوائف) على مقاليد الامور في ايـران والعـراق وكوردسـتان في سـنة ١٢٦ ق.م وازاحـتهم للسـلوقيين خلفـاء الاسـكندر المقدوني، تأسست في نفس المنطقة التي سبي اليها اليهود في العهد الاشوري امـارة واسعة مزدهرة تدعى امارة حدياب– اديابين Adiabene و بالعربيـة حـزة، انحـدر ملوكها من اسرة من قبائل السكس (الاسكيث) التي استكردت بمرور الـزمن بجانـب القبائل الميدية[١]. وقد امتد نفوذ هذه الامارة من منطقـة اذربيجـان وشـرقي دجلـة الى منطقة نصيبين.

وكان ملك هذه الامارة مونوبازوس (مونابان) قـد تـزوج شـقيقته الملكـة هيلانـة (توفيت سنة ٥٠م) حسب العقائد الوثنية باعتبارها الديانة الرسمية للامـارة، ورزقـا بطفل سمياه ايزاتيس (عزة الثاني) الذي تولى الامارة سـنة ٣٦م واعتنـق اليهوديـة وامتد حكمة حتـى تـوفي سـنة ٦٠م حيـث دام حكـم الامـارة ٧٩ سـنة الى ان غزاهـا الامبراطور الروماني تراجان سنة ١١٦م[٢].

ومن الجدير بالملاحظة ان المؤرخ العراقي احمد سوسـة ينـاقض نفسـه حينمـا يحدد موقـع إمـارة حـدياب في اقلـيم كوردسـتان، في الوقـت الـذي يعتـبر أهلـها مـن الاراميين بقوله: "و لما كان أهل حدياب من الآراميين لغةً وجنساً فالارجح ان الملك (ايزاط– عزة) كان قبـل تهـوده آراميـاً يـدين بالوثنيـة".[٣] والصـحيح ان منطقـة حدياب كانت تضم خليطاً من القبائل السـكيثية– الميديـة الـتي اسـتكردت حسـب

---

(١) د. جمال رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، اربيل دار ئاراس، ٢٠٠٣م ١٢ ص٢٦٠.

(٢) احمد سوسة: ابحاث في اليهودية والصهيونية، اربد دار الامل، ٢٠٠٣م، ص ١١٢– ١١٣.

(٣) احمد سوسة: المرجع السابق، ص ١١٣.

قول المؤرخ الكوردي جمال رشيد فضلاً عن سكانها الكورد الاصليين مع اقليات آرامية وثنية سرعان ما دخلت في النصرانية بعد وصولها الى منطقة كوردستان في بداية القرن الثالث الميلادي وليس في نهاية القرن الاول كما تزعم بعض المصادر السريانية، يقول المطران ادي شير بهذا الخصوص: "أما حدياب وسماها العرب حزة فموقعها بين الزابين وكانت تمتد الى آثور والى نصيبين ايضاً وكانت قاعدتها مدينة اربيل وفي الجيل الاول (القرن الاول) للمسيح كان يملك فيها ملك اسمه ايزاط... وقال عنه يوسفوس المؤرخ اليهودي انه اعتنق الديانة اليهودية على يد حنينا، واشتهرت امه هيلانة بانها في مجاعة حدثت في زمانها في اورشليم جلبت القمح من مصر ووزعته على اهل اورشليم...» (1).

وقد عثر على قبر هيلانة ملكة حدياب في القدس في المقبرة المعروفة بمقبرة السلاطين (امام مدرسة المطران) التي يعود تاريخها الى ٥٠– ٦٠م حيث توجد كتابة منقوشة على قبرها الحجري تدل على تعيينه، وتشير المعلومات الى ان هيلانة امرت قبيل وفاتها بحفر قبر لها في الصخر في القدس ثم حفرت فيما بعد قبور مجاورة لابنائها في نفس المقبرة(2).

---

(١) تاريخ كلدو وآثور، بيروت ١٩١٣م، ١٢ ص ١٧٨– ١٧٩" وقد جانب الصواب جمال رشيد عندما ذكر ان الملك مونوبازوس والد عزة قد اعتنق اليهودية، والصحيح ان عزة هو الذي اعتنق اليهودية، عندما ارسله والده الى امارة ميسان (جنوب العراق) لينشأ هناك برعاية ملكها اينطاى الاول. وقد عاد عزة بعد اعتناقه اليهودية لحكم امارة حدياب (اديابين) وعمل على توسيع نفوذ اليهودية فيها. انظر:

.Javier Teixidor, The King dom of Adiabene and Hatra, Berytus, 1967,vol. 27

(٢) احمد سوسة المرجع السابق، هامش ١٦ ص١٤٠ نقلاً عن ميلر بروز: مخطوطات البحر الميت، الترجمة العربية، ١٩٦٧، ص ٢١٢.

ويعتقد كثير من الباحثين ان تسمية القبيلة الكوردية الضاربة الهذبانية ربما تعود الى الامارة الاديابينية بسبب تطابق مناطق سكانها، وان مضارب الهذبانية في العصر الاسلامي تقع في نفس مناطق امارة اديابين بين الزابين.

اليهود الكورد في العصر الإسلامي

ان المصادر الإسلامية لم تذكر الا النزر اليسير من اخبار اليهود في العصور الاسلامية التي تلت حقبة الرسالة المحمدية والخلافة الراشدة، والمعلومات التي وردت جاءت على سبيل العرض او تنظيم علاقة اهل الذمة من اليهود والنصارى بالدولة والمجتمع الاسلامي. اما بخصوص اليهود الكوردستانيين فالمعلومات عنهم شحيحة لا تتجاوز عدة روايات او بالاحرى روايتين الاولى ذكرها اليهودي المهتدي الى الاسلام السموأل بن يحيى بن عباس المغربي في كتابه افحام اليهود سنة ١١٦٥[(١)]، والثانية ذكرها الرحالة بنيامين بن تطيلة الاندلسي سنة ١١٧٠م[(٢)]، وملخص الروايتين ما ذكرهما بنيامين بقوله: "العمادية يقيم بها نحو خمسة وعشرين الف يهودي[(٣)] وهم جماعات منتشرة في اكثر من مائة موقع من جبال خفتيان عند تخوم بلاد مادي. ويهودها من بقايا الجالية الاولى التى اسرها شلمانصر ملك اشور ويتفاهمون بلسان الترجوم (لهجة ارامية) وبينهم عدد من كبار العلماء. والعمادية

---

(١) تقديم، تحقيق، تعليق د. محمد عبدالله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، السعودية ١٤٠٧هـ، ص ١٨١– ١٨٤

(٢) رحلة بنيامين: المصدر السابق، ص ١٥٤– ١٥٥.

(٣) يبدو ان بنيامين قد بالغ في تقدير نفوس اليهود في العمادية كعادته في تضخيمهم في باقي بقاع العالم الاسلامي بالرغم من كونهم اقلية في كوردستان وباقي المناطق.

على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم (فارس) يؤدي يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الاسلامية،... وقبل عشر سنوات (١١٦٠م) قامت في العمادية فتنة داود بن الروحي وكان هذا قد تلقى العلم في بغداد عن حسداي رأس الجالوت (رئيس الطائفة اليهودية) وعن علي رأس مثيبة (غاؤون يعقوب- مدير مدرسة يهودية). فتضلع بالتوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم وبرع بلغة المسلمين (اللغة العربية) وآدابهم ونبغ بفنون السحر والشعوذة، فدخل في روعه ان يعلن العصيان على ملك العجم ويجمع حوله اليهود القاطنين في جبال حبتون ومقاتلة النصارى المتمكنين من اورشليم والاستيلاء عليها وطردهم منها فشرع بنشر دعوته بين اليهود ويدعم دعوته بالبراهين الباطلة، كأن يقول لهم: (ان الله قيضني لفتح القدس وانقاذكم من نير الاستعباد) فأمنت به جماعة من بسطاء اليهود وحسبوه المسيح المنتظر".[١]

وعلى اية حال فقد كان مصير هذه المعركة اليهودية الفشل وقتل مؤسسها على يد السلاجقة.

اثر الحركة الصهيونية على الكورد

كان اليهود الكورد يعيشون في ود وسلام مع مواطنيهم من المسلمين والنصارى وبقية اطياف المجتمع الكوردستاني لاتشوب علاقاتهم اية شائبة.

و كان اليهود الكورد قد سبقوا اليهود الاخرين في الهجرة الى فلسطين بصورة فردية لدوافع دينية اعتباراً من عام ١٨١٢م، وبتأثير الرسائل الدعاية التي كان اليهود الكورد يتلقونها من المهاجرين الذين سبقوهم ويصورون لهم الوضع بانه كان

(١) السموأل: افحام اليهود، ص ١٥٥.

مثالياً، فقد بدأ اليهود الكورد في الانضمام الى اخوانهم في فلسطين، فعلى سبيل المثال هاجر جميع يهود قرية برآشي الواقعة شرق مصيف سوارقتوكة شمال دهوك الى فلسطين وبنوا لانفسهم كنيساً هناك[1].

ولكن هذه الهجرة اتخذت ابعاداً بعد اخرى ظهور الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل ومناداتها بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٦ هاجر الف وتسعمائة يهودي من كوردستان الى فلسطين، وهذا عدد كبير لو قيس بعدد اليهود الكورد آنذاك.

اما بخصوص النشاط الصهيوني وتأسيس الاحزاب والحركات الصهيونية في كوردستان، فقد كان لمدن اربيل وكركوك وخانقين القدح المعلي في هذا المضمار، ففي اربيل كان (نوريئيل) رئيس الطائفة اليهودية فيها هو مسؤول النشاط الصهيوني فيها وقد ارسل مبالغ مالية كبيرة الى الكيرن كيمث (الصندوق التأسيسي اليهودي)، ونظراً لذلك فقد دعي لحضور المؤتمر الصهيوني الخامس عشر (المنعقد في سنة ١٩٢٧) الا ان معرفة السلطات الملكية العراقية آنذاك وتحريض بعض رؤوساء الطائفة اليهودية في بغداد ومن المعارضين للصهيونية حال دون سفره، اذ منع من السفر. ومن نشطاء الصهيونية في مدينة كركوك (اسحاق دانييل) الذي كان نائباً في البرلمان العراقي اعتباراً في سنة ١٩٢٤ وقد جبى التبرعات لصالح الكيرن كيمث[2].

---

(١) اريك براور: المرجع السابق، ص ٧٩- ٨٠.

(٢) السوداني، صادق حسن: النشاط الصهيوني في العراق، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد ١٩٨٠، ص ٦٢.

اما في مدينة خانقين فقد نصب (ابراهيم ساسون) نسيم الملقب بابراهام نفسه وكيلاً للكيرن كيمث وكان مهووساً بالصهيونية، ورغم خلافه مع رئيس الطائفة اليهودية في خانقين فقد تمكن من ارسال كمية كبيرة من المال، فضلاً عن ارسال بعض المهاجرين الى فلسطين في عام ١٩٣٥[١].

و كانت هناك عدة جمعيات صهيونية انشأت في العراق، كانت حصة كوردستان منها كالاتي:

١- منظمة بني يهوذا في اربيل.

٢- منظمة بني يهوذا في خانقين.

٣- منظمة الهاجاناه (الدفاع) في كركوك عام ,١٩٤٦

٤- حركة حالوتس (الطلائع) في كركوك تحت اسم (قعوروت) عام ١٩٤٤.

٥- حركة حالوتس في اربيل تحت اسم (طبريا) في شهر آذار عام ,١٩٤٧

٦- حركة حالوتس في حلبجة تحت اسم (تل حاي) في شهر آذار عام ١٩٤٧[٢].

وأثناء الحوادث التي قامت بها المنظمة الصهيونية هشوراه ضد المنشآت اليهودية في بغداد عام ١٩٥٠-١٩٥١ بقصد الضغط على الطائفة اليهودية للهجرة الى فلسطين، قام المحامي الكوردي جمال بابان الذي استوزر عدة مرات في العهد الملكي بالدفاع عن اليهود المشتركين في هذه العملية وبالأخص مردخاي بن بورات وتمكن من اطلاق سراحه بعد ان « تسلم مبلغاً محترماً من المال» على حد تعبير

---

(١) السوداني: المرجع السابق، ص ٦١- ٦٢.

(٢) المسيري، عبد الوهاب محمد بالاشتراك مع سوسن حسين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية- رؤية نقدية، القاهرة مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧٤.

(شلومو هيلل). وقد اتهم جمال بابان بالخيانة ومساعدة الصهاينة آنذاك وارسل اليه طرد ملغوم الى منزله، وجرح من جرائه الخادم الذي يعمل في بيته[1].

الاماكن المقدسة والمعابد اليهودية في كوردستان

لليهود عدة اماكن مقدسة خاصة بهم في العراق، أما في كوردستان فلديهم عدة أماكن مقدسة تحديدا وهي:

١- قبر النبي ناحوم الألقوشي في القوش شمال شرق الموصل.[2]
٢- قبري حازان ديفيد وحازان يوسف في العمادية.[3]
٣- كهف إيليا في قرية بيَتنور في منطقة برواري بالا (العليا).[4]
٤- ضريح دانيال ورفاقه في مدينة كركوك.[5]
٥- مرقدي إستير وعمها مردخاي في مدينة همدان.[6]
٦- قبر ر. ناثانيل هاليفي بارزاني في قرية بارزان.[7]

---

(١) المفتي، عبد المنعم: التغلغل الاسرائيلي في كوردستان العراق – صحيفة الشرق الاوسط، العدد ٤٣٧٨ في ١٩٩٧.

(٢) پی رەش: بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي ١٨٢٦-١٩١٤، ١٩٨٠، ص٢٦.

(٣) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، لندن دار الوراق، ١٩٩٧، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٤) إريك براور: يهود كردستان، نقله الى العربية شاخوان كركوكي وعبدالرزاق بوتاني، اربيل دار ئاراس ٢٠٠٢م، ص٣٥٢.

(٥) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٦) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٧) رحلة بنيامين، ترجمها عن الاصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، بغداد المطبعة الشرقية، ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م، ص١٥٨" همدان، اعرق من التاريخ، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران – ايران، ١٩٩٥، بلا صفحة.

٧- قبر شموئيل ناثانيل بارزاني في مدينة الموصل ويسمى شيره دين (الأسد المجنون) [(١)]

٨- قبر في كنيس نصيبين في كوردستان الشمالية (تركيا)

أما بخصوص الكنيسات اليهودية (كنيشته) في كوردستان فلا تكاد مدينة أو قصبة كردية تخلو منها، بعكس القرى الكردية فإنها تخلو من الكنيسات إلا ما ندر. فقريتي سندور وبيتنور (بيت النور) يهوديتان خالصتان، وهناك قرى كردية أخرى تتواجد فيها الكنيسات مثل:

ت	إسم القرية	الملاحظات
٠١	نيروه	قرية في كوردستان العراق بالقرب من الحدود التركية
٠٢	بارزان	ناحية تابعة لقضاء ميركەسور وهي مسقط رأس الزعيم الكردي مصطفى البارزاني
٠٣	برآش	قرية تقع في شرق مصيف سوارەتوكا في سفح جبل كارة
٠٤	جلـــــي (جقورجة)	ناحية تقع في كوردستان تركيا بالقرب من الحدود العراقية
٠٥	كوهرز	قرية تقع شرق العمادية
٠٦	شندوخا	قرية تقع في ضواحي دهوك
٠٧	شوخو	قرية تقع شمال غرب العمادية
٠٨	شرانش	قرية تقع شمال زاخو
٠٩	ميزة	قرية تقع في سفح جبل كارة
٠١٠	شوشي	قرية تقع شرق عقرة
٠١١	هركي	منطقة تقع شمال شرق بارزان
٠١٢	تاصيا	قرية تقع في كوردستان تركيا قرب أورمار

(١) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢، ويبدو ان الكاتب ناقض نفسه فهو يقول في موضع آخر بأن قبر ناثانيل هاليفي بارزاني يقع في مدينة الموصل وان يهودها يزورونه للتبرك به.

١٣.	رولكه	قرية تقع قرب العمادية
١٤.	روبار	قرية تقع قرب العمادية
١٥.	رفلا	قرية تقع قرب العمادية
١٦.	گەرەگو	قرية تقع شرق مصيف سرسنك
١٧.	قدش	قرية كبيرة (مجمع) تقع غرب العمادية
١٨.	كاني بلاف	قرية تقع في سفح جبل متين
١٩.	خێلكا	قرية تقع في منطقة نێروه و رێكان، شمال شرق العمادية

وفيما يلي جدول باسماء وأعداد الكُنيسات اليهودية في المدن والقصبات الكردية:

ت	الموقع	العدد
١.	أربيل	٣
٢.	العمادية	٢
٣.	كركوك	٢
٤.	زاخو	٢
٥.	دهوك	٢
٦.	السليمانية	١
٧.	باشقلعة	١
٨.	كويسنجق	١
٩.	حلبجة	١
١٠.	عقرة	١
١١.	شقلاوة	١
١٢.	رواندوز	١
١٣.	خانقين	١
١٤.	كفري	١
١٥.	بنجوين	١

١٦.	هيزان	١
١٧.	سنة (سننج)	٢
١٨.	أورمية	١
١٩.	صابلاغ – مهاباد	١
٢٠.	شنو (اشنوية)	١
٢١.	دياربكر	١
٢٢.	ماردين	١
٢٣.	جزيرة ابن عمر (جزيرة)	١

كما كانت تتواجد في بعض المدن والقرى الكردية مدارس يهودية ملحقة بالكنيسات أو منفصلة عنها، وفيما يلي جدول بمواقع هذه المدارس:

ت	الموقع	الملاحظات
	أربيل	مدرسة ملحقة بالكنيس
	كركوك	المدرسة الاسرائيلية في كركوك
	عمادية	مدرسة ملحقة بالكنيس
	سنة (سنندج)	عاصمة كوردستان إيران (مدرستان احداهما للذكور والاخرى للاناث)
	خانقين	مدرسة ملحقة بالكنيس
	زاخو	مدرسة ملحقة بالكنيس
	شنو (اشنوية)	مدينة في كوردستان إيران
	نيروة	قرية في كوردستان العراق شمال – شرق العمادية بالقرب من الحدود التركية

(٣)

مصادر التشريع عند اليهود الكورد

ان من مصادر الشريعة اليهودية التوارة، وقد قال رجال الدين اليهود، ان موسى لم يترك لهم شريعة مكتوبة قط التي تحتويها (الاسفار الخمسة) وانما ترك شريعة شفوية تلقاها التلاميذ من المعلمين، ووسعوا فيها جيلا بعد جيل. هولاء الفو في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية التلمود الفلسطيني والبابلي[1].

وقد اثار التلمود الجدل بين طوائف اليهود في هل الشريعة الشفوية (التلمود) من عند الله وتجب طاعتها ؟ فآمن منهم بأنها أوامر من عند الله، وأضافوها الى أسفار موسى الخمسة، فتكونت منهم جميعا التوراة، وأتخذت صورتها النهائية المعروفة

---

(١) لفظ التلموذ يعني التعليم، وهو يشمل المشنا والجمارا، ولا يختلف التمودان الا في الجمارا أوالشروح فهي في التلمود البابلي أربعة امثالها في التلمود الفلسطيني فيشتمل الاول على ٢٠٤٩ ورقة كبيرة، ويشتمل الثاني على ٨٠٠ صفحة . وتنقسم المشنا الى ستة فصول وكل فصل الى عدة مقالات يبلغ مجموعها ثلاثة وستين وتنقسم كل منها الى عدة تعاليم، ولغة الجمارا البابلية والفلسطينية آرامية، اما لغة المشنا فهي العبرية تتخللها الفاظ ومفردات من اللغات المجاورة، ويقول المسعودي : واوا من تكلم بالعبرية ابراهيم الخليل بعد ان خرج من بابل الى حران وعبر نهر الفرات فتكلم بها فسميت العبرانية وبها نزلت التوراة، غير ان يهود العراق لغتهم هي اللغة السريانية وتعرف ب (الترجوم) يفسرون بها التوراة من العبرانية لوضوحها عندهم ولتعذر فهم العبرلنية على كثير منهم . ينظر (المسعودي : التنبيه والاشراف ،ص٧٩).

بالمشنا (التعاليم الشفوية) ووضعت لها شروحا، وقد اختلف اليهود في العالم في تفسير المشنا وأحكامه، وحاولوا تفسيره بما يلائم وطبيعة العصر. [1]

ويقول المستشرق لوبون: وقد الف كتاب التوراة في ادوار مختلفة مما جعله مملوءاً بالارتباكات والاختلاطات والروايات المرتبة المصنوعة، ففيها الاقاصيص وبها سفر اشعيا والاساطير والقطع الروائية، والنبذ التعليمية، والاناشيد الدينية، والاغاني الحربية، والقصائد الغزلية والخيالية، والمجموعات الحكمية، والشرعية. وقد اتفق شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها كتبه الخمسة، وأهم هذه النسخ نسخة (الوهيم) و (يهوا) ونسخة (الكهنة) و (التثنية). فتسمية نسخة (الوهيم) هي الكلمة التي تطلق فيها على الاله، وكذلك (يهوا) اسم للاله عليها. ونسخة الكهنة لانهم جمعوا كتب الشريعة التي تخص العقائد والمراسيم وأخبار الهيكل والعبادة التي كتب منها على أيام مملكة اسرائيل (الشمالية)، وما كتب في السبي البابلبي لليهودفي العراق[2]

فقد أمر موسى بوضع نسخة التوراة في تابوت العهد (الأمانة) وعدم طلوعها إلا في كل سبعة من السنين لإسماع بني إسرائيل، كما وضخ كيفية وضعها في تابوت العهد[3]. فضاعت وقد ذهب بعضه إلا أن النبي عزرا (عزير) كان قد عمل نسخة من التوراة بعد تدميرها بدعم الأنبياء حجي وزكريا.

وقد إتفق العديد من الباحثين على أن النسخة الأصلية من التوراة قد ضاعت عندما إحتل الملك البابلي بختنصر (نبوخذنصر) أورشليم القدس ودمر المعبد

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة

(٢) لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ص ٧٢، ٧٤

(٣) عباس محمود العقاد: ابو الانبياء الخليل ابراهيم ،سلسلة كتاب اليوم ،ص٢٩

وسبا اليهود إلى بابل. وضاعت هذه النسخة في حادثة ملك البطالمة (انتيوخوس أبيفانس) عام ١٦٥ق.م (٥) [١] عندما أرغم اليهود على عبادة الاصنام، ولكن كاهنهم الاكبر قاد حركة مقاومة ضده يعاونه أبناؤه الثمانية، وتمكن الكاهن (متانيا) بمساعدة أصغر أبنائه المدعو (يهوذا المكابي) استعادة الهيكل من جيوش البطالمة، وقيل ايضا ان نسخ العهد القديم التي كانت موجودة كتبت ما بين سنتي الف و ١٤٠٠م، وان جميع الكتب التي كانت قد كتبت في المائة السابعة والثامنة اعدمت بأمر محفل شورى اليهود، لانها كانت تخالف معتقداتهم مخالفة كبيرة . [٢]

والتوراة تتضمن خمسة وأربعين سفراً [٣]، ويرى اليهود أن الأسفار الخمسة الأولى هي التوراة التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام، وأما الأسفار الأربعون الأخرى فتتضمن أخبار أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى وتاريخهم وأناشيدهم ونبوءاتهم. والأسفار الخمسة هي:

١- سفر التكوين: ويتناول الخليقة من آدم، والطوفان، وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف.

٢- سفر الخروج: ويبحث في أحكام العقيدة اليهودية وفي خروج بني إسرائيل من مصر، وفي أحكام الزواج.

---

(١) قاسم عبده قاسم :اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،الطبعة الاولى ١٩٨٠، ص ٦٤.

(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ،ج١ ص١١٣.

(٣) السفر : يسمى كل كتاب من كتب العهد القديم سفر (جواد علي : علم ابن النديم بالنصرانية واليهودية ص٨٩) وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بصيغة الجمع (... ويحمل أسفاراً) (سورة الجمعة الاية ٥)، وينقسم كل سفر الى اصحاح ويطلق على الاصحاح عند اليهود (براشا) وهي كما ذكرها ابن النديم بمعنى (السورة)، وينقسم كل اصحاح الى (ابسوقات) ومعناها الآيات (جواد علي : علم ابن النديم ،ص٩٠).

٣- سفر اللاويين: ويتناول أحكام العبادات، والزواج والزنا.

٤- سفر العدد: ويروي أخبار الأسباط، وحياة الأسرة والميراث.

٥- سفر تثنية الإشتراع: ويتضمن وصايا موسى، وأحكام الطلاق. (١)

والمصدر الآخر من مصادر الشريعة اليهودية هو (التلمود) ويعتبره الربّانيون هو التوراة الثانية، وهو يتضمن (للمشنا) و (الجمارة) ويطلق بنوع خاص على الجمارة وحدها، ولا سيما التلمود البابلي ويتضمن الوصايا العشر والشرائع الدينية والمدنية والتعاليم والأحكام التي بلغها موسى شفاهة لقومه وجمعها علماء اليهود فيما بعد، وأطلقوا عليها المشنا. وكان جمعها بعد عودة اليهود إلى فلسطين بعد السبي البابلي في عهد الملك الفارسي الأخميني (كورش)، حيث خشي اليهود أن تضيع أقوال موسى فجمعوا الأحبار بزعامة الكاهن (عزرا) ودونوها. (٢)

أما كتاب (يشوع) الذي يلي التوراة والتلمود في الترتيب، وهو في مقدمة كتب الأنبياء عند اليهود، ويبحث في إفتتاح الأرض المقدسة. وأما كتاب (زبور) داود عليه السلام فقصد به إبن النديم (المزامير) وهو أصل عبراني، ويقابله في السريانية أيضاً (مزمور)، ورد في ا لقرآن الكريم بلفظ (الزبور). والظاهر أن اللفظ من أصل عربي جنوبي ومعناها (الكتاب) (٣) والمصدر الأخير من مصادر الفكر الديني عند اليهود هو الفقه، وهو مصدر لفهم أحكام التوراة والتلمود، ويسميه اليهود بـ (المدراش) أو الدراسات، وتتضمن أقوال الفقهاء، واشهرها مدراش (رباه) التي

---

(١) العطار : احكام الاسرة عند المسيحيين واليهود ،ص٩-١٠

(٢) توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة في العراق، دار العلوم للطباعة والنشر ،الرياض ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ،ص٢٤٢

(٣) جواد علي : علم ابن النديم باليهودية والنصرانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، ص٩٢

تدور كل دراسة منها على كتاب من كتب التوراة الخمسة وقد تمت كتابتهاعند القرن السادس الميلادي. ولغة هذه الكتب عبرية[(١)] .

ويشرف على تنفيذ هذه التعاليم والشعائر اليهودية وتفسير نصوص الكتب المقدسة الحاخام (حخام) وهو الحبر أو الرئيس ا لديني الأعلى والفقيه. وأما (الحزان) وهو في العبرية بلا ألف (الحَزَن) ولكنها تنطق كأنها بألف، وهو المشرف على الكنيس، والقيم على الصلاة، والإمام المصلي وهو أيضاً بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم. والامام الذي يصلي بهم يسميه القلقشندي[(٢)] (الشليمصيور)، والكورد يسمونه المعلم، ولا يفرقون في ذلك، وهذا ناتج في حقيقة الامر انه لم يكن يتواجد عند الكورد رجال دين يهود بمرتبة كبيرة .

أعياد اليهود الكورد

قسمت المصادر الاسلامية اعياد اليهود المعروفة الى قسمين هما: الاعياد الشرعية، وعددها خمسة أعياد هي ما نطقت به التوراة وهي كما يلي:

١- عيد رأس السنة العبرية .

٢- عيد صوماري او (الكيبور).

٣- عيد المظلو او (الظلل).

٤- عيد الفصح (الفطير).

٥- عيد الاسابيع أو (عيد العنصرة) أو (عيد الخطاب).[٣]

---

(١) العقاد : ابو الانبياء ،ص٤٣

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا، بيروت دار احياء التراث العربي، ج٥ص٤٧٤

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج١٣ ص ٢٦٨-٢٦٩.

وكان لليهود أعياد محدثة بخلاف أعيادهم الشرعية، وعددها كبير ولكن أشهرها عند اليهود الكورد ثلاثة:

١- عيد البوريم (البيوريم) أي عيد الفوز، وموعد هذا العيد الرابع عشر من شهر آذار،ويبدأ في الثالث عشر من شهر آذار بصوم يسمى (صوم استير)، ويستمر حتى الخامس عشر من نفس الشهر باحتفال صاخب كرنفال) - وتدور الاصول التاريخية لهذا العيد حول قصة (أستير) الواردة في السفر المعروف باسمها، ورغم ان هذا السفر لا يعتبر من الاسفار القانونية في التوراة، إلاّ ان مثقفي اليهود ما يزالون يقرأون فصوله في معابدهم أثناء احتفالات هذا العيد، ويتكون هذا السفر من اثني عشر اصحاحاً تحكي قصة مؤداها انه بعد تدمير أورشليم (القدس) على يد الملك البابلي بختنصر (نبوخذنصر) سنة ٥٨٦ق.م وحوادث ألاسر البابلي الشهير، حدث أثناء سكنى اليهود في بابل بعد نقلهم من فلسطين أن وقع الملك الاخميني المدعو (اكسركسيس) يسميه اليهود (أحشويرش الاول) ٤٨٥-٤٦٥ق.م، ويطلق عليه المؤرخون العرب اسم (أردشيربن بابك) في غرام أستير التي كانت فتاة رائعة الجمال، وكانت ابنة عم أحد أحبار اليهود واسمه (مردخاي)، ولما تم زواج الامبراطور من (أستير) حظيت عنده، مما جعله يقرب ابن عمها (مردخاي)، ولكن وزير الامبراطور المدعو (هامان - هيمون) أكلته الغيرة من (مردخاي) وغاظه ما توصل اليه اليهود من مكانة في الامبراطورية ، فأقسم ان يستأصل شأفتهم جميعاً من بلاده . ولكن جواسيس (مردخاي) أخبروه بذلك فنقله الى ابنة عمه (أستير) التي أخبرت الامبراطور،فأمر بقتل (هامان - هيمون)، وأباح لليهود قتل شيعته من الفرس لمدة يومين مابين الثالث عشر والخامس عشر من آذار[١] .

---

(١) قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر، ص٦٢ -٦٣.

ويحتفل اليهود به في اليوم الرابع عشر من شهر آذار (آخر شباط – آذار). وفي رواية للمؤرخ البيروني المتوفى سنة ٤٠٤هـ يحتفل به في اليوم الرابع عشر والخامس عشر من آذار، أما الدكتور حسن ظاظا فيذكر أن اليهود يحتفلون به لمدة ثلاثة أيام ،اليوم الثالث عشر من آذار وهو صيام عندهم يعرف بصيام أستير، واليوم الرابع عشر فهو العيد الذي يستمر طيلة اليوم ويطلق عليه يوم بوريم[(١)]، واليوم الخامس عشر وهو يوم الكرنفال[(٢)].

أما بخصوص اليهود الكورد فانهم لا يستخدمون تسمية (البوريم أو البيوريم) لهذا العيد الا نادراً، فالتسمية الاكثر شيوعاً بينهم هي (ميكيلا –او ميكالا)أو موعيد ميكيلا (عيد الرق) في مدن منطقة بهدينان (زاخو ودهوك والعمادية)، وهناك ايضا تعبير (جيزنا هامان– عيد هامان) في مدينة شنو (آشنوية) في كوردستان ايران وفي مدينة السليمانية، ويطلق يهود مدينة سنة على هذا العيد تسمية (ليلانجي)، بينما يطلق كورد منطقة سنة على البوريم اسم (نُورون) لتزامنه مع احتفال الفرس برأس السنة على حد تعبير الانثروبولوجي اليهودي الالماني (اريك براور)[(٣)].

ومن الطريف أن هذا العيد اليهودي الذي يصادف الرابع عشر من شهر آذار يتزامن مع عيد ميلاد الزعيم الكوردي ملا مصطفى البارزاني (رحمه الله) في الرابع

---

(١) البوريم أو الفوريم من كلمة (بور) أو (فور) الفارسية ومعناها (القرعة) مشيرين بذلك الى القرعة التي ألقاها الوزير (هامان) لتحديد اليوم الذي يهلك فيه اليهود.

(٢) الفكر الديني الاسرائيلي، ص٢٠٧ –٢١٢.

(٣) يهود كردستان، اكمله واصدره رافائيل باتاي، نقله الى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني ،دار ئاراس اربيل ،٢٠٠٢م، ص٤١٦.

عشر من شهر آذار سنة ١٩٠٣م، ومع انتفاضة أهالي دهوك ضد نظام الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين في الرابع عشر من شهر آذار سنة ١٩٩١م.

اما العيد الثاني عند اليهود الكورد فهو عيد الحنكة أو (الحانوكة)[١] وهو ثمانية أيام تبدأ في ليلة الخامس والعشرين من شهر كسليومن كل عام، وترجع مناسبة هذا العيد الى عام ١٦٥ق.م حين كانت بلاد الشام تحت حكم البطالمة، وحاول الملك (أنتيوخوس أبيفانس) إرغام اليهود على عبادة الاصنام، ولكن كاهنهم الاكبر قاد حركة مقاومة ضده يعاونه أبناؤه الثمانية، وتمكن الكاهن (متانيا) بمساعدة أصغر أبنائه المدعو (يهوذا المكابي) إستعادة الهيكل من جيوش البطالمة، وفي الخامس والعشرين من كسليو نظف الهيكل من التماثيل الاغريقية وزود (متانيا) وابنه (يهوذا) الهيكل بمذبح جديد، وهكذا فتح المعبد مرة أخرى للشعائر الدينية اليهودية، ولكن اليهود لم يجدوا الزيت الكافي لاضاءة الهيكل فوزعوا الوقود على عدد المصابيح التي يوقدونها على أبواب بيوتهم في كل ليلة حتى تتم ثمان ليال . ويعني الاسم العبري (الحانوكه) التنظيف لان اليهود نظفوا الهيكل من تماثيل آلهة البطالمة[٢].

أما العيد الثالث عند اليهود الكورد فهو عيد الحج (الشافوعوث) أوثاني أعياد الحج ويتضمن ذلك زيارة الاضرحة وألاماكن المقدسة لليهود في كوردستان مثل قبر

---

(١) تطور لفظة (حانوكة) وأصبح يعني التدشين، ويتم الاحتفال به حالياً بايقاد الشموع الكثيرة والانوار المختلفة لمدة اسبوع، كما تقرأ في أثناء الاحتفالات قصائد كثيرة تشيد بالاعمال البطولية التي تمت في تلك المناسبة، وقد أصبح هذا العيد بمثابة عيد للاطفال اليهود يأخذون فيه هداياهم كما يحدث في أعياد الميلاد بالنسبة للمسيحيين حين يهدون أطفالهم هدايا بابا نويل. ينظر: (حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي ،ص٢٠٥-٢٠٧.

(٢) المقريزي : الخطط ،ج٢ ص٤٧٣، القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشا ،ج٢ ص٤٢٨.

النبي (ناحوم) في قصبة القوش الواقعة على بعد (٤٠)كم شمال مدينة الموصل، حيث يجري تسلق رمزي لجبل سيناء، وقبرالنبي (دانيال) ورفاقه في مدينة كركوك، وقبر النبي الياس (كهف إيليا) في قرية بيتنور (بيت النور) في منطقة برواري بالا شمال مدينة العمادية بالقرب من الحدود التركية، وزيارة قبري الحازان ديفيد والحازان يوسف في كنيسة بي حازاني في العمادية، وزيارة قبر ر. ناثانيل هاليفي بارزاني. ويطلق كورد العمادية على هذا العيد اسم (جا زيرا) أو (إيدا جزرا)–عيد الشعير الاصفر)، وهو تحريف لكلمة زيارة . بينما يطلق كورد زاخو على الحج الى قبر النبي ناحوم (عيدا سيد ناحوم) . وفي مدينة سنة في كوردستان ايران يسمى اليهود هذا العيد أسارتا (بالعبرية عشرت وبالآرامية – السريانية عشرتا)، ويطلق عليه الكورد في تلك المنطقة (جزن كالينا) خبز الكالانا (فطيرة الشافوعوث اليهودي النموذجية)[1].

وفي حقيقة الامر فان الشكوك تحوم حول وجود قبور للانبياء الصغار لبني اسرائيل في هذه الاماكن المذكورة ضمن منطقة كوردستان، ولكن على أية حال فهذا هو التقليد الشفوي الشائع عند اليهود الكورد وبعض مسيحيي كوردستان، لاسيما وأن مدينة القوش المارة الذكر تعد مدينة مسيحية مهمة للكلدان الكاثوليك، حيث يقع في شرقها الدير الشهير (دير الربان هرمزد).

---

(١) إريك براور : يهود كردستان ،ص٣٥٢.

عيد الفصح اليهودي

يعتبر الباسوفر، عيد الفصح (وبالعبرية بيساح) بالنسبة لليهود الكورد، كما هو لليهود في كافة أنحاء العالم، عيدا من الاعياد الرئيسية، وتتوجه العئلات بهذه المناسبة اليهودية من القرى الى المدن للاحتفال مع الاقارب، لهذا السبب يتدفق على العمادية المئات من القرويين اليهود من قرى: بامرني، إينشكي، ارادن، قدش، بيناتان، همزيك (جميعها تقع في ضواحي العمادية)، جالبين معهم المواشي والنبيذ.[1]

(١) إريك براور : المرجع السابق، ص ٣٢٧

(٤)

أدعياء اليهود للمسيحانية في العصر الإسلامي
حركة داود الروحي ألعمادي نموذجاً

المقدمة

إذا كانت الدراسات والبحوث قد اهتمت إلى حد ما بأدعياء النبوة في التاريخ الإسلامي، فان مثل هذه الدراسات لم تتطرق إلى اليهود الذين ادعوا المسيحانية بالمفهوم التوراتي، أو النبوة والمهدية بالمفهوم الإسلامي. والسبب في اعتقاد الباحث يعود بالدرجة الأولى إلى عدم اهتمام المؤرخين بهذه المجالات التي تخص فئة هامشية تنتمي إلى أهل الذمة ليس لها تأثير على مجريات الأمور في الدولة الإسلامية، فضلا عن قلة المعلومات في هذا الجانب.

وقد شهد العالم الاسلامى ظهور العديد من الحركات اليهودية المسيحانية الكاذبة، حيث كانت البلدان الإسلامية تعد وبحق ارض خصبة لمثل هذه الأفكار، نتيجة الحرية والأمان الذي عاشه اليهود في ظل الإسلام، تلك الحرية التي منحتهم

مساحة كبيرة من التفكير والدرس والبحث، وصلت بهم حد دراسة التأويلات والتفسيرات الباطنية والصوفية كالقبالة[(١)]

، ومكنتهم من طرح ادعاءاتهم بدون أية مخاوف. وقد كان من أهم تلك الحركات المسيحانية: أبو عيسى الأصفهاني، واليوذعانية، وداود الروحي، وغيرها.

يرجع اختيار الباحث لهذه الحركة نموذجاً للدراسة، لأن الروايات المتعلقة بالمسيح الدجال على حد تعبير الباحث اليهودي (إريك براور) هو أهم مادة مفردة نمتلكها حول تاريخ اليهود الكرد[(٢)]، كما أن هذه الحركة لم تلق الدراسة ولم تشبع بحثاً من قبل المؤرخين المسلمين، لذا حاولت بقدر الإمكان إلقاء الضوء عليها مستفيداً في هذا الجانب من روايات المؤرخين والباحثين اليهود ودائرة المعارف

---

(١) القبالة : هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. والاسم مُشتَّق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي «التقاليد والتراث» أو «التقليد المتوارث». وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم «الشريعة الشفوية» ثم أصبحت الكلمة تعني، من أواخر القرن الثاني عشر-«أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة» (إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي). وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه (مقو باليم بالعبرية والقبَّاليون بالعربية) على أنفسهم لقب «العارفون بالفيض الرباني». ومصطلح «قبالة» واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، فالتلمود يتحدث عن «رازي متوراه»، أي «أسرار التوراة». وقد كان يُشار إلى المتصوفين بعبارات يورديّ مركافاه، أي النازلون إلى المركبة، وبعلي هاسود، أي أسياد أو أصحاب الاسم، وإنشي إيموناه، أي رجال الإيمان، وبني هيخلاه دي ملكا، أي أبناء قصر الملك. وكان القبَّاليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة (الغنوص أو العرفان)، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني مُحدَث يُفضي إلى معرفة غنوصية، أي باطنية، بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية. لمزيد من المعلومات راجع: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٥، ص ٣٤٥.

(٢) يهود كردستان، أكمله وأصدره رافيل باتاي، نقله الى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني (اربيل: دار ئاراس،٢٠٠٢)، ص ٦٣.

اليهودية (الانسكلوبيديا اليهودية)، لعلها تضفي شيئاً جديداً على التاريخ الإسلامي عامةً، وتاريخ كردستان خاصة.

أما الموضوع فقد وقع اختياري عليه لسببين أولهما: دراسة الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الخلافة العباسية، وأثرها على اليهود في مختلف أقطار المشرق الاسلامي. ومحاولة تفنيد آراء بعض المستشرقين ومؤرخي اليهود، بتعرض اليهود لأشكال من الاضطهاد والتمييز والتهميش، أدت إلى ظهور مثل هذه الإدعاءات. حيث كان المستشرق الفرنسي (كلود كاهين) واضحاً في التعليق على هذا الموضوع الحساس، في معرض كتابته عن الأقليات غير الإسلامية – أهل الذمة (اليهود) خلال العصر الإسلامي، ومقارنته بوضعهم في الحقبة المسيحية الوسيطة في أوروبا يقول: "ليس ثمة شيء في الإسلام في القرون الوسطى يمكن تسميته تحديداً بمعاداة السامية". كما إن الموضوعية تحتم علينا أن نحاول مقارنة عدم التسامح المسيحي بنظيره الإسلامي لما لهما من أوجه شبه أوجه اختلاف، إن الإسلام، بغض النظر عن العديد من الاضطرابات والقلاقل، قد أظهر من التسامح والود إزاء اليهود الذين عاشوا في بلاد المسلمين أكثر مما أظهرته أوروبا[(١)].

أما المستشرق البريطاني – الأمريكي (برنارد لويس) الذي يعتبر مؤلفه (اليهود في الإسلام)أكثر تقييماً للاعتدال بشأن وضع اليهود تحت النفوذ الإسلامي في العصور الوسطى الإسلامية، فيقدم تفسيره الخاص لإحساس اليهود بوضع أفضل تحت حكم الإسلام منه في ظل المسيحية قائلاً: "عندما نقارن موقف المسلمين من اليهود ومعاملتهم إياهم في القرون الوسطى بوضع اليهود بين جيرانهم المسيحيين في

---

(١) مارك ر. كوهين : بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة إسلام ديه ومعز خلفاوي، قدم له صادق جلال العظم (كولونيا– ألمانيا : منشورات الجمل،٢٠٠٧)، ص ٢٠ –٢١ .

أوروبا الوسيطة فإننا نرى عدداً من المقابلات الصارخة... إن معاداة اليهود في المجتمع الإسلامي ليست من جهة لاهوتية... إنها بالأحرى ذلك الموقف المعهود من قبل الغالب إزاء المغلوب، موقف الأغلبية إزاء الأقلية، دون ذلك البعد اللاهوتي الإضافي وبالتالي البعد النفسي الذي يضفي على نزعة معاداة السامية لدى المسيحيين طابعها الأوحد والخاص"[1].

أما السبب الثاني، فهو أن هذا الموضوع وهو اضطهاد الشعوب الإسلامية لليهود فيما يعرف (بمعاداة السامية) قد صار لغة العصر وموضوعه، هذا من جانب" ومن جانب آخر فإن مثل هذه الموضوعات لا تدعم كراهية الإسرائيلي لغيره من البشر، وترسخ في وجدانه حب الأنا وتفردها فحسب" بل أنها تلقى رواجاً وقبولاً على كافة الأصعدة في إسرائيل، وتدرس فى المدارس والجامعات الإسرائيلية، أضف إلى ذلك أن غالبية هذه النخبة من المؤرخين الإسرائيليين هم من مؤلفي كتب التاريخ المدرسية والجامعية فى مراحلها المختلفة فى إسرائيل. ومن هؤلاء: مناحم شترن، وأوريئيل ربابورت، وبروريا بن باروخ فى العصرين اليوناني والروماني، ويت تسيون عراقى كلورمان، ويسرائيل جرشونى فى فترة ما بعد ظهور الإسلام[2].

ولبيان تهافت مثل هذه الادعاءات التي ليس من ورائها طائل، فان معاملة الفاتحين المسلمين لليهود كانت حسنة في فترة الفتوح وما بعدها في العصرين الأموي والعباسي.قياساً بما لاقوه على يد البيزنطيين والساسانيين. فقد كانت

---

(١) كوهين : بين الهلال والصليب، ص ٢٢.

(٢) هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام حركة شبتاي زيفي نموذجاً، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي للتاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة مالايا، كوالالمبور، تشرين الاول ٢٠١١م، ص ٩١٢.

تدابير الإمبراطور البيزنطي هرقل Heraclius الشديدة ضده، جعلتهم يعملون مع العرب المسلمين في الشام ضد الروم البيزنطيين، حتى وصل الأمر بالخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان إلى إسكان جماعة منهم في مدينة طرابلس المعرضة لهجمات الأسطول البيزنطي[1].

وجاءت الفتوح الإسلامية بتحسن كبير في وضع اليهود، وأكد الخلفاء الراشدين ذلك في وصاياهم بأهل الذمة. وتعطي الروايات اليهودية صورة طيبة لنظرة الخلفاء الأوائل للجماعات اليهودية وخاصة في العراق[2]، وفي الشام كانت المعاملة حسنة، وعومل اليهود السامرة[3] معاملة خاصة لتعاونهم مع العرب المسلمين، وكان التزام

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان، حققه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ص ١٧٤ .

(٢) عبد العزيز الدوري: اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، في أوراق في التاريخ والحضارة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م)، ج٣، ص ٩٤ - ٩٥ نقلاً عن Cambridge History of Religion in The Middle East .

(٣) السامرة، فهي باللغة العبرية (شومرون) التي تعني عاصمة مملكة إسرائيل التي يوجد فيها جبل جريزيم الذي كان يحج إليه السامريون في عيد الفصح، وقد شكلت السامرة أقلية صغيرة العدد في مصر أيام سلاطين المماليك، هذا فضلا عن أن بعض المصادر المعاصرة قد أشارت إلى أن السامرة ليست من اليهود، ومع هذا فقد عاملهم سلاطين المماليك على أساس أنهم فرقة يهودية ينطبق عليها شروط أهل الذمة. وقد نشأت هذه الطائفة في فلسطين بعد سقوط مملكة إسرائيل -التي انشقت بعد وفاة سليمان- على يد الملك آشوري (تجلات بلاصر) عام ٧٣٨ ق.م الذي أجلى اليهود عن فلسطين إلى نواحي شمال بلاد ميديا (= كردستان)، واحل محلهم بعض القبائل في سكنى عاصمة المملكة وهي مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، ويذهب بعض الباحثين اليهود إلى أن نشأة هذه الفرقة ترجع إلى أيام السبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م. وفي هذا التاريخ بنى السامريون هيكلهم فوق جبل جرزيم. وقد اشتدت العداوة بين هذه الفرقة وبقية اليهود عندما رفضوا المساهمة في بناء الهيكل الثاني، إذ كانوا يعتبرون أن المكان المقدس لليهودية هو جبل جرزيم في نابلس، وليس جبل صهيون وأورشليم، وقد أضاف هؤلاء إلى التوراة عبارات توحي بقدسية هذا الجبل، ومن المعروف أن السامرة يصعدون جبل جرزيم ثلاث مرات==

الأخرين بالعهود وحمايتهم لأهل الذمة مدعاة احترام هؤلاء ومودتهم، وفوق ذلك فان الشريعة الإسلامية لا تميز بين اليهود وغيرهم من حيث الوضع القانوني، وهذا يعود إلى نظرة الإسلام المفتوحة لأهل الكتاب[١].

لقد أكد الإسلام على وحدة الأديان السماوية في الأصل الإبراهيمي، ووفر الآخرين حرية العقيدة ما داموا يلتزمون بالعهود ولا يعتدون على المسلمين أو يعينون عليهم، وترك المسلمون لأهل الذمة شؤونهم الخاصة وفق شرائعهم، واستعانوا بالذميين من اليهود والنصارى في الوظائف المالية والكتابية للاستفادة من خبرتهم، وكانت سمة التسامح على أشدها في صدر الإسلام، ولا يمكن تفسير ذلك – كما حاول البعض من المستشرقين وتلامذتهم – التفوه بها" بحاجة العرب المسلمين إلى الشعوب الأخرى في الادارة وغيرها، بل الثقة بالنفس وروح التسامح[٢].

--- في السنة حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قربانا على المذبح في أعلى الجبل، وهم لا يحجون إلى القدس ذلك لان جبل جرزيم يحتل في قدسيتهم مكان القدس، وهم يقدمون الشاة في عيد الفصح محتفظين بعظامها سليمة، ينظر، محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩)، ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

(١) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٥٨

(٢) عبد العزيز الدوري : المرجع السابق، ج٣، ص ٩٥.

عقيدة انتظار المخلص الموعود من نسل داود

المسيحانية "Messiancim"

اصطلحت العبرية على استخدام لفظ "مشيحوت للتعبير عن مبدأ الإيمان بخلاص شامل يتحقق على يد الملك المسيح "هامشيح " الذي يعتبر قدومه مؤشراً لبداية مستقبل مثالي بكل ما فيه. وهى مأخوذة من الفعل العبري "ماشح" الذي يعنى في عبرية العهد القديم أن يمسح بالزيت المقدس. أما مصطلح المسيحانية "Messiancim" فهو مشتق من اللغة العبرية من الفعل: ماشيح Mashiah الذي يعني: "الممسوح بدهن الزيت المقدس- هامشيح": " The Anointed one" على عادة بني إسرائيل في مسح الطفل او الملك المتوج بدهن الزيت كسمة للقداسة "Yehoshua" أي (يهوه المنقذ)، وقد حور الاسم واتخذ صيغة (يشوع): "Yeshu" وهو الاسم الذي عرف به السيد المسيح (عليه السلام) والذي يعني "الربُّ يخلص"[(١)].

وقد ترددت اللفظة اسماً ومصطلحاً معاً، في الكتاب المقدس: العهد القديم والجديد ولمرات عديدة. ففي سفر صموئيل الثاني (٥١/٢٢) نقرأ: "أحمدك يا رب، وأورنم اسمك بين الأمم نصراً عظيماً يمنح ملكه ويظهر رحمته لمن مسحه، لداود وذريته إلى الأبد"[(٢)].

---

(١) عرفان عبد الحميد فتاج :اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية (عمان: دار عمار للنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) ص٢٥-٢٦. نقلا عن The Encyclopedia of Religion

(٢) الطبري: التفسير ٣٥/٦،

وجاء في سفر إشعيا: "سيخرج من جذع يسى (والد نبي الله داود -عليه السلام-) وينمو غصن من أصوله، روح الرب ينزل عليه.. لا يقضي بحسب ما ترى عيناه. ولا يحكم بحسب سماع أذنيه، بل يقضي للفقراء بالعدل وينصف الظالمين بكلام كالعصا، ويميت الأشرار بنفخة من شفتيه. يكون العدل حزاماً لوسطه، والحق مئزراً حول خصره، فيسكن الذئب مع الخروف، ويبيت النمر بجانب الجدي"[1].

وكان الأحبار والأنبياء يسمون من أجل المسح بالزيت مسحاء الله، وينهى العهد القديم عن المساس بهم كما جاء في سفر أخبار الأيام الأول (٢٠/ ٢٢)" لا تمسوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي". وكان مسح الملوك أول شعائر التتويج والمبايعة، فكان شاؤل وداود من هؤلاء المسحاء. ثم أطلقت كلمة مسيح مجازاً على كل مختار منذور. فقد ورد في سفر اشعيا: "إن كورش الملك الفارسي كان مسيحاً للرب. لأن الرب أخذ بيده لإهلاك أعداء بني إسرائيل وإقامة الهيكل من الجديد".

وجاء في الإنجيل: "وبينما هو يفكر (يوسف النجار) في هذا الأمر، ظهر له ملاك الرب في الحلم وقال له: "يا يوسف ابن داوود لاتخف أن تأخذ مريم امرأة لك، فهي حبلى من روح القدس، وستلد ابناً تسميه (يسوع) لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[2]. وجاء أيضا: "ولما بلغ الطفل يومه الثامن، وهو يوم ختانه سمي يسوع كما سماه الملاك قبلما حبلت به مريم"[3].

---

(١) العهد القديم، سفر اشعيا :١١، و انظر ايظا : سفر صموئيل الأول :١٣/١٦ (فحلّ روح الرب على داود من ذلك).

(٢) العهد الجديد، إنجيل متى: ١/٢٠-٢١.

(٣) العهد الجديد، إنجيل لوقا: ١٢/٢، و ١٦/٤: "روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين".

ومع تخصيص جذع يسي (والد النبي داود–عليه السلام–) بدور القيام بمهمة المسيحانية المنتظرة وتحقيق الخلاص النهائي لبني إسرائيل على يده، فان الاسم واللقب قد أطلقا على آخرين لا يمتون بصلة رحم إلى الفرع المنتخب إلهياً من بين فروع بني إسرائيل الأخرى (بني يعقوب –عليه السلام–) الأخرى.

وقد شاع استخدام هذا الفعل في كتاب العهد القديم للتعبير عن مسح الكهنة والأنبياء والأمراء وبعض الأدوات والأشياء. وهو تقليد كان شائعا لدى شعوب الشرق الأدنى القديم. ولما كان المسح بالزيت يضع الشخص الممسوح في مكانة أعلى من جميع إخوانه لكي يكون فى خدمة الرب" فإن ذلك يجعله أكثر قربا من يهوه، كما يجعله مختاراً منه، ويقوم بالحكم نيابة عنه ويمنح بني إسرائيل البركة باسم يهوه، وينفذ شريعته وخططه وكل ما يريد على الأرض، كما يجعل منه ملكا مقدساً لا تنتهك حرمته. ومن خلال مسح الملك وتسلحه بالروح السماوية، فإنه يتلقى حكمه خارقة، ولأنه قد أصبح ملاك يهوه" فهو ينفذ كل رغباته على الأرض. وهو يعرف المستقبل ويتمتع بحياة أطول من كل البشر، كما أن خبراته عظيمة ويمكنه تحقيق ما يعجز عنه الآخرين. ثم تطور المفهوم في عصر التلمود حيث أصبح يستخدم فقط للدلالة على ملك يأتي في المستقبل، مزوداً بقوى من الرب الذي اختاره لينفذ مهمة تخليص بني إسرائيل من الأعداء ويحكمهم كملك عظيم ويخضع باقي الشعوب الأخرى لسيطرته الدينية والسياسية(١).

---

(١) منى ناظم الدبوس: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، سلسلة نحن وهم ١ (القاهرة: الاتحاد للصحافة والنشر،١٩٨٦)، ص٢٨–٢٩، ٥٣.

وقد كانت فكرة الخلاص في العهد القديم إحدى الأفكار التي شوهها أحبار التلمود ومعاصريهم من أدباء الأبوكاليبس[(١)]. أو الأدب الرؤيوى، فبدلاً من التمسك بدعوة الأنبياء بأن يكون مجئ الخلاص مرتبطاً بعودة بني إسرائيل إلى الطريق القويم في عبادة الرب ونبذ عبادة الأوثان وكافة الموبقات الأخرى من انحلال خلقي وفساد اجتماعي، نحى أحبار التلمود ومعاصروهم من الكهنة وأدباء الأبوكاليبس بمفهوم الخلاص منحى عنصريا حيث أصبح يشير إلى الإيمان بمجيء ملك يهودي ترسله السماء يتميز بقدرات قتالية خاصة، يقود بني إسرائيل ويضعهم طبقا لهذا المفهوم المتطور على قمة السلم البشرى. وتحت تأثير قبول عقائد أخرى تبعد عن شريعة موسى، وتحت تأثير العنصرية والدونية التي يتحدث منها أولئك الأحبار نتيجة الهزائم العسكرية المتكررة وضع أحبار التلمود شروطاً أخرى لمجئ هذا الملك المسيح عرفت باسم مخاض المسيح هي في مجملها حاله الكوارث المدمرة الشاملة للعالم اجمع تتبعها حاله سلام وهدوء أبدى يتميز فيها اليهود ـ كما يعتقدون ـ بوضع السيادة على كافة إنحاء المعمورة متعبدة طائعة مقدمة القرابين لتتخذ من صورة الإله التي يرسمها بنو إسرائيل في هذا التراث محطاً للعبادة، وتصبح عبادة الشعوب لصورة هذا الرب خضوعاً لبنى إسرائيل فى ذات الوقت. وفى مجموعة أخرى عرفت بـ"معجزات المسيح" يتحدث فيها أحبار اليهود عن تصورهم لوضع غيرهم من الأمم الأخرى في عصر المملكة المسيحانية، يقول الربى

---

(١) كلمة يونانية تعنى الكشف أو الإظهار. ويطلق مصطلح أدب الأبوكاليبس على المؤلفات التى تهتم بالكشف عن الأشياء الغامضة التى تقع فيما وراء الطبيعة والخافية عن العين البشرية. وقد تبلور هذا الأدب في القرن الأول الميلادي بهدف حث بني إسرائيل على التمسك بالشريعة. للمزيد راجع: منى ناظم الدبوسي: المرجع السابق، ص ٢٦

يوسى:" سيجلس الرب المبارك ويسحق الأغيار شيئاً فشيئاً ولا يقدرون على البقاء أمامه لأن التوراة تكون عليهم نيراً عظيما يحاولون التخلص منه"[١].

فقد أطلق على الملك الاخميني كورش الثاني (٥٥٩–٥٣٠ ق.م)، – المسيح المنتظر– تكريماً له، جراء قضائه على المملكة الكلدانية (البابلية)، واحتلال عاصمتها بابل عام ٥٣٩ق.م، وإصداره أوامر تقضي بالسماح ليهود الأسر البابلي بالعودة إلى فلسطين، ومساعدتهم مادياً من أجل إعادة بناء المعبد السليماني (هيكل سليمان) الذي دمره الملك البابلي نبوخذ نصر عام٥٨٦ ق.م، فجاء في سفر اشعيا: " وهذا ما قاله الرب لكورش الذي مسحه وأخذ بيمينه ليخضع له الشعوب، ويضعف سلطان الملوك حتى يفتح أمامه المصاريع فلا تغلق في وجهه الأبواب، أسير قدامك، فأمهد الجبال، وأحطم مصا ريع النحاس، وأكسر مغاليق الحديد، وأعطيك الكنوز الدفينة والذخائر المخبأة، فتعلم إني أنا الرب، اله إسرائيل، الذي دعاك باسمك، { أي الممسوح}[٢].

كذلك أطلق الاسم في سفر زكريا على شخصيتين هما: الكاهن الأعظم يشوع، والملك زربابل، وهو حفيد الملك "جيهوى أشين" وكان وقتها زعيما ليهود المنفى الذين عادو من بابل إلى يهودا (=المملكة الجنوبية قبل تدميرها على يد نبوخذ نصر) بموافقة الملك كورش الثاني. وعين زربابل في ظل حكم الملك داريوس الاول في سنة ٥٢١ق.م حاكماً لمقاطعة يهودا (=أورشليم– القدس وأطرافها)، وكان آخر

---

(١) هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، ص ٩١٢ .

(٢) العهد القديم، سفر اشعيا،٤٥–١ و١٤–٢٨، وقد صور سفر ارميا في عبارات ثأرية مصير الملك الكلداني نبوخذ نصرالذي دمر أورشليم وخرب المعبد السليماني (الهيكل) وسبى اليهود إلى مدينة بابل فيما سمي بالسبي البابلي، ينظر سفر ارميا ٧/٣١.

حكامها من بيت داود. ويتحدث (كتاب زربابل) الذي كتب في زمنه والذي قيل انه وجد منقوشاً على الحجر، عن رؤى رآها زربابل (بذر بابل) عن ظهور المسيح[١].

وقد الفت أعمال كثيرة عن الآمال المسيحانية التي نشأت عن كتاب زربابل، وتقول دائرة المعارف اليهودية: "رغم انه من الصعوبة تحديد تواريخ مختلف الأعمال التي يتكون منها هذا الأدب المسيحاني، فلا يستبعد أن يكون بعضها سابقا حتى على كتاب زربابل... وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على اليهود في العصور الوسطى[٢].

وتزامنت الفكرة دائماً مع حقب المحن والفتن والملاحم وموجات الاضطهادات والتصفيات الجماعية لليهود على أيدي خصومهم Trauma Suffering وحالات نفسية تتسم بالإحباط والخذلان Frostration وان ظهور المنتظر الغائب والمنقذ الموعود من نسل داود، هو سفينة النجاة وطريق الخلاص مما يعانون من مذلة وصغار، وضياع وتشتت، وغياب سلطان، وما يتجرعون من قسوة وظلم وامتهان، وما يحسونه من إحباط ويأس وخذلان في ديار العبودية والشتات Bandag of Exile[٣].

ولقد تعرض اليهود ومؤسساتهم الدينية إلى حملات عديدة من القتل والتخريب والهدم على يد أعدائهم ومنها:

---

(١) بركات احمد: محمد واليهود نظرة جديدة، ترجمت محمد علي مراد (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م) ص٢٠٤.

(٢) Messianic Movements, Encyclopedia Judaica (Jerusalem 1971), Vol. XI, Column 1413.

(٣) عرفان عبد الحميد: اليهودية، ص٢٩ نقلا عن Encyclopedia Britannica مادة اليهودية

١. التدمير الأول لأورشليم وهيكل سليمان عام ٥٨٦-٥٨٧ ق.م على يد الملك الكلداني نبوخذ نصر، ثم الأسر البابلي .

٢. التدمير الثاني لأورشليم وهيكل سليمان على يد القائد الروماني تيتوس عام ٧٠م، وفرضه قسرا أجلاء بني إسرائيل عن فلسطين، ويبدو أن اليهود الذين عاشوا في شمال الجزيرة العربية وجنوبها (اليمن) هم من هؤلاء اليهود[(١)] .

٣. المذبحة الهائلة التي انزلها الإمبراطور الروماني هاد ريان عام ١٣٢م باليهود اثر فشل حركة التمرد الفاشلة التي قادها الزعيم اليهودي شمعون باركوخيبا Simon Bar Kochiba الذي انتحل صفة المسيحانية وادعى انه المسيح المنتظر، وقد قتل باركوخيبا ومعه آلاف اليهود بعد استسلامهم للإمبراطور الروماني، الذي دمر أورشليم وبنى على أنقاضها مستعمرة رومانية اسماها (كولونيا إيليا كابتولين)[(٢)] .

وبناء على ما تقدم فقد سرت إلى بنية العقيدة اليهودية عناصر رؤيوية ذات مضامين أخروية، فصارت العقيدة تبعاً لذلك تتضمن الإشارة إلى مرحلتين متتابعتين، أولاهما: تمهيدية تسود فيها المظالم وتعم المفاسد، ويبتلى بنو إسرائيل فيها عادة بالحكم الأجنبي وسطوته والقهر والاضطهاد والقسوة والمعانات، وهذه المرحلة التمهيدية" تبدأ بعد أن تملأ الأرض ظلما وجورا وفساداً، مما يستدعي عودة النبي إيليا من السماء، الذي سيمهد بجهاده وقتاله ضد أعداء بني

---

(١) فاروق الدملوجي : تاريخ الأديان – الإلوهية وتاريخ الآلهة (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ٤٥٩" ويذكر الكاتب أن عدد اليهود الذين قتلوا على يد تيتوس من سكان أورشليم (القدس) بلغ مليوناً من الأنفس.

(٢) بركات احمد: محمد واليهود نظرة جديدة، ص٣٤"

إسرائيل للخلاص ثم يصعد إلى جبل الكرمل ليعلن نهاية الفواجع والكوارث، بل والتاريخ Consummation of History، وقيام عهد جديد هو العهد المسَائي على الأرض.

ومع ظهور السيد المسيح – ببشارته– ولأنه من جذع يسي، ومواليد بيت لحم[1]، فقد افترقت السبل باليهود مع مجيئه ، فاعتقدت طائفة منهم أنه المنقذ الإلهي المرتقب ، وأنه المقصود بما ورد في الأسفار عن المسيا من أن أسمه: المسيح بن يوسف ، واحتجت هذه الطائفة بما جاء في نبوءة النبي إشعيا عنه: "ولكن السيد الرب نفسه يعطيكم هذه الآية: ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ، يأكل زبداً وعسلاً إلى أن يعرف كيف يرفض الشر ويختار الخير[2]، فأمنوا برسالة السيد المسيح واتبعوه، وصاروا يشكلون فرقة: يهودية – مسيحية: Judaizing Christians –Christianized Jews، وقد استمرت هذه الطائفة التي لفقت في عقيدتها بين اليهودية والمسيحية في الوجود ردحاً طويلاً من الزمن، رغم أن اليهود والنصارى رفضوا معاً الاعتراف بهم[3]، حتى أن الراعي

---

(١) لرد دعوى المسيحية أنكر اليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى :١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها المخلص الموعود " وبعد أن فشل اليهود في رد نسبة اليهود إلى داود، فقالوا : إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

(٢) العهد القديم، سفر اشعيا: ١٤/٧، وقارن بإنجيل متى: ١٨/١٠

(٣) لرد دعوى المسيحية أنكراليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى :١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها منها المخلص الموعود " وبعد ان فشل اليهود في رد نسبة اليهود الى داود، فقالوا : إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

المسيحي خريسوستوم Chrysostom – الذي عاش أواخر القرن الرابع الميلادي – اضطر للتنديد بهذه الطائفة بمدينة أنطاكية باسم المسيحية التي كانت آنئذ قد غدت ديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية.

أدعياء اليهود للمسيحانية قبل الإسلام على الرغم من أن المسيح المخلص غير مذكور بشكل صريح في التوراة، إلا أن هناك إشارات له ولعصره في بعض أسفارها. كما أن بحث هذه الفكرة عند اليهود والخوض في تفصيلاتها أضفيا على المسيح المخلص أوصافاً معينة يتميز بها عن بقية البشر ويختلف فيها عنهم. فقد قالوا إنه يجب أن يكون من نسل النبي داود – عليه السلام – وأن يكون قاضياً ومعلماً للتوراة، كما يجب أن يكون نبياً بل أفضل الأنبياء بعد موسى – عليه السلام – ،وأن ولادته يجب أن تكون في اليوم التاسع من آب طبقاً للتقويم العبري. ثم لا بد أن تكون هناك موطئات لظهوره وعلامات ذكروها وناقشوها في أدبياتهم. وقبل ظهوره لا بد أن يظهر النبي الياهو (= إيليا – الخضر في التراث الإسلامي) بفترة قصيرة يعلن عن ذلك. كما يجب أن يظهر قبله مسيح آخر اسمه المسيح ابن يوسف من قبيلة (أفرايم (= ابن يوسف) موطئاً وممهداً ويخوض حروباً حيث يسقط في آخرها صريعاً على أبواب أورشليم[١]. وسيقود المخلص اليهود منتصراً ويأخذهم إلى فلسطين حيث سيحكم العالم منها وتخدمه الأمم والشعوب. وطبقاً لما يذكره اليهود فانَّ العصر المسيحاني سيكون عصراً ذهبياً تنعدم فيه المجاعة والحروب

(١) لرد دعوى المسيحية أنكرا ليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى :١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها المخلص الموعود " وبعد أن فشل اليهود في رد نسبة اليهود الى داود، فقالوا إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

والصراعات بين الناس وتعم الرفاهية والسعادة ويزول الحزن والأمراض من بينهم بل وتطول أعمارهم ومن يموت وعمره مائة يعتبر صغيراً كما جاء في سفر اشعيا: "لا يموت هناك طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه لأن صغير السنّ يموت وهو ابن مائة سنة والذي يموت دون مائة فإنّه ملعون"[(١)]. وتذكر الأدبيات المسيحانية أن هذه الحقبة ستطول لألفي سنة قبل حلول يوم القيامة.

وبعد رفض عامة اليهود الإقرار بمسيحانية السيد المسيح تنامت دعوات المسيحانية وعلى تعاقب القرون، فادعاها بحسب التسلسل التاريخي:

١- بين الأعوام ٥٢ و٤٥ للميلاد ظهر رجل يهودي من مصر وأدعى بأنه نبي وتبعه حوالي ثلاثون ألف رجل، فقادهم إلى جبل الزيتون عند أورشليم وقال لهم بأن حيطانها ستسقط بأمره وسيحررها من سيطرة الرومان، ثم دارت بينه وبين الجيش الروماني على أتباعه. ويظهر مما ورد في العهد الجديد أن هذا المتنبئ بقي حياً بعد هذه المعركة[(٢)].

٢- شمعون باركوخبا، يهودي ظهر في فلسطين في القرن الثاني الميلادي وأدعى بأنه من نسل الملك داود، وقاد ثورة ضد الحكم الروماني في الأعوام ١٣٢-١٣٥م انتهت بقتله وأتباعه على يد القائد الروماني يوليوس سيفردس[(٣)].

---

(١) الاسم أورشليم ليس عبرياً وفي التوراة هناك صورتان لاسم المدينة هما: يروشلم ويروشلايم، وهذا الاسم الثاني هو المستعمل بين اليهود، واستعمل العرب منذ ما قبل الإسلام عدداً من للاسم منها: اوريشلم، واوريشلوم، واوريسلم وغيرها، وقد ورد بعضها في شعرهم. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان.

(٢) أعمال الرسل : ٢١/٣٨" إن العدد كان أقل مما ذكر.

(٣) بركات احمد : محمد واليهود نظرة جديدة، ص١٨٤.

٣- في حدود عام ٤٤٨م أدعى يهودي من جزيرة كريت بأنه موسى، وأنه أرسل ليخلص اليهود، وقد وعد من كان في الجزيرة منهم بأن يأخذهم عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى فلسطين دون مراكب، حيث يفلق لهم البحر كما فلقه موسى (عليه السلام)، وقد ضرب لهم موعداً لذلك، فلما جاءوا البحر نادى على البحر أن ينشق ولكنه لم ينشق ومع ذلك فقد أمرهم أن يقفزوا فيه فأطاعوه وقفزوا فغرق منهم من غرق ونجا منهم من نجا. أما المخلص المزيف فقد اختفى ولم يعثر له على أثر(١).

٤- في حوالي ٦٤٥م أعلن رجل من يهود افريقية عن ظهور المسيح وزعم أنه الموكول بإعادة الأسباط العشرة المفقودين إلى أرض الميعاد، وجمع حوله ما يقرب من أربعمائة رجل من الحاكة والقصارين، وهجم بهم على مجموعة من أديرة المسيحيين وحرقوا ثلاثة منها وقتلوا أحد روسائهم، فقبض على اليهودي فصلب وقتل أتباعه (٢).

أدعياء اليهود للمسيحانية في العصر الإسلامي

لقد سكن الجزيرة العربية يهود كثيرون، كما حكمت اليمن أسرتان ملكيتان يهوديتان، ومن المرجح أن تكون الآمال المسيحانية قد ثبتت أفئدة اليهود العرب

---

(١) Encyclopedia Judaica Messianic Movement, pp234 " بركات احمد : محمد واليهود نظرة عصرية، ص ٢٠٤.

(٢) عرفان عبد الحميد فتاج : اليهود، ص ٣٣" جعفر هادي حسن : الدونمه بين اليهودية والإسلام، ص٢٧ نقلاً عن S.W. Baron, Social and Religious History of the Jew, Vol 5, p.184.

أثناء تدمير المملكة الحميرية على يد الأحباش وما تبعها من اضمحلال لمركزهم. والإشارات المختلفة التي ساقها المؤرخ ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ للنبوءات اليهودية المتعلقة ببعثة ((نبي)) قد تكون نتيجة لقراءة مختلفة لبعض الكتابات اليهودية المسيحانية، وكان ابن إسحاق وعلماء المسلمين الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبي كانوا في حقيقة الأمر ينتظرون مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[(١)]. وهذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، أن أياً من الأنبياء الإسرائيليين الذين جاءوا من بعد موسى (عليه السلام) في تعاقبٍ متطاولٍ، حتى ظهور المسيح (عليه السلام) لم يدَّعِ أنه النبي الموعود في هذه النبوءة[(٢)].

وأنهم حين أعلن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبوته جحدوا هذه النبوة عامدين[(٣)]. ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا أية آية ولم يشهدوا تحقق أية نبوءة، وقد ذكر ابن إسحاق:" وقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم غير الله وعقوبته، فأبوا عليه، وكفروا ما جاءهم به، فقال لهم (الصحابة) معاذ بن جبل وسعد بن عادة وعقبة بن أمية: يا معشر يهود،

---

(١) سفر تثنية الاشتراع : ١٨ / ١٨.

(٢) مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته، نقله العربية منير البعلبكي، الطبعة السابعة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ص ٤٦" هاشم يحيى الملاح: موقف اليهود من العروبة والاسلام في عصر الرسالة، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨)، ص ٢٥.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، حققها وضبطها مصطفى السقا وآخرون (بغداد، مطبعة واوفسيت منير، ١٩٨٦)، ق١، ج١، ص٢٠٤.

اتقوا الله، فوا لله إنكم لتعلمون انه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته" فقال (يهود) رافع بن حريملة، ووهن بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى (عليه السلام)، ولا أرسل بشيراً ونذيراً بعده ..."[1].

وعلى أية حال فقد ادعى العديد من اليهود أنهم المسيح المخلص (المنتظر)، وهم حسب التسلسل التاريخي:

١- في عام ١٠٢هـ/٧٢٠م أيام الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك أدعى يهودي سوري اسمه سفيروس أو سيرينوس- سيرين (Serenus) انه المسيح المخلص[2]، وتنبأ بمعجزة تعود بها فلسطين إلى اليهود، وأدعى سيرينوس انه نبي لا لليهود وحدهم بل للمسلمين، كذلك ألغى بعض أحكام الفقه اليهودي التي مصدرها التلمود وليست التوراة التي تحرم أطعمة بعينها، وسمح بالزواج دون عقد، بل ذكر عنه وعن أتباعه بأنهم لم يكونوا يصلون، وقد صدقه جمع كبير من اليهود بل وحتى المسيحيين وجمع أموالا ومتاعاً بحجة استعمالها في طرد المسلمين من فلسطين وإقامة دولة اليهود. وقد ذاعت شهرة سيرينوس حتى وصلت إلى اسبانيا (الأندلس) التي كانت في ذلك الوقت تحت الحكم الإسلامي، وبهذا الصدد يذكر أحد المعاصرين:" أن يهود ذلك البلد قرروا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ق١، ج٢، ص٥٦٣- ٥٦٤ .

(٢) هناك خلاف في تسمية هذا الشخص في المصادر مابين سيرين وسيرينوس، فبينما يذكره المؤرخ العراقي المشهور عبد العزيز الدوري والمؤرخ الهندي ب (سيرين)، يلاحظ بأن الباحث العراقي جعفر هادي حسن يطلق عليه (سفيرنيوس) . ينظر : عبد العزيز الدوري : اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ج٣، ص١٠٧"بركات احمد:ا لمرجع السابق، ص٢٦، جفر هادي: المرجع السابق،ص٢٦.

النزول عن ممتلكاتهم ووضعوا أنفسهم تحت قيادة هذا الشخص الذي كانوا يشبهونه بالمسيح"[1] .

وقد القي القبض عليه بعد بضع سنوات في عام ١٠٦هـ/٧٢٤م في أيام الخليفة هشام بن عبدا لملك، في رواية، وفي رواية إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك، ولما سأله الخليفة هشام عن مدَعاه أجابه بأن دعوته كانت لتضليل اليهود والسخرية منهم وأن ادَعاءه لم يكن عن إيمان وعقيدة، فترك أمره إلى أبناء ملته وقيل بل أمر بقتله[2] .

٢- عبيد الله أبا عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهاني: وقيل كان اسمه ابن عيسى عاديا (عوفيد)، هناك خلاف بين المصادر الإسلامية واليهودية في التوقيت الذي ابتدأ الأصفهاني دعوته، ففي حين تشير المصادر اليهودية إلى أن زمن ادعائه بأنه المسيح المنتظر جاء في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) وفق دائرة المعارف اليهودية[3]، وفي زمن آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد (١٢٧-٧٤٤ /١٣٢هـ - ٧٥٠م) حسب مرجع آخر[4] اعتماداً على كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ، يلاحظ بأن المصادر الإسلامية تذكر بأن الأصفهاني دعا إلى نفسه في بداية قيام الخلافة العباسية في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)، وكان قد

---

(١) بركات احمد : محمد واليهود، ص٢٦" نقلاً عن جراتز: تاريخ اليهود (فيلادلفيا، ١٨٩٤م)، الجزء الثالث " رحلة بنيامين التطيلي: ترجمة عزرا حداد، تقديم عباس العزاوي (بيروت، دار الوراق للنشر المحدودة،٢٠١١)، ص ٢٤٣.

(٢) بركات احمد : المرجع السابق،ص٢٦" عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، ج٣،ص١٠٧" جعفر هادي حسن: المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) (Hayytim J Cohen –Amnon Netzer) " Isfahan " Encyclopedia Judica, (Jerusalem , 2007) Vol, 10,pp,79-80

(٣) رحلة بنيامين التطيلي، ٢٤٣.

ابتدأ حركته في أواخر حكم الدولة الأموية، ويعتقد أنها استمرت حتى أيام الخليفة أبو جعفر المنصور، وقال لليهود إن للمسيح خمسة رسل يأتون قبله واحداً بعد الآخر، وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم[1]. ويذهب ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ أن محمد بن عيسى كان يؤمن بأن عيسى نبي بعثه الله بالإنجيل إلى بني إسرائيل، وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) نبي بعثه الله بشريعة القرآن إلى بني إسماعيل (عليه السلام)[2]، وزعم أن الله كلمه وأمره بتخليص اليهود من أيدي الأمم العاصية الظالمة، وحرم ابوعيسى أكل اللحوم وشرب الخمر والطلاق، وأوجب سبع صلوات (سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام برك)[3]. وكان ابوعيسى اليهودي خياطاً أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونسب إليه تأليف عدة كتب، أعتبر أتباعه ذلك معجزة لأنه لم يكن يقرأ ويكتب. وظل أبو عيسى ثائراً ضد الخلافة العباسية لعدة سنين، وعندما هوجم من قبل جيش الخليفة المنصور خط حول أتباعه خطاً بعود آس، وقال لهم أقيموا داخل الخط فليس ينالكم عدو أوسلاح، فكان الجيش العباسي يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط تراجعوا عنهم خوفاً من طلسم أو عزيمة، ولكن ابوعيسى خرج من الخط وحده على فرسه وقاتل الجيش العباسي، وقتل عدداً منهم ثم قتل وانهزم أصحابه، وفي رواية أخرى يذكر الشهرستاني انه قتل على يد جيش المنصور في منطقة الري[4].

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل، ج٢، ص ٢٣٩.

(٢) الملل والأهواء والنحل، تحقيق عبد الرحمن عميرة وزميله (بيروت: دار الجيل، د،ت)،ج١، ص ١٧٩" عبد العزيز الدوري : المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) المزامير، ١١٩ / ١٦٤.

(٤) الملل والنحل ،ج٢، ص ٢٣٩.

وكان سنباذ وهو احد القادة الإيرانيين من أهالي منطقة نيسابور التابعة لإقليم خراسان قد ثار ضد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، انتقاما منه بسبب قتله لأحد قادة الثورة العباسية (أبو مسلم الخراساني) في ٥ شعبان ١٣٧هـ/ ٧٥٥م، واستطاع ان يجمع حوله الكثير من الأتباع في مدة قصيرة، وأحتل في البداية قومس (كومش)، ووضع يده على الخزائن التي كان أبو مسلم قد أودعها في تلك المدينة، ثم ما لبث أن أعلن عزمه على التوجه صوب بلاد العرب المقيمين الحجاز، وأعلن اعتزامه هَدم الكعبة المشرفة. ويعتقد أن الداعي اليهودي ابوعيسى الأصفهاني استغل انشغال المنصور بحركة سنباذ فثار هو الآخر، فكان أن قضى قائد المنصور (جهور بن مرار العجلي) على حركتي سنباذ المجوسي، وأبو عيسى اليهودي مرة واحدة وقتل غالبية أتباعهما في منطقة الري سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م[(١)] .

٣ – في الحقبة نفسها ادعى أحد أتباع (أبو عيسى الأصفهاني) واسمه يوذعان أو يهوذا من مدينة همدان، أدعى انه المسيح المخلص، وقد حرم الخمر وأكل اللحم كما فعل أبو عيسى، وشرع أيضا صلوات وصياماً، وكان يرى بأن الأعياد والسبت ما هي إلا رموز قد بطلت بعد أن هدم الهيكل، وكان أتباعه

---

(١) ادوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمه إلى الفارسية علي باشا صالح، ترجمه الى العربية احمد كمال الدين حلمي، تقديم محمد علاء الدين منصور (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٥م)، ص ١٦٤" وقد توهم المستشرق البريطاني براون في توقيت خروج (سناذ)، والصحيح هو سنة ١٣٧هـ، وليس كما قال ١٤٠هـ، والخطأ الآخر الذي وقع فيه براون هو أن أبو مسلم اودع امواله في مدينة قومس، والصحيح انه اودعها في مدينة الري، ينظر بهذا الصدد، غلام حسين صديقي: الحركات الدينية المعارضة للإسلام في ايران في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ترجمة مازن إسماعيل النعيمي،دمشق: دار الزمان،٢٠١٠)،ص ٨٠– ٨٢" فرست مرعي : محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية (صنعاء: ألوان للطباعة والنشر،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م)، ص٣٩– ٤٠.

يجبرون اليهود على إتباع ممارساتهم، وكان أيضا يحث على الزهد والإكثار من الصلاة وكان يقول بأن للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً، وقد خالف في تأويلاته عامة اليهود،كما خالفهم في التشبيه، ومال إلى القدر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد، وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد في ذلك[1]. ويذكر احد مؤرخي الأديان، أن اليوذعانية، أو المقاربة هم كالباطنية في المسلمين[2]. وتشير بعض الروايات بأن شرذمة من أتباعه كانت باقية إلى عام ٩٣٨م [3].

٤ – في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، توفي حاخام العراق الأكبر ورأس الجالوت[4] في الدولة الإسلامية، وكان اسمه (الجاؤون سليمان)، ويبدو انه لم يترك ولدا يخلفه في وظيفته، وكان أحق المرشحين لهذا المنصب ابن أخيه (عنان بن داود)، فعارض في انتخابه اكبر رجلين باقيين على رأس اليهود في الدولة الإسلامية وهم: دوداي بن نحمن مدير الأكاديمية البابلية في فومبديثة (= فم البداق – قرب الانبار) – نهر دعة (= بالقرب من مدينة الفلوجة الواقعة على نهر الفرات)،و يهوداي بن البصير عميد الأكاديمية البابلية في سورا (=

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ٢٤٠.

(٢) فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير علي سامي النشار (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م)،ص ٨٣.

(٣) جعفر هادي : المرجع السابق، ص ٢٨" Haim Hillel Ben – Sasson. (Messianic Movement), Encyclopaidia Judica, VOL 14, pp118.

(٤) رأس الجالوت : أو أمير المنفى – تعتبر بعض المأثورات (يهواكيم) آخر ملك من سلالة داود انه أول رأس جالوت عرف به، وكان رأس الجالوت في أيام عزه القاضي السامي لجماعات اليهود ولم تضيق الشريعة اليهودية سلطته وتنظيمه الا قليلا. وبقي هذا المنصب شاغراً الى عهد الفاتحين العرب المسلمين فرجع اليه حينئذ بهاؤه، وأن جميع رؤوساء الجالوت الذين قاموا منذ القرن السابع الميلادي حتى القرن الحادي عشر منه كانوا من سلالة (بستاني) الذي بواسطته تجدد عز هذا المنصب وتأيد موقفه السياسي. ينظر يوسف رزق الله غنيمة : نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق،هامش ٢ ص٩٧.

منطقة الفرات الأوسط – قرب مدينة الحلة)، بسبب ما ذكر عنه من فساد السيرة وسوء الأخلاق وقلة التقوى، واختارا لزعامة يهود العراق الأخ الأصغر لعنان بن داود وكان اسمه (حنانية بن داود)[١]، لا سيما وان بعض علماء اليهود قد تأثروا بآراء المعتزلة وأصحاب (الكلام) من المسلمين، فصاروا ينتقدون تعاليم الربانيين ويتحفزون للخروج على أحكام التوراة وقيوده. وكان على رأس هذه الحركة ثلاثة من علماء اليهود، هم الربيون: إفرايم، وأليشع المعلم، وحنوكة[٢]، فوجدوا في ثورة عنان ضألتهم المنشودة، ونصبوا عنان بن داود على رأس حركتهم. فأسرع الربانيون[٣] بالشكوى إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أمر بحبس عنان، ويروى بعض المؤرخين أن عنان

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل، ج٢، ص ٢٣٨. ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ١٧٨" علي بن محمد الفخري:تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الاديان، تحقيق وتقديم رشيد الخيون (بيروت: مدارك،٢٠١١)، ص ٢٨٨– ٢٨٩" الدوري: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٢٧–٢٢٨.

(٣) الربانيون أو الربانون أو الربيون: هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم، وتعني كلمة (ربانيم) بالعبرية الإمام الحبر الفقيه، وقد عربت هذه الكلمة إلى (رباني)، ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ... سورة المائدة، الآية ٤٤، وقد سمي أبناء هذه الفرقة (ربانيين) إشارة إلى إتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم في المشنا (= نص التلمود)، والتلمود، وتقيدوا بذلك حتى صار هذا الاسم سمة عامة لهم. وكانت -- --رئاسة اليهود (= الجالوت) لواحد من الربانيين وهم اكبر طوائف اليهود في تلك الآونة، وكان له حق الإشراف على أبناء الطوائف الثلاث من : الربانيين والسامريين والقرآئين. والربانيون هم حالياً جمهور اليهود الذين ينقسمون الى طائفتين كبيرتين وهم : الاشكناز وهم يهود اوروبا وشرقها، والسفارديم وهم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الابيض المتوسط، بعد هروبهم من الاندلس اثر محاكم التفتيش الاسبانية. ينظر، فرست مرعي الدهوكي: لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية ومخططاتهما ضد الاسلام، الطبعة الثانية (صنعاء: المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع،١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، ص ٤٩ – ٥٠.

هذا لقي الإمام أبا حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ في السجن فأشار عليه أن يدعي انه صاحب دين، وأنه يؤمن بعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) نبيين، وانه اختار الأعياد طبقاً لرؤية الهلال بدلاً من الحساب الفلكي، وانه يصر على أن آراءه ليست بآراء اليهود القدماء، وليس ثائرا على رأس الجالوت، لذا أطلق على حركته اسم (القرآئين) أو بني المقرأ [(١)]. وبعد إطلاق سراحه رحل إلى فلسطين هو وأتباعه حيث شيدوا لهم كنيس [(٢)]، وان كان بعض الباحثين المحدثين يرفض رواية السجن هذه ويرجحون انه لا صحة لها من أساسها وينفون ما زعمه باحثو الربانيين من تأثر القرائيين بالشيعة ألاثني عشرية، وان عنان كان تلميذا للمعتزلة الذين وقفوا موقف الحذر من بعض الأحاديث النبوية، وتحرجوا من اعتبار الحديث مصدرا أساسيا للتشريع الإسلامي، كما أن رفض (عنان بن داود) للتلمود ليس مرده الحقد على الربانيين، بل بسبب الصراع على منصب رئيس الجالوت كما قيل [(٣)].

---

(١) ريجارد كوك: بغداد مدينة الإسلام، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل ومصطفى جواد (بغداد : مطبعة شفيق،١٩٦٢)، ص ٦٢ – ٦٣.

(٢) القرائين كلمة مشتقة من المصدر (قرأ)، بمعنى قرأ –دعا– نادى– وذلك لأنهم لم يؤمنوا بغير (المقرأ) أي ما يقرأ فيه وهي التوراة التي لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود كما أنهم لم يتقيدوا بما جاء في التلمود، ويعتقدون بسابق القدر، ويعتمدون على الأهلة في تقويمهم وحساب أعيادهم ومواسمهم مما اوجد فروقا في هذه الناحية بينهم وبين الربانيين. وقد شبههم بعض المؤرخين العرب بالمعتزلة في الإسلام، والحقيقة أن هذا التشبيه لا يطابق الواقع، ولعل السبب في ذلك هو الخلط بينهم وبين الفريسيين، وهم فرقة يهودية ظهرت في بداية العصر المسيحي، أي إنها كانت معاصرة للسيد المسيح (عليه السلام)، وكانت تناصبه العداء. ينظر، مراد فرج : القراء ون والربانون، ص ٢٩ – ٣٠.

(٣) حسن ظاظا :الفكر الديني اليهودي أطواره ومذهبه (دمشق: دار القلم،٢٠٠٢)، ص٢٩٥. قاسم عبدة قاسم : أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، ص١١٢.

ويرجح البعض عودة نشأة هذه الفرقة إلى فترة سابقة على عصر عنـان والى جذور تاريخ القرائيين يمتد إلى أعماق التاريخ اليهودي، كما ذكر احد المؤرخين أن العانانية نسبة إلى عانان بـن داود، وأشـار بأنهـا فرقـة غـير القـرائيين الـذين يرجع تاريخ نشأتهم إلى فترة سابقة في التاريخ اليهودي[1].

وقـد اعتـبر مؤرخـو عصـر المماليـك الربـانيين والقـرائيين بمثابـة الفرقـة الواحدة، وذلك رغم انه كان لكل من الفرقتين معابدها الخاصة، فقد اتفق القراء ون والربانيون على استخراج سـتمائة وثـلاث عشـرة فريضـة مـن التـوراة، كمـا اتفقوا على نبوة موسى وهارون ويوشع، وعلـى نبـوة إبـراهيم واسـحق ويعقـوب وهو (إسرائيل) وأبنائـه ألاثـني عشـر (الأسـباط)، ولم يعـترف القـراء ون بغـير هؤلاء[2].

٥- في بداية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، ادعى رجـل يهـودي اسمه سلمون (سليمان) ظهر في فلسطين بأنه المسيح المخلص الـذي تنتظـره اليهـود " إنّـي مرسـل رسـولي فيعـد الطريـق أمـامي ويـأتي فجـأة إلى هيكلـه (المعبد)، السيد الذي تلتمسونه وملاك العهد الذي ترضون بـه. هـا إنَ آتٍ قـال رب الجنـود"[3]، وكـان سـلومون يسـافر مـن مكـان إلى آخـر يعد اليهـود بأنـه سيجمعهم بعد شهرين ونصـف إلى أورشـليم (القـدس)، وقـد تعجـب اليهـود مـن ادعائه لأنه كان كاهناً، والكاهن من نسل قبيلة (لأوي) وليس مـن نسـل نـبي الله داود (عليـه السـلام) الـذي هـو مـن نسـل (يهـوذا)[4] الـذي هـو شـرط في

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧٢، ٤٧٦. قاسم عبده، أهل الذمة، ص١١٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج١٣،ص٢٥٣، انظر أيضا مراد فرج، القراءون والربانيون، ص١١٣، ١١٦.

(٣) سفر ملا خي : ٣/١ .

(٤) فرست مرعي الدهوكي : لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية، ص ١٥٠ ملحق رقم (١).

المسيح المخلص كما تمت الإشارة إليه سابقاً. وكان يقول للناس بأنه سيذهب إلى مصر " وآتي بإخوتنا منها إلى أورشليم" وكان سلومون الكاهن من فرقة القرائين[1]، وهو أول قرائي يدعي أنه المسيح[2].

٦- في عام ١١٧٢م/٦٠٤هـ ظهر يهودي في مدينة فاس بالمغرب اسمه (موسى الدرعي) وكان من علماء اليهود المعروفين، وقال لليهود بأنه المسيح وأنه سيحقق معجزته في الليلة الأولى من الفصح اليهودي (= التسع من شهر نيسان). وقد أمر أتباعه أن يبيعوا أمتعتهم وأن يصبحوا مدانين للمسلمين وذلك بشراء ما قيمته ديناراً بعشرة دنانير من أجل أن يحققوا ما جاء في التوراة:: وأعطى الر نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين"[3] . وقال لهم في تعليل ذلك لأنَهم سوف لا يرونهم بعد ذلك، ولكن عيد الفصح جاء ومضى ولم يحدث شيء، وأصبح الذين صدقوه فقراء صعاليك بسبب دَينهم للمسلمين، وهرب الدرعي إلى فلسطين ومات هناك[4].

تصدي علماء الكلام اليهود لأدعياء المسيحانية

لقد تصدى أكابر متكلمة اليهود لدعاوى الوقاتين ونددوا بتنبؤاتهم عن ميعاد ظهور المسيا (المسيح المنتظر)، كما هو واضح في كتابات سعديا بن يوسف

(١) جعفر حسن هادي : المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٣) سفر الخروج، ١٢ / ٣٦.

(٤) جعفر هادي حسن: الدونمه بين اليهودية والإسلام، ص ٢٩ – ٣٠.

الفيـومي (٨٩٢–٩٤٢م)، وموســى بـن ميمـون (١١٣٥–١٢٠٤م)[(١)]، ويوســف البـو (١٣٨٠–١٤٤٤م) المتأثرين بالنزعة العقلية الاعتزالية، فأنكر هؤلاء دعاوي الوقاتين

---

(١) موسى بن ميمون: ولد موسى بن ميمون فى قرطبة عام٥٣٠هـ / ١١٣٥م التى كانت تخضع لحكم المسلمين آنذاك. وقد ظل هناك حتى عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٥م" إذ رحل إلى مصر، وهناك قضى بقية حياته إلى أن توفى. وينحدر موسى من أسرة عريقة يرجع نسبها إلى يهوذا هنَّاسي، بل إن بعض الباحثين يرجعون نسبه إلى الملك داود. وكان أبوه ميمون قاضياً فى المحاكم الدينية مشهوراً= =ومتمكناً فى الدراسات الدينية وعلم الفلك والرياضيات، وتلقى ابن ميمون دروسه الأولى فى الأندلس، حيث تمتزج فيها علوم العالم وثقافاته. وفى ظل هذه البيئة التى انصهرت فيها كل تلك الثقافات المختلفة نشأ موسى نشأة علمية فلسفية ودينية" فقد اهتم الأب ميمون بتعليم ابنه التوراة والتلمود وغيرهما من علوم الدين اليهودي. كما تتلمذ على يد عدد من المسلمين حاملي مشعل الحضارة والعلم فى ذلك الحين" أمثال يوسف بن صديق الأندلسي الذي كان لدروسه أثر عظيم فى تكوين عقلية ابن ميمون== == العلمية، وكذلك ابن أفلح الأشبيلي الذي درس على يده بالأندلس علم الفلك" هكذا اطلع ابن ميمون على كتابات المسلمين فى المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والطب. وعن ترحال موسى بن ميمون وأسرته نعرف أنه عندما دخل الموحدون إلى قرطبة عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م خيروا أهل الذمة من اليهود والنصارى المقيمين فيها بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عنها، فرحل بعضهم وبقى البعض الأخر ممن أظهر الإسلام وأبطن اليهودية منتظراً فرصة اللحاق بمن خرج. هكذا خرجت أسرة ميمون إلى جنوب إسبانيا حيث مدينة المرية، وهناك عاشت الأسرة اثنتي عشرة سنة حتى فتحها الموحدون عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م. وطبقاً لنظام التخيير السابق الذكر اضطرت الأسرة إلى اعتناق الإسلام وحفظ القرآن والاشتغال بالفقه. ولكن حينما سنحت الفرصة بالرحيل غادرت أسرة ميمون المرية متوجهة إلى مدينة== == فاس المغربية فى العام نفسه. ونتيجة لتشدد أسرة الموحدين، اضطرت أسرة ميمون إلى الإبحار خفية فى عام٥٦٣هـ/ ١١٦٥م إلى عكا ثم مكثت فيها ما يقارب ستة أشهر، حيث اضطرت للنزوح إلى مصر بسبب المعاملة الوحشية من الصليبيين للمسلمين واليهود الخاضعين لسلطانهم، كما أن مصر كانت تتميز بقدر كبير من التسامح الدينى وحرية العقيدة، هذا إضافة إلى المعاملة الحسنة من قبل الأيوبيين لأهل الذمة، وفى مصر، تولى موسى بن ميمون رئاسة الطائفة اليهودية عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وقد كان ذلك بدعم من الناصر صلاح الدين الأيوبي، ووزيره القاضي الفاضل تقديراً منهما لدور العلم والعلماء. كما أن موسى كان قد عيَّن ابنه إبراهيم خلفاً له في رئاسة الطائفة، وظلت هذه الوظيفة تتوارث داخل أسرة موسى بن ميمون حتى القرن الرابع عشر الميلادي وقد كان من نتائج تولى موسى رئاسة الطائفة أن أخذ في محاربة كل الخرافات والأساطير الموجودة في==

وسحرهم وشعوذتهم، وأكدوا وقرروا انه لا يجوز لأحد التنبؤ بقدوم المنقذ الإلهي (المسيح المنتظر)" فعلم ظهوره لا يعلمه إلا الله" [1]، مع تأكيدهم للمقاصد الغائية للمسيحانية من أن ظهور المخلص بشارة لدخول بني إسرائيل الأمان، وإن الإنسانية ستجد طريقها الصحيح إلى الدين الحق، وتعاليم التوراة وشرائعه، وستنعم البشرية بالرشاد تحت ظل مبادئ العدل والإخوة والمساواة، وستسقط كل العوائق والموانع التي كانت تحول دون الانكباب على دراسة التوراة والاستهداء بتعاليمه، وستنتهي عصور الخصومات والحروب وتنعم البشرية بالسلام والرفاهية بمجيء وقيام السيادة الإلهية على الخلق أجمعين . فصار الوقاتون يبحثون عن تاريخ محدد لظهور المسيا اليهودي، فحدد بعضهم عام ١٠٩٦م وهو عام بدء الحملات الصليبية، عام ظهور المخلِّص والسنة المنشودة للخلاص النهائي المحتوم The Year Of The Deliverance ولما أثبتت الأحداث أن الحروب الصليبية كانت شؤماً ودماراً كاملاً ليهود أوروبا، إذ جعل الصليبيون شعارهم الأول: " الثأر للسيد المسيح من قتلته اليهود "، واتهموا اليهود بموالاة المسلمين مما جر إلى سلسلة متعاقبة من حملات الاضطهاد والتنكيل والمذابح الجماعية ومصادرة الأموال والممتلكات، وفرض الإقامة الجبرية على اليهود في مناطق مقفلة، حصروا فيها

--- الديانة اليهودية، كما حارب كل العادات السيئة الموجودة فى الصلوات والطقوس الدينية. ونتيجة توطيد علاقته بالناصر صلاح الدين وأسرته وحاشيته، عمل طبيباً للملك الناصر، كما استعان به الناصر على تهدئة يهود اليمن في أوقات اندلاع أعمال الشغب والتمرد." ينظر: عبد المجيد، محمد بحر: اليهود في الأندلس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ١٩٧٠م)، ص٨٩- ٩٠" هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، ص ١٣ – ١٤ .

(١) العهد القديم : سفر زكريا، ٢٣/٣٤.

Ghetto، وألزموا بلبس القبعات المدببة The Jew Hat، ووضع شرائط صفراء على صدورهم بغية فرزهم وفصلهم عن المسيحيين The Yalow Badge [١].

وهكذا انتهى الأمل بالخلاص بنتائج سلبية ومعاناة قاسية، وفي القرنين التاليين للحروب الصليبية، عاد الوقاتون إلى تحديد تواريخ أخرى لمجيء المخلص من آل داود، فافترضوا عامي ١٣٤٨م و١٤٠٣م ميقاتاً معلوماً لظهوره، استخلاصاً من الرؤويات المبثوثة في سفر دانيال[٢].

داود مناحيم بن سليمان ابن الروحي (١٠٩٩ – ١١٦٠م)

هناك تضارب واختلاف في تدوين حادثة فتنة (داود بن سليمان الروحي (الرائي) بين المصادر اليهودية والإسلامية، فالمصدر الإسلامي الوحيد عنه هو كتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود) لصموئيل (السموأل) بن يحيى بن عبده المغربي المتوفى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م، الذي اعتنق الإسلام ببغداد سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[٣]، وغادرها الى إقليم أذربيجان حيث خدم بيت (بهلوان) وأمراء دولتهم، وتوفي في مدينة مراغة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[٤]، فيما لم يشر المؤرخ الشهير ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م إلى هذه الحادثة رغم معاصرته لها.

---

(١) عرفان عبد الحميد : المرجع السابق، ص ٣٣ – ٣٤.

(٢) فرست مرعي : لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية، ص ٤٤ – ٤٨.

(٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

أما المصادر اليهودية فكلها تستند في روايتها إلى رحلة بنيامين بن يونا التطيلي[1]. وتختلف هذه المصادر في اسم بطل هذه الفتنة، فبنيامين يسميه (داود الروئي)، ويقول المؤرخ اليهودي (ابن ويرغه) في كتابه (سبط يهوذا) إنه (داود الداود)، وفي (سلسلة التواريخ) لابن يحيى إنه (داود المنصور). وفي رواية أن لفظة (الروئي) محرفة عن لفظة (الرازي) نسبة إلى مدينة (الري) المدينة الإيرانية المعروفة التي كانت عاصمة لإقليم الجبال، والتي بنيت مدينة طهران في شمالها[2].

أما بخصوص المصادر الإسلامية وتحديداً كتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود) فانه يسميه (مناحيم بن سليمان) ويعرف بابن الروحي[3]. ويعتقد احد الباحثين اليهود المحدثين بأن اسم مناحيم مختلق، أطلقه هذا المسيح الدجال على نفسه لان التقاليد اليهودية تقول إن المسيح المنتظر يحمل اسم مناحيم أي (المعزي)، وعليه يمكن البت أن الاسم الكامل لبطل هذه الفتنة هو: داود بن مناحيم بن سليمان المعروف بابن الروحي. وبشأن تاريخ هذه الفتنة فيمكن تحديده في خلافة (محمد بن المستظهر الذي بويع له بالخلافة في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، ولقب المقتفي لأمر الله. وتوفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦١م[4]، وهذا واضح من قول الرحالة بنيامين:" وقبل عشر سنوات قامت في العمادية فتنة داود ابن الروحي". ولما كان من المعلوم أن بنيامين زار إيران حوالي سنة ١١٧٠م، لذا يبدو أن التاريخ التقريبي لوقوع الحادثة صحيحاً. كما يمكن الاستئناس بما أورده بنيامين من أن داود

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٣ – ٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤ هامش٣.

(٣) السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوي (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ)، ١٨١.

(٤) يوسف رزق الله غنيمة : نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق مع ملحق بتأريخ يهود العراق في القرن العشرين بقلم مير بصري، الطبعة الثانية (لندن: دار الوراق،١٩٩٧)، ص ١٤٣ هامش (١).

الروحي قد تلقى العلم في بغداد على يد رأس الجالوت، ورأس المثيبة، ولما كان رأس المثيبة (علي بن إسرائيل اللاوي) قد تولى رئاسة المثيبة من سنة ١١٥٢ إلى سنة ١١٦٠م. لذا أمكن القول بأن (داود ابن الروحي) قام بحركته في حدود سنة ١١٦٠م/٥٥٥هـ[١].

وإذا كان بنيامين والسموأل يتفقان من حيث المبدأ في نشأة هذه الفتنة ودواعي أسبابها، فإنهما يختلفان في إسلوب روايتها. فالأول يدافع عنه، وينسب إليه الخوارق والمعجزات" بسبب يهوديته[٢]، في حين يتحامل الثاني عليه بالطعن والتشهير" لكونه قد دخل في الإسلام، وهاجم اليهود واليهودية في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود)[٣].

ولد داود في بداية حروب الفرنجة عام ١٠٩٩ م، في منطقة حبتون (=خفتيان — هبتون)[٤] من ضواحي بلدة العمادية الواقعة في كردستان العراق، وقد أختلف البلدانيون والمؤرخون في تحديد موقعه، ولكن وفق المصادر السريانية والإسلامية فانه يشكل الجبال المطلة على نهر الزاب الكبير من الجهة الشرقية (= جبال شيرين المطلة على بارزان، وجبال برادوست— نواخين، وجبال حرير في محافظة

---

(١) رحلة بنيامين التطيلي، ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٤ — ٢٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ٢٤٥" والغريب أن احد الكتاب اليهود المحدثين يدافع عن السموأل اليهودي الذي أسلم بقوله : " ففي كتاب إفحام اليهود للصموأل (السموأل) ب. يحيى المغربي، وهو يهودي دخل في الإسلام، نجد رواية أكثر واقعية لانتفاضة ألروي" بغض النظر عن تحامل الكاتب على اليهود" إريك براور: يهود كردستان،ص ٦٣.

(٤) هبتون: حبتون — حفتيون جبل بنواحي الموصل، وهو من أعمال الموصل. ينظر، ياقوت الحموي : معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٩٨٦)، ج٢، ص ٢١١، ج٥، ص ٢٢٣" وفي نص آخر له يقول:"ثم يقلب في أرض حفيتون من أرض الموصل حتى يخرج في كورة المرج من كور الموصل" ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٣، ولعل حفيتون تصحيف من النساخ .

أربيل)[1]، وكان يعيش في منطقة العمادية آنذاك حوالي ٢٥ ألـف يهـودي يتفـاهمون بالعربيـة والترجـوم (= الأراميـة الشـرقية) وفـق روايـة الرحالـة اليهـودي (بنيـامين التطيلـي)[2]. تلقـى العلـم في بغـداد علـى يـد رأس الجـالوت في بغـداد (دانيـال بـن سـليمان حسـداي)، وعلـى يـد رأس المثيبـة (علـي بـن إسـرائيل الـلاوي (١١٥٢ – ١١٦٠م). كان داود شابا ذكيا وسـيما طليقـا في الكـلام، حضـر دروسـا في الجامعـة النظاميـة وحضـر حلقـات أربـاب التصـوف في بغـداد، أمثـال الشـيخ عبـد القـادر الجيلاني (١٠٧٨ – ١١٦٥) وسمع منه كتابه (الفتح الربـاني والفـيض الرحمـاني)، كما حضر دروس عدي بن مسافر في الموصل[3]، وبعدها سـافر إلى دمشـق وانتقـل

---

(١) جان موريس فبيه : آشور المسيحية، ترجمة نافع توسا، مراجعة وتدقيق يوسف توما (بغداد: منشورات الفكر المسيحي،٢٠١١)، ج١، ص ١٥٢، حيث يضيف بأنه إعتماداً على كتاب العفة والملاحظة المدونة في العدد ٩٠ المخصصة للربان (قام إيشوع)، حيث تقول:" يقع جبل حيوتون الذي سيؤسس فيه الربان قامإيشوع ديره على بعد عشرة أميال من دير بيث عاوي (= يقع على بعد خمسة أميال غرب مدينة عقرة)"، المرجع نفسه، ص ١٥٢ – ١٥٣" وهفتون:" بليدة من نواحي اربل تنزلها القوافل لمن يريد أذربيجان، وخفتيان قلعتان عظيمتان من أعمال اربل. أحداهما على طريق مراغة يقال لها خفتيان الزرزاري، والاخرى خفتيان سرخاب بن بدر، ويكتب في الكتب خفتيذكان". وقد وردت في رسائل صموئيل بن علي رأس مثيبة بغداد باسم خفتيذكان زرزاران. ينظر : رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٥– ١٨٦" ولمزيد من المعلومات ينظر، سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل (مصر: المطبعة السلفية،١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، ج١، ص ٦٠" فرست مرعي : الفتح الإسلامي لكردستان (دمشق: دار الزمان، ٢٠١١)، ص ١٤٢ .

(٢) يبدو انه هناك مبالغة من قبل الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في تقدير عدد اليهود في تلك المنطقة الجبلية النائية من كردستان (=العراق حاليا).

(٣) محمد عبد الحميد الحمد : دور اليهود في الحضارة الإسلامية (الرقة :٢٠٠٦)، ص٢١٩، وكان الباحث قد أعتمد على كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، للمستشرق السويسري آدم متز في تدوين المعلومات الخاصة بدراسة داود الروحي على يد علماء المسلمين" ولكنني بمراجعة المرجع المذكور لم أجد النص المدون في المتن، لذا اقتضى التنويه.

بعدها إلى بيت المقدس، فوجدها بيد الفرنجة، فعاد إلى بغداد وانتقل إلى خراسان، وكان اليهود وفيري العدد في إقليم الجبال حسب رواية ألبلداني الإسلامي المقدسي المتوفى سنة ٣٦٧هـ[1]، وهذا ما جعل المستشرق السويسري (آدم متز) يقدرهم بأكثر من ثمن سكان العراق وخراسان[2].

لمعت في خيال داود فكرة تحرير القدس من يد الفرنجة، فكيف الوصول إلى ذلك؟ حَول الفكرة إلى عمل وادعى انه المسيح المنتظر، وان الله أوكل إليه مهمة تحرير القدس الشريف، وانه سيعيد العدل إلى هذه الربوع . نالت فكرته الرضا والقبول، وادعى انه يعرف اسم الله الأعظم، فهو إذن من العارفين بالله . قال بنيامين التطيلي:"لقد تضلع بالتوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم، وبرع بلغة المسلمين ودياناتهم، ونبغ بفنون السحر والشعوذة، ودخل في روحه أن يعلن العصيان على الاتابك قطب الدين بن مودود التركماني (٥٤٤-٥٦٥هـ/١١٤٩-١١٦٩م) في خلافة المتقي لأمر الله العباسي في منطقة طبرستان (= مازندران - جنوب بحر الخزر - قزوين). وجمع حوله يهود جبال تلك المناطق، ودعا إلى مقاتلة الصليبيين، وقال لليهود: إن الله قيضني لفتح القدس، وإنقاذكم من نير الاستعباد، فآمنت به مجامع من البسطاء وحسبوه المسيح المنتظر"[3].

ولما خرج داود الروحي طلبه عامل السلطان مودود وسأله :" أمن صحيح انك ملك اليهود؟ قال داود: نعم فأمر بالقبض عليه وزجه في السجن، وعقد مجلسا للنظر في هذه الفتنة، فإذا بداود قد اختفى وظهر في بلاد السلطان في الموصل، وهو

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٦)، ص ٢٥٣ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة، ١٩٨٣) ج١، ص ٦٢.

(٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٦ - ١٨٧.

طليق من الأغلال والقيود، فدهش السلطان وقادة الجيش وسأله السلطان: كيف شخصت إلى هنا؟ ومن أطلق سراحك؟ فأجابه داود: بحكمتي ودهائي وحدهما، وانأ لست خائفا منك، ولا أخشى وزراءك . فأمر السلطان (= سنقر بن مودود) حراسه بأن يقبضوا علي داود، لكن هؤلاء كانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه. فهال السلطان هذا الأمر، وسمع صوت داود يقول: إنني الآن ذاهب في طريقي . فشاهده الجميع وهو يبارح المكان، وتبعه السلطان وجنده ووزرائه، حتى أشرفوا على شاطئ النهر (قيزل أوزون). فرأوا داود ينشر طيلسانه فوق الماء ويعبر عليه إلى الجانب الآخر... أما داود فقد نطق ببعض التعاويذ ونطق باسم الله الخفي (= الأعظم)، فقطع بيوم واحد ما مسيرته عشرة أيام، فبلغ مدينة العمادية وقص على أتباعه ما حدث..."[1]

كتب السلطان السلجوقي سنقر بن مودود إلى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦١م) بأخبار داود بن الروحي اليهودي، فطلب الخليفة من رأس الجالوت ورأي المثيبة في بغداد، بإجراء اللازم، فحرروا كتابا إلى داود جاء فيه: " ليكن بمعلومك ان موعد ظهور المسيح لم يحن بعد، وليس لدينا براهين عن قرب ظهوره، وهذا الأمر لا يتم بشق عصا الطاعة . وإنما مطالبوك بالكف عما أنت فيه، وإلا حرمناك من أن تكون من جماعة بني إسرائيل ". وأرسلت نسخة من الكتاب إلى الرئيس زكاي والى الفلكي المعروف ببرهان الفلك في الموصل، ليردعوا داود عن زيفه وأباطيله، ولكن داود لم يرتدع[2] . يقول بنيامين التطيلي بهذا

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٨ – ١٨٩" يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ١٤٦.

الصدد: وبواسطة الحيلة أرسل الرئيس (رأس المثيبة في الموصل) زكاي (= زكاي بن سليمان حسداي) إلى حمي داود عشرة آلاف دينار، فدخل على داود وهو يغط في النوم، وذبحه في فراشه وتخلص العباد من شره، وأرسل رأس الجالوت إلى الأمير زين الدين علي بن بكتكين التركماني (٥٣٩ –٥٦٣هـ/١١٤٤–١١٦٣م) مبلغا جسيما وقدره مائة ألف دينار ذهباً ذهباً، لكي يعفو عن اليهود في منطقة العمادية[١] .

لقد تجاهلت المصادر الإسلامية (داود بن الروحي)، ولم تذكره، والسؤال: هل قصة داود مختلقة؟ أم هي حقيقية ؟ يبدو أن قصة داود بن الروحي حقيقة تاريخية، ولكن المؤرخين الإسلاميين أهملوها ولم يتعرضوا لتدوينها بسبب عدم أهميتها من وجهة نظرهم، ولأنهم لم يذكروا إلا النذر اليسير من أخبار أهل الذمة من اليهود والنصارى، وما جاء في كتبهم من النتف القليلة عن أخبار هؤلاء، أو ردوها على سبيل العرض ليس إلا، أو أنهم ذكروها لعلاقتها بتاريخ الخلافة واشتراك المسلمين فيها، بينما كانت مهمة من وجهة نظر مؤرخي يهود ورجالتهم لأنها تلقي ضوءاً على الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية للمجتمع اليهودي ضمن دولة الخلافة العباسية آنذاك[٢] .

فالعالم اليهودي (السموأل بن يحيى بن عباس المغربي اليهودي)، بعد اعتناقه الإسلام سنة (٥٥٨هـ – ١١٦٢م) كتب كتابا سماه (بذل المجهود في إفحام اليهود)، تعرض فيه لقضية داود بن الروحي بإسهاب جاء فيه: "خاطب داود اليهود بقوله لعلكم تقولون، لأي شي استفزنا داود؟ لسنا نريدكم لحرب أو لقتال، ولكن لكي

---

(١) رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٩.

(٢) يوسف غنيمة : نزهة المشتاق، ص ١٤١.

تكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ليراكم هناك، من يخشاه من رسل الملوك الذين ببابه، وينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف يخفيه تحت أثوابه "[1].

تعاطف اليهود في البداية مع داود، وعندما انكشف أمره وقتل، وصفوه بصاحب الفتنة المحتال . ولكن اليهود عانوا وبال المشقة والخسارات والفقر في منطقة العمادية، أما ماذا حدث ليهود بغداد أثناء ظهور داود؟ قال يحيى بن عباس المغربي:" فرح اليهود به، وقدموا أموالهم إلى ممثلي المسيح المنتظر، واكتسى الفقراء ثيابا، واجتمعوا على السطوح ينتظرون الطيران على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس، وارتفع من النساء بكاء خوفا على أطفالهن من أن يطيروا قبل طيرانهن، فيجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم . وعندما لم يحصل الطيران، تعجب المسلمون لما اعترى اليهود عندما أسفر الصبح، واختفى ممثلو الدجال داود وانكشفت الحيلة، فسموا ذلك العام عام الطيران"، وهو عام (٥٥٦هـ – ١١٦٠م)[2].

وفي خبر يورده بنيامين التطيلي:" إن موسى بن ميمون عندما قبض على داود، وعرف بمصيره قال داود للوالي: إذا قطع رأسه لايلبث أن يعود للحياة، فأمر الوالي بحز رقبته، وعاجلته المنية وانتهت هذه الفتنة"[3].

ويذكر السموأل الذي كان معاصراً لهذه الحركة بأنه رأى جماعة من يهود الأعاجم (= إيران) في مدن: خوي، وسلماس، وتبريز، ومراغه، قد جعلوا اسمه

---

(١) السموأل بن يحيى المغربي : إفحام اليهود، ص١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٣ – ١٨٤.

(٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٤٦.

(مناحيم) قسمهم. وأما من في العمادية من اليهود فصاروا أشد مباينة ومخالفة في جميع أمورهم لليهود[1].

وعندما وصل الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الى ايران بعد عدة سنوات من موت داود الروحي، وجد مجموعة من اليهود يعتقدون بمناحيم المسيح المنتظر الذي سيظهر مرة أخرى، كما وجد أتباعاً له في العمادية وغيرها يسمون (المناحمية)[2].

وقد كتب (بنيامين دزرائيلي) رئيس وزراء بريطانيا في الاعوام ١٨٧٤ – ١٨٨٠م، الذي كان من أصل يهودي، رواية عن (داود الروحي – الرحى)، صوره فيها بطلاً قومياً فاتحاً[3].

وقد أطلق اليهود الكرد الذين هاجروا من العراق اسمه على إحدى مستوطناتهم في فلسطين المحتلة (إسرائيل).

هذه هي صورة اليهودي المتمرد الذي دفعته القبالة للخروج على السلطة من صورة اليهودي الذليل، إلى صورة الرجل الثائر الذي أراد تحرير القدس من يد الفرنجة.

---

(١) إفحام اليهود، ص ١٨٢ .

(٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٩هامش (٣).

(٣) السموأل بن يحيى المغربي : إفحام اليهود، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوي (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،١٤٠٧هـ)،١٨١.

الخاتمة

أولاً: بشأن أوضاع اليهود في ظل الخلافة الإسلامية، نستطيع الجزم - بعد دراسة لآراء مجموعة من المستشرقين والمؤرخين اليهود، أنهم قد اتفقوا مع المصادر الإسلامية بشكل كبير أن معاملة اليهود في المجتمع الإسلامي في العصر الإسلامي (الوسيط) كانت أفضل بكثير من معاملتهم من قبل الأوروبيين في تلك الحقبة، كما رحّب اليهود بالإسلام ونعموا تحت جناحيه بحياة حرة كريمة، وقبلوا حكمه وجزيته، وهو ما نلمسه بشكل عملي في الازدهار والرخاء الذي عاشه اليهود في مختلف الأقطار العربية بعد دخول الإسلام. كما أكد المؤرخون اليهود قبل المسلمين على سماحة الإسلام، وعلى نظرة اليهود للفتح العربي الإسلامي ثم قبول حكمه باعتباره المنقذ لهم من نير وظلم الدولة البيزنطية. وأن ما حدث لليهود من أعمال الاضطهاد والطرد من أسبانيا ومحاكم التفتيش فى أوربا على وجه الخصوص، رغم ضلوع اليهود فيها، إلا أنهم في البلدان العربية لم يمروا بما مروا به في الغرب، بل وعاشوا في حرية دينية تامة، ومارسوا شعائرهم وبنو المعابد، ومع ذلك عملوا في الخفاء ضد السلطات المحلية.

ثانياً: بشأن الحركات اليهودية المسيحانية فى المشرق الاسلامى، يتضح من البحث أن المسيح اليهودي هو ذلك الشخص الذي من شأنه إنقاذ وخلاص بني إسرائيل وتكوين مملكة داود، أما الفكرة المسيحانية فتعنى خلاص بنى إسرائيل من هذا العالم وشروره وآثامه وسيادة اليهود للعالم الجديد تحت قيادة الملك المسيح. وقد كانت الفكرة المسيحانية تظهر وبقوة لدى اليهود، عندما تتدهور العالم وتقع كوارث وتندلع الحرب بين الاشرار والأخيار، فضلاً عن الانحطاط

الأخلاقـي وتـدهور العلاقـات الاجتماعيـة. ثـم تكـون النهايـة ببشـارة إيليـا بقـدوم المسيح. وقد فظهرت هذه الفكرة وبقوة لأول مرة بعد دمار المعبـد السـليماني (= المسـجد الاقصـى)، ثـم ظهـرت خـلال مـا تعرضـوا لـه مـن دمـار علـى يـد الغـزاة الصليبيين والمغول فيما بعد – حقبة البحث –. ثم عادت للظهور بعد اعمال العنف والاضـطهاد والقمـع ومحـاكم التفتـيش والطـرد التـى اجتاحـت أوربـا فـى العصـور الوسطى.

من أهم الحركات المسيحانية قبل داود الروحي" حركة ابـو يعقـوب الاصـفهاني، وداود بن عنان صحب المذهب القرائي اليهودي، واليوذعانية وغيرها. هذه النمـاذج وغيرها من المسحاء الكذبة تؤكد على عنصرين هامين، الأول: كذب وادعـاء هـؤلاء المسحاء الكذبة، الذين اسـتغلوا مـا وصـل لـه اليهـود مـن انتظـار وشـوق ولهفـة في انتظار المسيح الذي سيخلصهم من هذا العالم وشروره. أما الثاني: طبيعة الظروف المحيطة سواء أكانت اضطهاد للجاليات اليهودية فى أوروبـا، أو غـزو غربـي للعـالم الاسلامى، ولم يكن العالم الإسلامي طرفاً فيما تعرض لـه اليهـود، فلـم يكـن العـالم الإسلامى سبباً لظهور مثل هذه الحركات" وإنما الحريـة والتسـامح والرفاهيـة ورغـد العيش، هي عوامل حفزت بعض اليهـود علـى العمـل علـى السـيطرة علـى إخـوانهم بواسـطة اسـتعمال التصـوف اليهـودي (القبالـة) وتوظيفهـا مـع أسـاليب الشـعوذة والدجل الذب كان يسود المجتمعات اليهودية في ايران واليمن وكردستان، حيث كان (داود الروحي) على دراية بأن يهود ايران كانوا أغبى اليهود جميعاً على حد تعـبير بنيامين التطيلي. وهذا ما مكنه من تولي وتبوأ موقع القيادة، وكان من نتائج هذه الأكاذيب والأوهام فشل تلك الحركات الذريع، وهو ما يعود بآثاره السلبية الوخيمـة على الجاليات اليهودية.

(٥)

العلاقات الكوردية اليهودية

كانت العلاقات الكوردية اليهودية تتسم بالشفافية والإيجابية ولم يعكر صفوها سوى بعض التجاوزات التي كان يقوم بها بعض رؤساء القبائل الكردية أو بعض المحسوبين عليهم (الأشقياء)، ويذكر الكاتب الاسرائيلي (حاييم كوهين) بان اليهود قاسوا في كوردستان اكثر مما قاساه ابناء جلدتهم في جنوب العراق، ويعلل ذلك بانه جرت العادة في كوردستان بان تدفع القبائل الصغيرة اموالا وخدمات للقبائل الكبيرة مقابل حمايتهم ضد اللصوص وقطاع الطرق من القبائل الاخرى.

ولما كان يهود كوردستان مبعثرين في اماكن مختلفة فان كل جماعة يهودية صغيرة كان عليها ان تقبل الحماية من أي من القبائل التي تملك قوة اكبر في المناطق المجاورة، وفي خضم الصراعات التي كثيرا ما تحدث بين القبائل الكوردية، فان اليهود لكونهم خاضعين لاحدى هذه القبائل فانهم قاسوا كثيرا من جراء ذلك[١].

---

(١) خلدون ناجي معروف : الاقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ و١٩٥٢م مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد،ج١ص٧٤ نقلاعن: Hayyim J .Cohen: A Note on Social Change Among Iraqi Jewish Journal of Sociology, Vol 3, London.1965, .P 206

ومن جانب اخر فان الانثروبولوجي الامريكي (هنري فيلد) ينقل عن رئيس قرية صندور[1] اليهودية في عام ١٩٣٤م قوله بأن يهود قريته قد تعرضوا مرتين الى هجمات مباشرة من قبل القبائل الكوردية، اولاهما في عام ١٩٠٤ حيث هرب اليهود الى الجبال المجاورة وتم نهب اموالهم ومواشيهم، واصبح اليهود لاجئين لاول مرة في وطنهم، غير ان جهود آغا دهوك جعلتهم يرجعون الى ديارهم مرة اخرى.[2] ولم يحدد المصدر من هو آغا دهوك آنذاك ولعله رئيس عشيرة الدوسكي بإعتبارها العشيرة التي كانت قراها تحيط بمدينة دهوك من الجهات الأربع.

ولكن رغم ذلك فقط حدثت بعض المنغصات في العلاقة بين المسلمين الكرد واليهود الكورد، رغم أن العديد من الباحثين والمؤرخين اليهود والإسرائيليين يلقون تبعات هذه العلاقات غير الودية في بعض الأحايين إلى زعماء القبائل الكوردية (الأغوات) وأقربائهم (اليس ئاغا) ومعاونيهم من رؤساء القرى (المخاتير)، إلا أنه حدثت تجاوزات من قبل قطاع الطرق والعصابات التي كانت تقوم بنصب الكمائن في الوديان ومنحنيات الجبال الكوردية.

ومهما يكن من امر فان هذه التجاوزات والخروقات البسيطة التي لا يتجاوز ضحاياها من اليهود العشربن شخصاً خلال قرن كامل لاتعد شيئا قياسا باعتداءات جرت ليهود في منا طق اخرى سواءً في العالم الاسلامي او العالم المسيحي حيث كان

---

(١) تعتبر صندور القرية اليهودية الوحيدة في كوردستان، تقع على مسافة حوالي عشرة كيلومترات شمال مدينة دهوك، لذا زارها اغلب الرحالة اليهود من الذين جابوا العراق وكوردستان، وكانت ايضا محل الدراسة الميدانية التي قام بها الانثروبولوجي الامريكي عام ١٩٣٤م لدراسة صفات اليهود الكورد والتي نشرها فيما بعد في بحث علمي رائع، ترجمها الى لغة الضاد جرجيس فتح الله ونشرتها دار ئاراس في اربيل.

(٢) Susan Meiselas: Kurdistan in the Shadow of History, printed in Italy 1997, P 165

اليهـود واقعـين في شـر مسـتطير وكـانوا واقعـين تحـت خطـر الابـادة الجماعيـة (الجينوسايد) وخاصة في المجتمعات المسيحية في شرق اوربا.

فعلى سبيل المثال فقط تمكنا من تحديد عدة حالات تجاوز فيها الكورد على جيرانهم اليهود جرت وقائعها في ثلاثينات وأربعينيات القرن العشرين وهي:

١- في نهاية الثلاثينات خطفت إمـرأة يهوديـة في قريـة أرادن إسـلام، ممـا جعـل أهلها يتركون القرية قاصدين قرية بـامرني مقـر الطريقـة النقشـبندية للإجتمـاء بجوار الشيخ بهاء الدين النقشبندي، ولما كان اليهـود بحاجـة إلى رجـال الـدين لتمشية أمورهم الحياتية والروحية لذلك وصل أحد رجال الدين اليهود (المعلـم) من العمادية إلى بامرني بقصد القيام بعملية الذبح اليهودية (الشـوحيطم)، وبعـد إتمام الطقوس الخاصة بذلك رجع المعلم اليهودي إلى العمادية برفقـة إثـنين مـن اليهود أحدهما يدعى نفتو (نفتالي) والثاني بنو (بنيـامين)، ولكـن عصـابة مـن قطـاع الطـرق نصـبت كمينـاً لهـم وتمكنـت مـن خطفهـم في (گرگـێ بتێـژيك) في المنطقة الواقعة بين بـامرني و قريـة أرادن نصـارى، حيـث تم نقلـهم إلى (شـيڤا گورگا) حيث تم قتلهم جميعاً.

٢- في سنة ١٩٤١ وبينما كان أهالي قرى إكمالة وسـندور وقارقارفـا غـارقين في نومهم أيقظهم نداء إستغاثة من قبل رعـاة الغـنم في جبـل سـبيريز المطـل علـى القرى الثلاثة من الجهة الجنوبية، ولما كانت عادة أهالي المنطقة إستجابة النداء أياً كان مصدره، لذلك حمل كل سلاحه وتوجهوا إلى مصدرالاستغاثة في الجبل، حيث حدث إطلاق نار أدى إلى جـرح المـدعو مصـطفى گـردى مـن أهـالي قريـة إكمالة وقام يهود سندور بمحاولة إسـعافه دون جـدوى حيـث فـارق الحيـاة مـن جرح بسيط في ساقه. وقد إتهم أهالي إكمالة يهود سندور بقتله رغم نفي اليهود ذلك. لذلك صمم أخو المقتول تيلي گردى ومعه إبن عمه رشيد گندل على أخـذ

الثأر من يهود سندور، حيث قاموا في إحدى الليالي بالتوجه إلى قرية سندور ودخلوا الكنيست على حين غفلة منهم، ولما رأى اليهود الجالسين في الكنيست الرجلين في مدخل باب الكنيست أطفئوا الأنوار خوفا وهلعاً، وقام تيلي وابن عمه رشيد بإطلاق النار بصورة عشوائية عليهم مما أدى إلى مقتل سبعة منهم وجرح آخرين، وعلى إثرها أصبح تيلي گردى وإبن عمه رشيد گندل مطلوبين لدى السلطات الملكية العراقية، وقد أشارت الصحافة اليهودية في فاسطين إلى هذه الحادثة التي جرت ليهود سندور[1]. ومما تجدر الإشارة إليه أن تيلي گردى باعتباره أحدى الشخصيات العشائرية الدوسكية المشهورة كان يعتبر سابقاً أحد حماة يهود سندور من إعتداءات الآخرين.

ويورد تقرير كتبه احد المبشرين اليهود في العام ١٩٤٥م، يناقش فيه اسباب الهجوم ويقول " شجار ونزاع قديم بين (موشي) ابن الحاخام (مردخاي) وسكان القرية القريبة المجاورة (= اكماله). وتصف المصادر اليهودية موشي كونه رجلاً شجاعاً لم يتحمل أن يسرق احد ما اخوانه الفرحين من قبل الجيران .

ويتحدث تقرير بريطاني عن تلك الظروف التي قادت الى وقوع هذه الحادثة. حاول لصوص في العام ١٩٣٠م، أكراد قرية إكماله المجاورة سرقة الاغنام والماعز والبقر ولكن الحراس اليهود كانوا بالمرصاد، ومنعوهم من السرقة وأطلقوا عليهم النار، وقتل واحد منهم (= مصطفى) وكان شقيق آغا إكماله (= تيلي كردي)، وظل كرد إكماله يحاولون الانتقام لاحد عشر عاماً بقتلهم (موشي المختار) وأشقائه ساسون ويهودا الذين كانوا رأس الجالية ولكن دونما جدوى.

---

(١) إريك براور: يهود كوردستان، ترجمه إلى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، أربيل، دار ئاراس، ٢٠٠٢، ص٣٧.

وخلال فترة التوتر ضد اليهود الذي انتشر وعم في كل العراق عام ١٩٤١م (= عام الفرهود) اعتبر كرد إكماله، انه ربما حان الوقت الملائم للانتقام. وفي مساء السبت ١٣ ديسمبر/كانون الاول ١٩٤١م اقتحموا القرية (= صندور) وفتحوا نيران بنادقهم على منازل المختار وأخيه . وقتل سبعة رجال وجرح ثلاثة آخرون، جراح بعضهم خطيرة. واستناداً الى تقرير مكتب الشؤون الخارجية حدث الهجوم (يوم الاربعاء ١٢ شباط) أو (الجمعة ١٠ كانونا الاول ١٩٤١م).

وينقل الباحث عن شاهد عيان لتلك المذبحة (= صالح رَحاميم) جميع تفاصيل الحادثة. ففي ليلة السبت (١٣ كانون الثاني ١٩٤١م)، جاء اثنان من رجال القبائل من قرية إكماله (= تيلي كردي وابن عمه رشيد كندل) وانضم اليهم خمسة آخرون من رجال القبائل: " دخلوا منزل ساسون شقيق موشي المعلم (المختار)، في الواقع لم يدخلوا... ولكنهم اطلقوا الرصاص من النافذة وجرحوا طفلين أحدهما يدعى فريق والثاني صادق... ثم غادروا وتوجهوا الى منزل المختار، موشي ودعاهم للدخول... أجابوه: لا جئنا لنقتلك وبدأوا بالاطلاق النار على كل من كان هناك... لم يقتلوا اسرتي فقط، بل قتلوا الضيوف كذلك... والقتلى هم :الحاخام مُردخاي حبر الجالية (١٨٧٠-١٩٤١م) وابنه موشي المعلم (١٨٩٠-١٩٤١م)، موشي من قرية (ميرى)، شيكو، يوسف، شاباتاي، وجمعة..." .

ومن جانب آخرفان الباحث ينقل وجهة نظر أخرى عن شاهد العيان (صالح رَحاميم) من أقرباء المختار القتيل، قوله: " كان اليهود أقوياء، والمختار (موشي المعلم) كان يضايقهم (= الكرد المجاورون)، ونحن كنا من الفلاحين هناك، وإذا ما سرقوا عنزة، خروفاً، أو بقرة، يلقى اللوم على فلاحي إكماله... وكان للمختار صديق يعمل قاضياً في دهوك، يقوم بكل ما يطلب منه...".

ويستطرد الباحث بأن القتلة هربوا وأختبأوا في الجبال المجاورة خوفاً من ملاحقة السلطات لهم، ولكنهم بين الحين والآخر كانوا يعودون لزيارة منازلهم في

قرية إكماله، وكان يرافقهما ايضا رجال آخرين منهم (سليم مصطفى بيسفكي) المتهم بقتل المنصر (المبشر) الامريكي المشيخي (كامبرلند– كامبلان) في ١٢ حزيران١٩٣٨م، وينقل عن شاهد عيان يهودي قوله:" ذات يوم قابل القتلة الهاربين صدفة عندما كان يعمل مع والده في بستان الكرم وسألهم والده: (لماذا تقتلون الابرياء ! و كانا رشيد (كندل)، وتيلي (كردي) قتلا واقترفا تلك الجريمة. وشرحا لوالدي قائلين: لقد عُدنا مبكراً تلك الليلة ولم نتوقع وجود اناس كثيرين... وطلبا من والدي عدم كشف وجودهما بالمنطقة، وكانا يتسكعان في الجبال أثناء النهار وفي الليل يعودان الى منزلهما... وقال لهما والدي حسناً، لن أبوح بسركما".

وكان سليم مصطفى بيسفكي دوسكي قد قتل المنصر (المبشر) الامريكي المشيخي كمبرلند (=كامبلان) في ١٢حزيران ١٩٣٨م، وإثر ذلك أصبح مطارداً من قبل الحكومة، وعندما قتل تيلي كردي إكمالي دوسكي وابن عمه اليهود السبعة من قرية صندور، التحق هو الاخر بالجبال. واصبح الجانبان يتجولان سوية نظرا لصلة المصاهرة بينهما، وفي تلك الحقبة حاول سعيد آغا رئيس عشيرة الدوسكي عمل اللازم لهم من أجل عودتهم الى ديارهما، والقت المصادر اليهودية الضوء على دوره بالقول:" لقد سعيد آغا دوراً حيوياً للصلح بين المجرمين وعوائل الضحايا اليهود في صندور، ويقال ان سعيد آغا قال لهم: هم فعلوا ما فعلوا، وما حد، حدث لقد أثار مختاركم قلقهم وخلق لهم مشاكل" وبذلك القى اللوم كله على عاتق المختار اليهودي (موشي) الذي كان من بين الضحايا السبع".

وقد حاول سعيد آغا جاهداً عقد صلح بين الجانبين، يتم بموجبها تعويض الضحايا بمبلغ ثلاثين دينار عن كل ضحية من ضحايا يهود صندور، ولكن فلاحي قرية صندور رفضوا العرض، واعتبروها إهانة بحقهم، ولايعلم على وجه التهديد، كيف استطاع سعيدآغا اسقاط التهم عن هؤلاء وعن سليم مصطفى بيسفكي قاتل

كمبرلند، حيث يعتقد بأنهم امضوا حوال شهرين في سجن العمادية، بعدها رجعوا الى بيوتهم.

ويبدو ان ذلك الاتفاق قد عمل على استعادة العلاقات بين الجانبين، وقد وصف (اسرائيل ابن يهودا ابن مرخاي) حفيد الحاخام الذي قتل، وصف ذلك الموقف الدقيق من وجهة نظر يهودية، بقوله:" اذا كانوا قد قدموا للمحاكمة فالعقوبة هي الشنق... ولكننا آنذاك كنا مجبرين على ترك المكان (=صندور)الذي كان قريتنا للسنوات المائة الاخيرة، ولم نكن ننوي الرحيل، ومع ذلك قررنا عقد الصلح ودفعوا غرامة كبيرة على جرائمهم".

وهذا التناقض يبدو واضحاً في كلام الباحث اليهودي حول امتناع فلاحي قرية صندور عن استلام مبالغ التعويض، وفي كلام اسرائيل مردخاي عن استلام الغرامة.

وبعد عقد الصلح بين الجانبين اصبح كرد قرية إكماله اصدقاء جيدين ليهود قرية صندور من جديد، وكأن شيئاً لم يكن، ويقول اسرائيل مردخاي ان آغا إكماله (تيلي كردي) قد ساع يهود صندور وحماهم خلال فترة نظام رشيد عالي الكيلاني.

ففي شهر حزيران عام ١٩٤١م وبعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني ورفاقه من الضباط الاربعة، هاجت الجماهير العراقية في بغداد وهاجموا محلات وبيوت يهود بغداد بسبب فرحهم بخسارة الثورة وعودة المحتل البريطاني ومعه الوصي على العراق (عبداله)، وقد خاف يهود كردستان خوفا شديداً من جراء التبعات المترتبة على ذلك، وحضر آغا قرية إكماله (تيلي كردي) ورجاله لحماية يهود قرية صندورمن مشاكل مرتقبة، ومع ذلك بقي خوف اليهود من رجال القبائل الكردية الاخرى من غير قبيلة الدوسكي، وأرسل (يهودا ابن الحاخام مردخاي المولود عام١٩٠٢م المختار بعد مقتل اخيه موشي، ارسل رسولين الى سعيد آغا كبير آغاوات الدوسكي يطلب منه ارسال رجاله لحماية وحراسة اليهود، وجاء سعيد آغا مع رجاله ومعه قوة من رجال الشرطة وطرد رجال قبائل الكرد الاخرين الذين

هــاجموا قريــة صــندور، وتــرك مفــرزة مــن رجالــه لحمايــة القريــة، كمــا أن الحكومة الملكية العراقية أنشأت هي الاخرى مخفرا للشرطة في القرية اعتباراً من سنةِ ١٩٤١م.

في سنة ١٩٤٥ كان من عادة الكورد آنذاك الذهاب إلى مراعيهم في الجبال (زووم)، لذلك قام أهالي قرية طروانش الواقعة في منطقة بـرواري بـالا شمـال شـرق العمادية بالذهاب إلى جبل سر العمادية (سلسلة جبل متين) الواقعة جنوب القرية، وعندما طلبوا من مواطنهم اليهودي (رفو) بالذهاب معهم إلى الجبل رفض وأصر على البقاء في القرية. وفي إحدى الليالي صعد بعض اللصوص إلى سطح قصر اليهودي حيث كان نائماً برفقة عائلته وقتلوه رغم توسله بأنه يملك خمسة ليرات ذهبية وأنه مستعد لدفعها لهم مقابل الإبقاء على حياته، وهكذا ذهب اليهودي ضحية عدم مرافقة أهل قريته إلى مراعي القرية في الجبال.

كـان أحـد يهـود قريـة بيتنـور الواقعـة في منطقـة بـرواري بـالا شمـال العماديـة والمدعو زاوو تاجراً مشهوراً في المنطقة، حيث كان يتاجر ما بين الموصل ومنطقة هكاري في كوردستان تركيا، لذلك كانت أنظار قطاع الطرق وبعض متنفذي وأغوات المنطقـة ترمـي للـتخلص منـه ونهـب أموالـه الكـثيرة الـتي كـان يسـيل لهـا لعـاب الكثيرين. ففي إحدى الليـالي مـن سـنة ١٩٤٧-١٩٤٨ وبعـدما رجـع بتجارتـه مـن الموصل إلى قريته بيتنور عن طريق جبل سرعمادية نصب له كمين محكم في الجبل الواقع خلف القرية وتم إطلاق النار عليه حيث قتل في الحال، ولكن مرافقه المسيحي المدعو توما أصر على التصدي للمغيرين رغم نداءاتهم له بالإستسلام ولكنـه قتـل هو الآخر وسيطرت العصابة على محتويات القافلة.

(٦)

اليهود العراقيون من السَبي إلى الهجرة نحو فلسطين

المقدمة

تعد الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، يرجع أصلها إلى السَبيَين الآشوري والبابلي، حيث اقتيد معظمهم أثناء الحملات العسكرية التي قادها الملوك الآشوريون والبابليون على بلاد كنعان (فلسطين) تباعاً. فقد قام الملك الآشوري تغلات بلاصر الثالث (٧٤٥–٧٢٧ ق.م) بغزو المملكة الشمالية (إسرائيل) عام ٧٣٢ ق. م وسيطر من خلالها على أراضي الجليل (شمال فلسطين) وشرق الأردن، وتم سبي قبائل نفتالي (أحد الأسباط الإثني عشر) وسكان مدن شرق الأردن إلى بلاد آشور (شمال العراق–كردستان حالياً)، وهناك مسلة آشورية نقش عليها حملة الملك تغلات بلاصر على بلاد آرام (سوريا) واسرائيل (فاسطين) جاء فيها: ((قمت بضم جميع مدن بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم أترك سوى مدينة السامرة (نابلس الحالية)... وأخذت نفتالي وضممتها الى آشور، وعهدت الى رجالي بأن يكونوا حكاماً عليها، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حملت الى آشور)).

ونتيجة لعدم إيفاء المملكة الشمالية الإسرائيلية بتعهداتها للملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) الذي خلف شلمانصر الخامس في عرش آشور، فقد قام بغزو المملكة الشمالية وإسقاط عاصمتها السامرة (نابلس الحالية)، وبدأ في تهديد اورشليم (القدس) عاصمة المملكة الجنوبية (يهودا) التي كانت تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من حدودها الشمالية، وقد اتبع الآشوريون أسلوبهم القديم فقاموا بنقل أعداد كبيرة من المهنيين إلى مناطق بعيدة داخل إمبراطوريتهم إلى حلج والخابور (شمال سوريا) وإلى مدن إقليم ميديا (شمال العراق وشمال غرب ايران). وفي السنة الاولى لحكم الملك الأشوري سرجون ٧٢٢ق.م سقطت السامرة بيده حيث نسب هذا الفضل اليه، بينما يعزوالكتاب المقدس- العهد القديم النصر الحقيقي لشلمانصر الخامس. وقد تحدثت الحوليات آلاشورية باسهاب عن عملية نقل سكان المملكة الاسرائيلية الى داخل اراضي الدولة الاشورية، حيث جاء في نص عائد للملك سرجون الثاني خلال السنة الاولى من حكمه ما يلي: ((في بداية حكم الملك أنا... بلد السامريين حاصرتها وفتحتها... لاجل الاله... الذي جعلني احرز النصر... وقد نفيت ٢٧٢٩٠ شخصاً من سكانها وجهزت من بينهم جنوداً من بينهم ليقودوا خمسين عربة لاجل حرسي الملكي... وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل، وأسكنت فيها أناساً من مماليك فتحتها (أنا)، ونصبت ضباطاً من ضباطي حاكماً عليها، وفرضت عليهم ضرائب كما (هي العادة) للمواطنين آلاشوريين)).

في سنة ٦١٢ق.م سقطت نينوى عاصمة آلاشوريين بيد التحالف الميدي- الكلداني بقيادة اوفاشترا ونبوبلاصر، وتم تقسيم املاك الدولة آلاشورية بينهما،فأخذ الميديون المنطقة الممتدة من شمال الفرات وأعالي دجلة حتى آسيا الصغرى، أما بقية أجزاء الامبراطورية وهي العراق وسوريا وفلسطين فكانت من

نصيب نبوبلاصر وأسرته الكلدانية (البابلية الجديدة) الذين أتخذوا من مدينة بابل عاصمةً لهم.

بعد أن تولى نبوخذنصر (بختنصر) ٥٦٢ق.م الحكم عقب وفاة والده نبوبلاصر أراد أن يوطد مركزه في فلسطين، فهزم فرعون مصر (نخاو الثاني) في معركة كركميش عام (٦٠٤– ٦٠٣ ق.م) وأخضع (يهوياقيم) ملك يهودا لسيطرته، ولكن سرعان ما تمرد يهوياقيم عليه، مما أضطر نبوخذنصر الى إرسال قوات مشتركة من العمونيين والمؤابيين وألادوميين (قبائل عربية في شرق الاردن) الذين كانوا خاضعين لسيطرة بابل إضافة الى جيشه المتواجد في سوريا، وقبل وصول هذه الحملة الى اورشليم (القدس) توفي يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين الذي سرعان ما استسلم للملك البابلي بعد ثلاثة أشهر من توليه الحكم وأخذ أسيراً الى بابل. وكان يهوياكين قد أعلن في آذار ٥٩٧ق.م إستسلام القدس للبابليين، بعد ذلك استولى نبوخذنصر على خزائن اورشليم (القدس) وسبى معظم قادتها وحرفييها تاركاً عامة الشعب وهذا ما عرف بالسبي البابلي، وعقب أسر يهوياكين نصب نبوخذنصر عمه (مثانيا) الذي غير اسمه الى (صدقيا) ملكاً على يهوذا.

وعندما تولى حكم مصر فرعون جديد هو (واح ايب راع) عاد الامل الى نفوس اليهود المسبين في بابل، وطلب صدقيا من الفرعون الجديد مساندته ودعمه بالرجال والخيول رغم تحذير النبي (إرميا) له، ولكن الملك البابلي اكتشف هذه المؤامرة الجديدة في مهدها التي إشترك فيها ايضاً ملك عمون (شرق الاردن)، مما دعاه الى إحكام الحصار حول اورشليم (القدس) إعتباراً من كانون الثاني/يناير ٥٨٨ق.م حتى تموز/يوليو ٥٨٧ق.م. وحسب الخطة المبرمة تحرك فرعون مصر لنجدة حليفه الملك صدقيا، ولما إقترب الجيش المصري من القدس، رفع البابليون الحصار عن القدس وتحركوا صوب الجيش المصري حيث الحقوا به هزيمة قاسية،

ثم واصلوا حصار القدس مرة ثانية بشدة وعنف أكثر من الاولى حتى ساد الذعر في صفوف اليهود واستبدت بهم المجاعة. وأخيراً إستطاع الجيش البابلي أن يتسلل الى داخل المدينة وعم الهله في صفوف اليهود وعمد ملكهم صدقيا الى الهرب فقبض عليه عند أريحا وحمل الى منطقة ربله على نهر العاصي في سوريا حيث ذبح أبناؤه امام عينيه، ثم سملت عيناه بعد ذلك، ثم قام القائد البابلي (نبوزادان) بتهديم أسوار القدس وتخريب المدينة بأكملها وهدم هيكل سليمان (المسجد الاقصى) وأحرقه عام ٥٨٦ ق.م.

ونظراً لخلو مملكة يهودا من زعيم، فقد عين نبوخذنصر (جداليا بن أحيقام) حاكماً من قبله على ما تبقى من مملكة يهوذا في القدس، ولكنه اغتيل مع عشرة من أنصاره من قبل (اسماعيل بن نتانيا) أحد أفراد الاسرة الحاكمة، ونتيجة لهذه العملية فقد سبى الملك البابلي دفعة ثالثة من اليهود الى بابل عام ٥٨١ق.م قدرت بحوالي ٧٤٥ شخصاً، فيما هرعت اعداد اخرى من اليهود بالهرب الى مصر بصحبة النبي إرميا.

وقد أدت هذه العمليات الى سبي ٨٥... يهودي الى بابل،إضافةً الى السبي الاول آلاشوري والبالغ حوالي ٣... يهودي، مما أدى الى إزالة وجود ما يسمى بالشعب اليهودي من فلسطين إزالة شبه تامة.

العلاقات اليهودية الفارسية

بعد ان تمكن الملك الاخميني الفارسي كورش الثاني (كيروس) ٥٥٩–٥٣٠ق.م من القضاء على الدولة الميدية.٥٥ق.م، فانه كان يحلم بالسيطرة على العراق واسقاط الدولة الكلدانية البابلية، وتم له ما اراد عندما اسقط العاصمة بابل عام

٥٣٨ق.م بحجة الدفاع عن المعتقدات الدينية للبابليين. حيث أعاد الأمل لهؤلاء اليهود الأسرى الذين اعتبروه منقذاً ومخلصاً لهم، حيث أظهر مزيداًمن العطف والشفقة تجاههم ورد اليهم أطباق الذهب والفضة التي كان نبوخذنصر قد أحضرها من القدس، وسمح لهم بالعودة الى فلسطين، وأخذ يعمر المعابد القديمة في القدس والتي كان العراقيون من الاشوريين والبابليين قد خربوها، لذا أبدى أنبياء بني اسرائيل احتراماً فوق العادة لكورش حيث جاء في كتاب عزرا، الاصحاح الاول٢–٤ ((هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الارض دفعها الي الرب اله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من كل شعبه ليكن الهه معه ويصعد الى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله. الذي في أورشليم)).

كما أنه خيرهم بين البقاء في بابل والتمتع بخيراتها أو العودة إلى فلسطين. وهكذا عادت القافلة الأولى من هؤلاء اليهود إلى فلسطين بزعامة القائد اليهودي زوربابل مؤلفة من (٤٢٣٦٠) شخصاً و (٧٣٣٧) عبداً، وتبعهم بعد ذلك جم غفير، بينما فضل قسماً منهم البقاء في العراق بعد أن تيسر لهم رغد العيش.

وقد جاء في كتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبري: ((ان كورش تزوج اخت زوربابل بن شلاشيل بن يوياخين بن يوياقيم ملك يهوذا. ولما دخل بها ارتفعت عنده وقال لها اطلبي مني ما شئت. فطلبت منه عودة بني اسرائيل الى اورشليم (القدس) وان يأذن بعمارتها، فجمعهم كورش الملك وخيرهم قائلاً: من اختار الصعود فليصعد ومن اباه فليقم. فكان عدد مؤثري الصعود خمسين الفاً من الرجال غير النساء والاولاد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء اليهود كانوا بمثابة الطابور الخامس للجيش الفارسي الاخميني عند محاولته احتلال العاصمة بابل، حيث جاء في كتاب إشعيا

الاصحاح ٤٥، (١-٣) ما يلي: ((هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيمينه لادوس أمامه أمماً وأحفاد ملوك أجل لافتح أمامه المصراعين والابواب لا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف، وأعطيك كنائز الظلمة وكنوز المخابيء لكي أتعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك اله اسرائيل)).

وكان من شأن هذه العلاقة التاريخية بين الجانبين أن تزوج الملك الفارسي الاخميني (أحشويروش الاول) ٤٨٥ -٤٦٥ق.م من امرأة يهودية جميلة تدعى أستير (النجمة)، كان لها دور كبير بمساندة عمها (مردخاي)في تحريض الملك على الانتقام من وزيره (هامان) وشيعته المعادين لليهود، لذا فلا عجب أن رد أحبار يهود الجميل لفتاتهم (أستير) من خلال إطلاق اسمها على أحد أسفار التوراة تحت اسم (سفر أستير)، واعتبار يوم الانتقام من اعداء اليهود - الرابع عشر من شهر آذار - عيداً لهم تحت اسم (البوريم) أي الفوز. ولهذه اليهودية (استير) وعمها مردخاي ضريح فخم في مدينة (همدان) الايرانية، تعد إحدى معالم المدينة الرئيسية ولها زيارات مستمرة من قبل يهود ايران واليهود الاخرين. ولازالت هذه العلاقات التاريخية بين الايرانيين واليهود تلقي بظلالها على علاقاتهم في التاريخ المعاصر.

تدوين التراث اليهودي في بابل

ان معظم اليهود الذين آثروا البقاء هم من رجال التجارة والزراعة فانهم فضلوا العيش في بابل على الرحيل الى فلسطين ((معتبرين انفسهم نخبة يهودية)) يرتعون في بحبوحة الهنا ويدأبون في زيادة ثرواتهم، وكان لاحجام جماعات اليهود عن

الرجوع الى القدس اسباب عديدة، ما عدا الاشتغال، منها ان قسماً منهم الفوا الحياة البابلية وآلفوا البيئة التي نزلوا فيها. ومنهم لم يكترث بامور الدين، ومنهم من كان يتوقع نزول نبوات ومعجزات تنبيء بزوال عهد الجلاء. بل تأكدت مع السبي البابلي ثم مع النكبات المتعاقبة التي حلت باليهود فكرة الامل، المسيح المنتظر، حتى أصبحت من أركان العقيدة اليهودية العامة وسميت عند كثير من مؤرخي تطور الفكر الاسرائيلي باسم المسيحانية (Messianisme).

ان يهود بابل تمتعوا تحت حكم الاخمينيين الفرس والبرثيين (ملوك الطوائف في المصادر الاسلامية) بمقدار كبير من الاستقلال الذاتي Internal Autonomy. وقد تميزت هذه الفترة بنشوء جزء كبير من الادب اليهودي، كما دون التلمود البابلي، وتكونت مؤسسات ثقافية عديدة. وفي خلال القرن الثالث الميلادي أصبحت بابل المركز الرئيس للدراسات التلمودية حيث تكونت اكاديمية نهر دعه Nehardea واكاديمية سورا Sura، وفي نهاية القرن المذكور تأسست أكاديمية ثقافية في فومبسديتا Pumbesdita لتحل محل اكاديمية نهر دعه التي دمرت سنة ٢٦١.

لقد انصرف يهود العراق منذ ايام السبي البابلي الى جمع المال وتسخيره لتأمين سيطرتهم وبناء نفوذهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، اذ نستقريء من التحريات الاثرية ما يثبت ان الجالية اليهودية في بابل استطاعت ان تنشيء (بيتاً ماليا كبيراً – بنك ايجيبي Egibi) كانت له فروع في بلدان العالم القديم. وقد اتجه اصحاب هذا البيت وهم اسرة يهودية الى الاقراض بالربا والبيع بالنسيئة وعقد القروض مع الشخصيات المتنفذة في بابل. ويظهر ان باني هذه المؤسسة عاش في عهد الملك الاشوري سنحاريب سنة ٦٨٥ق.م، وبلغ قمة مجده في الغنى والنفوذ في

عهد الملك البابلي نبوخذنصر (٦٠٤-٥٦١ق٠م) اي نحو قرن بعد تأسيسه، ومن العجيب أن في صفائح العقود المبرمة آنذاك يذكر تاريخ اليوم والشهر والسنة.

موقف الخلافة الاسلامية من يهود العراق

عند مجيء الإسلام كان هؤلاء اليهود اللاجئون قد استقروا في مدن وقرى وقلاع عديدة في كافة أركان الجزيرة العربية في يثرب وخيبر وفدك وتيماء، وقد عقد الرسول محمد ع معهم معاهدة المدينة واعتبرهم من أهل الذمة، ولكنهم مع ذلك نكثوا بعهدهم، وهذه سجية فيهم لا تكاد تفارقهم. ومع ذلك اتبع رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) معهم سياسة التعايش السلمي، غير ان اليهود كانوا يضمرون العداء لرسول الله وللمسلمين، ويحاولون الاساءة الى الاسلام كلما سنحت لهم الفرصة المناسبة، واستطاع رسول الله فيما بعد تشتيتهم وتهجيرهم الى خارج المدينة النبوية كلما حاولت قبيلة منهم نقض عهده (معاهدة المدينة)، وعندما اكتشف المسلمون دورهم التآمري فيما بعد، قام الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب بترحيلهم الى خارج الجزيرة العربية عملاً بوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لايجتمع دينان في الجزيرة العربية أو كما قال.

وعندما جرت عمليات الفتح الاسلامي للعراق فان يهود العراق كانوا يمتلكون جامعتين عبريتين، وإن اساتذة هاتين الجامعتين وطلابها قد تجمعوا وخرجوا لملاقاة الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب حينما توجه الى العراق وأمضوا معه عهداً كفل لهم حرية العقيدة وحسن المعاملة، وقد قدر عدد يهود العراق آنذاك بنحو ٩٠٠٠ شخص. وقد هاجر قسم من يهود بابل الى مصر وأسسوا مجتمعاً

مستقلاً في الفسطاط تحت اسم Kanisat El - Irakiyyin أوالبابليم El-Bablim.

ومنذ ذلك الحين دخل اليهود في طور جديد يعرف بالعصر الغاووني نسبةً الى غاوون Geon وهي لفظة عبرية تعني (معالي) وهو اللقب الذي منحه أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب) لمدير جامعة سورا ماراسحق الواقعة قرب مدينة بابل.

وعلى أية حال فقد كانوا محل اهتمام ورعاية من قبل كافة الدول الإسلامية التي تعاقبت على الحكم بناءً على مقتضيات الشريعة الإسلامية، بل إن بعضهم ارتقى مناصب مرموقة في عهد الدولة العباسية ونالوا رغد العيش فيها، حيث يذكر الرحالة اليهودي (بنيامين التطيلي) أثناء زيارته لبغداد سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بأن عدد يهود بغداد يقدر بأربعين ألفاً وحدها يعيشون بأمن وعز ورفاهية في ظل سلطة امير المؤمنين (المستنجد بالله) العباسي، وبينهم عدد من كبار العلماء ورؤساء المشيبة وعلماء الدين، ولهم في بغداد عشر مدارس مهمة يرأسها عشرة أساتذة يعرفون بالمعتكفين، اما رئيس هؤلاء العلماء جميعاً فهو الربي (دانيال بن حسيداي) الملقب (سيدنا رأس الجالوت) Resh Galuta ويسميه المسلمون (سيدنا ابن داود) لان بيده وثيقة إنتهاء نسبه الى نبي الله داود (عليه السلام)، وهو يستمد سلطانه من كتاب عهد يوجه اليه الخليفة امير المؤمنين عملاً بالشرع الاسلامي وينتقل هذا المنصب الى ذريته بالوراثة.

النفوذ الماسوني بين يهود العراق

عندما تأسست جمعية الاتحاد الاسرائيلية (الاليانس) سنة ١٨٦٠ في باريس وفرعها في لندن كان من مؤسسيها يهود ماسونيون تربطهم بعدد من يهود اقطار العالم روابط العمل السري في المحافل الماسونية التي ينتمون اليها. وقد اصبحت هذه الصلات التي وثقت عراها روابط التوراة والتلمود والتعامل الاقتصادي الاساس لاقامة تنظيمات صهيونية بعد سبع وثلاثين سنة (من عام ١٨٦٠ تأسيس حمعية الاليانس حتى عام ١٨٩٧ انعقاد المؤتمر الاول للحركة الصهيونية)، اذكان ممثلوا صهيون الذين وقعوا على البروتوكولات الاربعة والعشرين التي أقرها مؤتمر بازل في سويسرا، هم أنفسهم ممثلوا الماسونية ممن بلغوا في مراتبها السرية الدرجة الثالثة والثلاثين وعلى رأسهم تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية العالمية.

وكان النفوذ الماسوني قد تزايد في جمعية الاليانس بعد تأسيس اول محفل ماسوني في باريس عام ١٧٢٥، وقد استهدفت الجمعية من مدارسها التي أسستها في العراق منذ عام ١٨٦٤ إيجاد محضن اجتماعي ومرتكزثقافي للناشطين اليهود من اجل إقامة إسرائيل، وإنها منذ نشأتها في العراق تحركت بدافع من يهود يقودون محافلها في لندن وباريس، لتأسيس مدارس يهودية في العراق وكانت اولى هذه المدارس في العهد العثماني وهي (مدراش تلمود وتوراة) ذات طابع ديني في بادئ الأمر ثم تتابعت عملية تأسيس المدارس في بغداد وغيرها من المدن العراقية.

وبخصوص قيام محافل ماسونية في العراق في العهد العثماني فلا تتوفر معلومات أكيدة، وكل ما هنالك وجود بعض الماسونيين كانوا يكتمون انتمائهم أو ينكرونه، كونها (الماسونية) كانت تستعمل للسب والشتم أو تهمة تلصق بمن كانوا يرتابون في سلوكه.

وكل ما يعرف بهذا الصدد ان (الشيخ خزعل) أمير امارة المحمرة العربية كانت له صلات وثيقة بالانكليز، وكان ماسونياً نشطاً، وانه نال من الماسونية اوسمة وألقاب عالية لقاء خدماته لها.فقد تضمنت إحدى الوثائق السرية التي نشرت بعد الاستيلاء على محتويات المحافل الماسونية المصرية بعد غلقها وتحريم نشاطها، جدول أعمال أحد المحافل الماسونية المصرية، وهو (محفل عباسي) رقم ٢٢٣ شرق القاهرة برئاسة احمد فهمي عباسي، وكان من بين مواد هذا الجدول مادة تتضمن ((النظر في منح وسام لحضرة صاحب العظمة (سردار أقدس عربستان وامير يونان الفائق الاحترام خزعل خان) سلطان المحمرة رئيس محفل – خزعل خان– والاستاذ الاعظم الاقليمي للعراق وذلك إعترافاً بجليل خدماته)).

تأسيس المحافل الماسونية في العراق

لقد تأسس اول محفل ماسوني في العراق بعد الاحتلال البريطاني في ميناء البصرة سمي ب (محفل مابين النهرين)، وقد أسسه الضباط والموظفون البريطانيون الذين قدموا الى العراق خلال و بعد الاحتلال.

وقد نشرت إحدى الصحف العراقية في ١٢كانون الثاني (يناير) عام١٩٢٥ خبراً مفاده (إن المحافل الماسونية في البصرة قد احتفلت بوضع الحجر الاساسي لبناء المحفل الماسوني الواقه على طريق النهر،وان المحفل أفتتحه المستر (مور) مبيناً إن المحافل الماسونية في البصرة قد تأسست في سنة ١٨٣٩، وإاها تضم الان ما يقارب السبعمائة عضو.كما نشرت مجلة ١٤ تموز الصادرة في بغداد في عدديها الحادي عشر والثاني عشر، بأن الماسونية لم تؤسس الا من قبل الاستعمار البريطاني، وقد ثبت ان الجمعية الماسونية قد تأسست في العراق في اليوم الخامس

من شهر تشرين الاول (اكتوبر)سنة ١٩٢٢، وانها كانت تتكون في باديء الامر من ستة عشر عضواً كلهم من الانكليز وأن كل شخص أراد أن يرشح نفسه للانتماء الى الجمعية الماسونية في العراق كانت ترسل اوراقه الى (لندن) الى المحفل الاكبر الانكليزي لاخذ الموافقة على قبول عضويته.

وقد لاحظ الدكتور علي الوردي وهو يستعرض أسماء رؤساء المحافل الماسونية في العراق منذ عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٥٧ ان اكثرهم انكليز والقلة القليلة منهم عراقيين. وفي قاعة المحفل الماسوني الكائنة في الكرادة الشرقية في وسط بغداد الذي حول الى نادي المعلمين بعد ثورة تموز ١٩٥٨م، قد لفت نظره الى قطعة من المرمر موضوعة في أسفل أحد العمودين القائمين قرب المدخل السري للقاعة، وقد كتب عليها بالانكليزية ما ترجمته ((هذا الحجر الاساسي لقاعة بغداد الماسونية وضع من قبل صاحب الفخامة المندوب السامي (هنري دوبس) وعاونه الاخ المحترم الكولونيل (جون جابلوارد) في ٢٥ تموز (يوليو)عام ١٩٢٥م. كما يذكر إنه عثر في مصدر ماسوني انكليزي على هذه العبارة ((أخبرنا ألاخ (جي في كولن) إن الماسونية إزدهرت في العراق منذ نهاية الحرب العاملية الاولى حتى قيام (اسرائيل) وعنذ ذلك تعطلت مؤ قتاً ثم إنتعشت من جديد حتى قيام الجمهورية العراقية عام١٩٥٨م)).

ومهما يكن من امر فقد ظهرت في العراق عشر محافل ماسونية على أقل تقدير، وهي على التوالي:

١. محفل بين النهرين، تأسس في البصرة عام ١٩١٨.
٢. محفل بابل. تأسس في البصرة عام ١٩٢٢ برقم _٣٢٦) وكان يعقد اجتماعه في مقر شركة (اندروير) في العشار. كما كان يعقد إجتماعاته في مدينة عبادان الايرانية احياناً.

٣. محفـل صـدق الوفـا.تأسـس في البصـرة تحـت رعايـة المحفـل الـوطني الاكـبر المصري.

٤. محفل البصرة.تأسس في البصرة تحت رقم (٥١٠٥).

٥. محفل الفيحاء. تأسس في البصـرة تحـت رقـم (١٣١١). وقـد فـتح هـذا المحفـل خصيصاً للعراقيين الذين لا يجيدون التكلم بالانكليزية.س

٦. محفل دار السلام. تأسس في بغداد تحت رقم (٥٢٧٧).

٧. محفل العراق. تأسس في بغـداد تحـت رقـم (٤٤٧١). وكـان يعقـد اجتماعاتـه في الـدار المرقمـة ١٧آ/٣٩ والعائـدة لشـركة (بيـت الليـنج)، وكـان يمتلـك الـدار البريطانيان (كولين ومالكولم لينج)، وكانت عضويته تنحصـر علـى الانكليـز المتواجدين في بغداد خاصة والعراق عامة.

٨. محفـل كركـوك. تأسـس في مدينـة كركـوك تحـت رقـم (٧٠٧٩) وكـان يعقـد اجتماعاته في مقر شركة النفط العراقية ((A.B.Cفي ذلك الوقت.

٩. محفل دجلة. تأسـس في بغـداد تحـت رقـم (٧٠٢٤)، ومقـره في الحبانيـة. وكـان يشرف على تنظيم العاملين في القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية والمنطقـة المجاورة.

١٠. محفل بغداد. تأسس في بغداد تحت رقم (٤٠٢٢) ومقره مدينة بغداد.

وان جميع هذه المحافل كانـت تابعـة وتحـت رعايـة المحفـل الانكليـزي الاكـبر (محفل انكلترا الاكبر)وانها كانت تعمل باشراف (جمعية الاخوة) التي كان مقرهـا في بغداد. وكانت هذه الجمعية تقوم بتنظيم أعمال جميع المحافل الموجودة في العراق المذكورة آنفاً. وتوجيهه اضافة الى الاتصـال بالمحفـل الانكليـزي الاعظـم في لنـدن، كما كان لها فرع آخـر في البصـرة يحمـل الاسـم نفسـه، وقـد اتخـذت هـذه الجمعيـة لنفسها واجهات اجتماعية عدة للتمويه. منها باسم (نادي الاخـاء) الـذي تأسـس في

١٤ تمـوز (يوليـو)١٩٣٤ ، ومؤسسـوه مـن الضـباط الانكليـز الـذين تواجـدوا مـع الاحتلال الانكليزي، او بأسم (الجمعيـة البغداديـة) الـتي كـان مقرهـا في الصـليخ في بغداد. وقد اغلقت هذه الجمعية عام ١٩٧٥م بعد ان تكشفت للسلطات العراقية بان هذه الجمعية (البغدادية) ما هي الا احدى المحافل الماسونية الكبرى في العراق، وتم اعدام رئيسها الذي كان يشغل منصب امين عاصمة بغداد. كما تم تنفيذ الحكم على الذين ثبتت عليهم ارتباطهم بالماسونية ولمدد مختلفة

كما اتضح بان هناك في البحرين محفلا ماسـونياً تحـت رقـم (٧٣٨٩)، ومحفـلاً ماسونياً في دولـة الكويـت تحـت رقـم (٦٨١٠) يرتبطـان بشـكل مباشـر ب (جمعيـة الاخوة) ومن ثم ب (الجمعية البغدادية) في بغداد.

ولمـا قامـت ثـورة ١٤ تمـوز (يوليـو) عـام ١٩٥٨ واعلنـت الجمهوريـة، امـرت الحكومة العراقية بغلق جميع المحافل الماسونية المتواجدة علـى ارض العـراق، وتم وضع اليد على المحفل الماسوني الرئيسي في بغـداد، وتـداول بعـض النـاس قـوائم بأسماء الماسونيين في العراق منذ تأسيسها، وقيل انها وجدت في المحفل، كما قيـل بانها وجدت في الخزائن الحديدية الموجودة في البنك المركزي بعد ان تمت السـيطرة عليه. وسواء وجدت هنا او هناك فان هذه القوائم كانـت تعـود لانـاس مشـبوهين، ولاكثر مـن مائـة وخمسـين اسمـاً ماسـونياً مـن الشخصـيات العراقيـة الـذين كـانوا يسيرون العراق حسـب اهـوائهم واهـدافهم لخدمـة اعـداء الامـة، الا ان هـذه القـوائم الخاصة بالاشخاص الماسونيين في العـراق لم تعـرض للمـلاء بـل حفظـت مـن قبـل السلطات الامنية وصار يعاقب كل من يشير اليها

وحسب هذه القوائم فان عدد الماسـونيين في العـراق او المـتهمين بهـا في جميـع القوائم تلـك الـتي تمـت السـيطرة عليهـا مـن قبـل السـلطات الرسميـة كـان (٦٢٥) ستمائة وخمسة وعشرون شخصاً، وان تحليلاً اولياً للاسماء الواردة في تلـك القـوائم

يتضح ان هناك (٩٧) من الاجانب منهم (٨٥) من الانكليز و (١٢) من الهنود. وكان هؤلاء اما موظفون لدى حكومتي الاحتلال والانتداب البريطاني او لدى الحكومة العراقية ،او مسؤولي السفارة البريطانية، ومسؤولي القنصلية البريطانية في البصرة، أو كانوا مستخدمين لدى الشركات الانكليزية التي كانت تعمل في العراق كشركة النفط العراقية وغيرها. وبنتيجة طرح اسماء الاجانب من القوائم، يكون عدد الذين كانوا ينتمون الى الماسونية من العراقيين (٥٢٨) شخصاً، وهم ينقسمون من ناحية انتماءاتهم الدينية والقومية الى الفئات التالية:

الانتماءات الدينية والقومية للعراقيين	العدد	النسبة المئوية
عرب مسلمون	٢٨٠	٥٣,٩٪
يهود	١٢١	٢٢٪
مسيحيون (عدا الارمن)	٨٥	١٦٪
أرمن	٢٢	٠,٤٪
أكراد	١٢	٢,٢٪
تركمان	٣	٥..٠٪
المجموع	٥٢٨	١٠٠٪

وينتمي جميع هؤلاء الى الطبقة البرجوازية والطبقة العليا في المجتمع العراقي، وبينهم عدد من الوزراء ورؤساء الوزراء، وعدد من الشخصيات البارزة التي تبوئت مراكز هامة في الدولة، وعدد من كبار ضباط الجيش ومن المثقفين ومن اصحاب المهن الحرة والموظفين، وكلهم من سكان المدن العراقية الكبرى، كمدينة بغداد والبصرة والموصل.

موقف اليهود من الاحتلال البريطاني للعراق

حينما احتل البريطانيون بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧، كان اليهود يشكلون عنصراً مهماً من حيث العدد والثروة، وقد أقامت مدرسة (الاليانس) الاسرائيلية في مساء ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧ حفل تكريم للجنرال مود (فاتح بغداد) وكان بين الحاضرين الصحفية الاميركية (اليانورايفان) التي سجلت ذكرياتها عن الحفل في كتابها (الحرب في مهد العالم) ومما جاء فيها: ((كانت ساحة المدرسة مزينة بأبهى زينة، وهي محتشدة بالناس من مختلف الاقوام والطوائف يدل على ذلك ما يلبسونه على رؤوسهم من طرابيش وكوفيات وعمائم وكلاوات فارسية، ولقد لفت نظرها وجود جمع من النساء في وسط الساحة، وقد لبسن العباءات الحريرية الراقية واسفرن عن وجوههن، فقال رجل في تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية: نساؤنا لسن في حاجة الى حجاب ابداً تحت الحكم البريطاني! وبدأت الحفلة بظهور فتاة يهودية صغيرة على المسرح حيث القت خطاباً مكتوباً في مدح (الجنرال مود) والبريطانيين جميعاً، وكيف ان بغداد حالفها التوفيق اخيراً لانها صارت تحت هذا ((الحكم النزيه والشريف)) !.

وقد اوصى المندوب السامي البريطاني السير (برسي كوكس)، نقيب اشراف بغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني في رسالة بعث بها اليه في ٢٥تشرين الاول (اكتوبر)عام ١٩٢٠ باختيار اعضاء الحكومة، فأختير (ساسون حسقيل) وزيراً للمالية. وكان ساسون افندي من بين الاعضاء المشتركين في مؤتمر القاهرة الذي عقد في آذار ١٩٢١، وحضره المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك ومستشاره لورنس، فدعي لحضوره السير برسي كوكس وبصحبته جعفر العسكري وساسون افندي حسقيل والمس بيل وآخرون بريطانيون عسكريون

ومدنيون، وفي تلك المؤتمر تم الاتفاق على انشاء حكومة عربية في العراق يرأسها ملك عربي هو فيصل بن الحسين.

وفي عام ١٩٢٣ أنعم الملك جورج الخامس على ساسون افندي بوسام (K.B.E) وأصبح يدعى ب (السير حسقيل). وبعد تبوء فيصل الاول العرش رأت الدولة الجديدة ان تشرع دستوراً لها (قانون اساس) فتألفت لجنة لوضع مسودته،وكان ساسون حسقيل وزير المالية ثالث أعضاء اللجنة المذكورة، كما كان له دور كبير في امتياز النفط، حيث خولته الحكومة –وقتذاك– مفاوضة شركة النفط التركية في شروط الامتياز. وبقي ساسون حسقيل يشغل وزارة المالية في خمس حكومات متعاقبة خلال المدة ((١٩٢٠– ١٩٢٤)). أما مناحيم دانيال فقد اختير عيناً ضمن عشرين عضواً تشكل منهم أول مجلس للاعيان في العراق، كما اختير ابنه عزرا من بعده لعضوية المجلس المذكور.

الحركة الصهيونية وأثرها على الأوضاع في العراق

بعد ظهور الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ بقيادة النمساوي هرتزل وإخفاقه في الحصول على أرض فلسطين من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فإن هرتزل عرض على الثري اليهودي اللورد روتشيلد مشروعاً آخر يتضمن في إنشاء مستعمرات يهودية في العراق، وبالفعل كتب هرتزل في ٤ حزيران ١٩٠٣ إلى عزت باشا رئيس الوزراء العثماني يذكره بالوعد الذي قطعه على نفسه للسماح للمنظمات اليهودية بإيجاد مستعمرات يهودية لها في العراق، لذا ما أن تسلم إسرائيل زانكول قيادة المنظمات الصهيونية الإقليمية عام ١٩٠٩، فكر أن بلاد ما بين النهرين

Mesopotamia هي الأرض الصالحة لإنشاء وتكوين المستعمرة الصهيونية، لاسيما وأن طائفة كبيرة من اليهود استقروا فيها منذ أيام الأسر البابلي.

ومن أجل تحويل هذه الأفكار والمشاريع المقترحة إلى وقائع ملموسة على صعيد الواقع فقد بذل اليهود الكثير من الجهود للسيطرة على الاقتصاد العراقي عن طريق غرفة تجارة بغداد وشراء مساحات واسعة من الأراضي في ألوية الديوانية والعمارة، ومناطق زراعية خصبة في دهوك، كما اشتروا أراضي في بغداد بالذات ناحية الكرادة الشرقية (غالبية سكانها من الشيعة)، ولكنهم أخفقوا في شراء الأراضي في منطقة الأعظمية (غالبية سكانها من السنة) لإدراك أهاليها ووعيهم بما يبيته اليهود من خطر استراتيجي على الامة العربية والاسلامية.

وحين نجحت الحركة الصهيونية طوال خمسة عقود من خلق وعي توراتي بين يهود العراق بخصوص العودة إلى فلسطين (أرض الميعاد). حيث هاجر الآف من اليهود الى فلسطين بطرق غير مشروعة، وقد ازدادت عمليات التسلل الى فلسطين عن طريق ايران بعد ان اعلن رئيس وزرائها سياسية (الباب المفتوح) بالنسبة لجميع اللاجئين السياسيين والدينيين، واستطاع (١٧٠٠) يهودي عراقي التسلل الى فلسطين عن طريق ايران.

كما ان الهجرة لاقت دعماً من بعض السياسيين العراقيين المتواطئين مع المحتل الانكليزي، لذلك بدأت الاسئلة والاستفسارات توجه الى الحكومة من قبل بعض اعضاء البرلمان العراقي الغيورين على مصلحة العراق وامنه، وهذا ما دعا الحكومة العراقية في عهد (توفيق السويدي) الى إصدار قانون إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين في ٦ آذار عام ١٩٥٠ تمهيداً لهجرتهم الى فلسطين، لذلك بدأت عملية ترحيل اليهود عن العراق خلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١ في عملية كبيرة سميت ب (علي بابا أو عزرا نحميا)، وكان اليهود يقولون خلالها علناً: ((سيأتي اليوم

الذي نعود فيه إلى العراق لاستعادة أملاكنا))، وقد أعلن موشي دايان يوم ٦ حزيران ١٩٦٧ يوم احتلال القدس ((لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يثرب (المدينة المنورة) وبابل)). وهذا يدل على أهمية العراق عند واضعي استراتيجية الحركة الصهيونية ومن بعدها الحكومة الإسرائيلية لتحقيق حلمهم من النيل إلى الفرات.

وأثناء الحوادث التي قامت بها المنظمة الصهيونية هشوراه (منظمة الدفاع عن اليهود) ضد المنشآت اليهودية في بغداد عام ١٩٥٠-١٩٥١ بقصد الضغط على الطائفة اليهودية للهجرة الى فلسطين، قام المحامي الكردي (جمال بابان) الذي استوزر عدة مرات في العهد الملكي بالدفاع عن اليهود المشتركين في هذه العملية و بالأخص (مردخاي بن بورات) رئيس منظمة حلوتس (الطلائع) وأحد أبرز منظمي الهجرة اليهودية، و تمكن من اطلاق سراحه بعد ان « تسلم مبلغاً محترماً من المال» على حد تعبير وزير الداخلية الاسرائيلي الاسبق (شلومو هيلل) في كتابه: (تهجير يهود العراق). و قد اتهم جمال بابان بالخيانة و مساعدة الصهاينة آنذاك، لذلك أرسل اليه طرد ملغوم الى منزله، جرح من جرائه الخادم الذي يعمل في بيته.

إمارة حدياب (اديابين) اليهودية في كردستان

بعد أن سيطر الفرثيون (الاشغان- ملوك الطوائف) على مقاليد الامور في ايران و العراق و كردستان في سنة ١٢٦ ق.م و ازاحتهم للسلوقيين خلفاء الاسكندر المقدوني، تأسست في نفس المنطقة التي سبي اليها اليهود في العهد الاشوري امارة واسعة مزدهرة تدعى امارة حدياب- اديابين Adiabene و بالعربية حزة، انحدر ملوكها من اسرة من قبائل السكس (الاسكيث) التي استكردت بمرور الزمن

بجانب القبائل الميدية. و قد امتد نفوذ هذه الامارة من منطقة اذربيجان و شرقي دجلة الى منطقة نصيبين.

و كان ملك هذه الامارة مونوبازوس (مونابان) قد تزوج شقيقته الملكة هيلانة (توفيت سنة ٥٠م) حسب العقائد الوثنية باعتبارها الديانة الرسمية للامارة، و رزقا بطفل سمياه ايزاتيس (عزة الثاني) الذي تولى الامارة سنة ٣٦م و اعتنق اليهودية، وامتد حكمة حتى توفي سنة ٦٠م، حيث دام حكم الامارة ٧٩ سنة الى ان غزاها الامبراطور الروماني تراجان سنة ١١٦م.

بقول المطران ادي شير بهذا الخصوص: ((ما حدياب و سماها العرب حزة فموقعها بين الزابين و كانت تمتد الى آثور (الموصل) و الى نصيبين ايضاً و كانت قاعدتها مدينة اربيل، وفي الجيل الاول للمسيح (القرن الاول الميلادي) كان يملك فيها ملك اسمه ايزاط... و قال عنه المؤرخ اليهودي (يوسفوس) انه اعتنق الديانة اليهودية على يد حنينا، و اشتهرت امه هيلانة بانها في مجاعة حدثت في زمانها في اورشليم جلبت القمح من مصر ووزعته على اهل اورشليم...)).

و قد عثر على قبر هيلانة ملكة حدياب في القدس في المقبرة المعروفة بمقبرة السلاطين (امام مدرسة المطران) التي يعود تاريخها الى ٥٠- ٦٠م، حيث توجد كتابة منقوشة على قبرها الحجري تدل على تعيينه. و تشير المعلومات الى ان هيلانة امرت قبيل وفاتها بحفر قبر لها في الصخر في القدس، ثم حفرت فيما بعد قبور مجاورة لابنائها في نفس المقبرة.

و يعتقد كثير من الباحثين ان تسمية القبيلة الكردية الضاربة (الهذبانية) التي كان لها شأن كبير في العصر الاسلامي حيث ينتمي اليه القائد العظيم الناصر صلاح الدين الايوبي، ربما تعود الى الامارة الاديابينية بسبب تطابق مناطق

سكناهم، و ان مضارب الهذبانية في العصر الاسلامي تقع في نفس مناطق امارة اديابين بين نهري الزابين.

اليهود الكرد في العصر الاسلامي

ان المصادر الاسلامية لم تذكر الا النزر اليسير من اخبار اليهود في العصور الاسلامية التي تلت حقبة الرسالة المحمدية و الخلافة الراشدة، و المعلومات التي وردت جاءت على سبيل العرض او تنظيم علاقة اهل الذمة من اليهود النصاري بالدولة و المجتمع الاسلامي. اما بخصوص اليهود الكردستانيين فالمعلومات عنهم شحيحة لا تتجاوز عدة روايات او بالاحرى روايتين: الاولى ذكرها اليهودي المهتدي الى الاسلام (السموأل بن يحيى بن عباس المغربي) في كتابه (افحام اليهود) سنة ١١٦٥م، و الثانية ذكرها الرحالة بنيامين بن تطيلة الاندلسي سنة ١١٧٠م، و ملخص الروايتين ما ذكرها بنيامين بقوله: ((العمادية: يقيم بها نحو خمسة و عشرين الف يهودي و هم جماعات منتشرة في اكثر من مائة موقع من جبال خفتيان عند تخوم بلاد مادي. و يهودها من بقايا الجالية الاولى التى اسرها شلمانصر ملك اشور و يتفاهمون بلسان الترجوم (لهجة ارامية) و بينهم عدد من كبار العلماء. و العمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم (فارس) يؤدي يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الاسلامية،... و قبل عشر سنوات (١١٦٠م) قامت في العمادية فتنة (داود ابن الروحي) و كان هذا قد تلقى العلم في بغداد عن (حسداي) رأس الجالوت (رئيس الطائفة اليهودية) و عن علي رأس مثيبة (غاؤون يعقوب– مدير مدرسة يهودية) وتضلع بالتوراة و الفقه و التلمود و سائر العلوم و برع بلغة المسلمين (اللغة العربية) و آدابهم و نبغ بفنون السحر و

الشعوذة، فدخل في روعه ان يعلن العصيان على ملك العجم (السلاجقة) ويجمع حوله اليهود القاطنين في جبال حبتون (اواسط كردستان العراق) و مقاتلة النصارى المتمكنين من اورشليم و الاستيلاء عليها (الصليبيون الذين كانوا يسيطرون على فلسطين آنذاك) و طردهم منها، فشرع بنشر دعوته بين اليهود و يدعم دعوته بالبراهين الباطلة، كأن يقول لهم: (ان الله قيضني لفتح القدس و انقاذكم من نير الاستعباد) فآمنت به جماعة من بسطاء اليهود و حسبوه المسيح المنتظر)).

وعلى اية حال فقد كان مصير هذه الحركة اليهودية الفشل و قتل مؤسسها على يد السلاجقة.

اثر الحركة الصهيونية على الكرد

كان اليهود الكرد يعيشون في ود و سلام مع مواطنيهم من المسلمين و النصارى و بقية اطياف المجتمع الكردستاني لاتشوب علاقاتهم اية شائبة.

و كان اليهود الكرد قد سبقوا اليهود الاخرين في الهجرة الى فلسطين بصورة فردية لدوافع دينية اعتباراً من عام ١٨١٢م، و بتأثير الرسائل الدعاية التي كان اليهود الكرد يتلقونها من المهاجرين الذين سبقوهم و يصورون لهم الوضع بانه كان مثالياً، فقد بدأ اليهود الكرد في الانضمام الى اخوانهم في فلسطين، فعلى سبيل المثال هاجر جميع يهود قرية برآشي الواقعة شرق مصيف سوارةتوكة شمال دهوك الى فلسطين و بنوا لانفسهم كنيساً هناك.

و لكن هذه الهجرة اتخذت ابعاداً أخرى بعد ظهور الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل و مناداتها بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ففي الفترة الواقعة بين

عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦ هاجر الف و تسعمائة يهودي من كردستان الى فلسطين، و هذا عدد كبير لو قيس بعدد اليهود الكرد آنذاك، وفي احصائية اخرى لعدد اليهود الكرد الذين هاجروا الى فلسطين ما بين عامي ١٩١٩- ١٩٤٨ كان العدد (٧٩٨٨) شخصاً ويبدو ان سبب هذه الهجرة إضطراب حبل الامن في شمال العراق طيلة سنين بل عقود طويلة من عمر التاريخ العراقي، فضلاً عن الاستفادة من جهود اليهود الكرد المزارعين في إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين.

اما بخصوص النشاط الصهيوني و تأسيس الاحزاب و الحركات الصهيونية في كردستان، فقد كان لمدن اربيل و كركوك و خانقين القدح المعلي في هذا المضمار، ففي اربيل كان (نوريئيل) رئيس الطائفة اليهودية فيها هو مسؤول النشاط الصهيوني فيها و قد ارسل مبالغ مالية كبيرة الى الكيرن كيمث (الصندوق التأسيسي اليهودي)، و نظراً لذلك فقد دعي لحضور المؤتمر الصهيوني الخامس عشر (المنعقد في سنة ١٩٢٧) الا ان معرفة السلطات الملكية العراقية آنذاك و تحريض بعض رؤوساء الطائفة اليهودية في بغداد من المعارضين للصهيونية حال دون سفره، اذ منع من السفر. و من نشطاء الصهيونية في مدينة كركوك (اسحاق داينيل) الذي كان نائباً في البرلمان العراقي اعتباراً من سنة ١٩٢٤ و قد جبى التبرعات لصالح الكيرن كيمث ايضاً.

اما في مدينة خانقين فقد نصب (ابراهيم ساسون نسيم) الملقب بابراهام نفسه وكيلاً للكيرن كيمث و كان مهووساً بالصهيونية، و رغم خلافه مع رئيس الطائفة اليهودية في خانقين، فقد تمكن من ارسال كمية كبيرة من المال، فضلاًعن ارسال بعض المهاجرين الى فلسطين في عام ١٩٣٥.

و كانت هناك عدة جمعيات صهيونية تم تأسيسها في العراق، كانت حصة كردستان منها كما يلي:

١- منظمة بني يهوذا في اربيل.

٢- منظمة بني يهوذا في خانقين.

٣- منظمة الهاجاناه (الدفاع) في كركوك عام ,١٩٤٦

٤- حركة حالوتس (الطلائع) في كركوك تحت اسم (قعوروت) عام ١٩٤٤.

٥- حركة حالوتس في اربيل تحت اسم (طبريا) في شهر آذار عام ,١٩٤٧

٦- حركة حالوتس في حلبجة تحت اسم (تل حاي) في شهر آذار عام ١٩٤٧.

(٧)

الجذور التاريخية للعلاقات الكردية - الاسرائيلية

كان اليهود الكرد يعيشون في ود و سلام مع مواطنيهم من المسلمين و النصارى و بقية اطياف المجتمع الكردستاني لاتشوب علاقاتهم اية شائبة.

و كان اليهود الكرد قد سبقوا اليهود الاخرين في الهجرة الى فلسطين بصورة فردية لدوافع دينية اعتباراً من عام ١٨١٢م، و بتأثير الرسائل الدعاية التي كان اليهود الكرد يتلقونها من المهاجرين الذين سبقوهم و يصورون لهم الوضع بانه كان مثالياً، فقد بدأ اليهود الكرد في الانضمام الى اخوانهم في فلسطين، فعلى سبيل المثال هاجر جميع يهود قرية برآشي الواقعة شرق مصيف سوارةتوكة شمال دهوك الى فلسطين و بنوا لانفسهم كنيساً هناك.

و لكن هذه الهجرة اتخذت ابعاداً أخرى بعد ظهور الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل و مناداتها بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦م هاجر الف و تسعمائة يهودي من كردستان الى فلسطين، و هذا عدد كبير لو قيس بعدد اليهود الكرد آنذاك، وفي احصائية اخرى لعدد اليهود الكرد الذين هاجروا الى فلسطين ما بين عامي ١٩١٩– ١٩٤٨ كان العدد (٧٩٨٨)

شخصاً ويبدو ان سبب هذه الهجرة إضطراب حبل الامن في شمال العراق طيلة سنين بل عقود طويلة من عمر التاريخ العراقي، فضلاً عن الاستفادة من جهود اليهود الكرد المزارعين في إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين.

اما بخصوص النشاط الصهيوني و تأسيس الاحزاب و الحركات الصهيونية في كردستان، فقد كان لمدن اربيل و كركوك و خانقين القدح المعلي في هذا المضمار، ففي اربيل كان (نوريئيل) رئيس الطائفة اليهودية فيها هو مسؤول النشاط الصهيوني فيها و قد ارسل مبالغ مالية كبيرة الى الكيرن كيمث (الصندوق التأسيسي اليهودي)، و نظراً لذلك فقد دعي لحضور المؤتمر الصهيوني الخامس عشر (المنعقد في سنة ١٩٢٧) الا ان معرفة السلطات الملكية العراقية آنذاك و تحريض بعض رؤوساء الطائفة اليهودية في بغداد من المعارضين للصهيونية حال دون سفره، اذ منع من السفر. و من نشطاء الصهيونية في مدينة كركوك (اسحاق داينيل) الذي كان نائباً في البرلمان العراقي اعتباراً من سنة ١٩٢٤ و قد جبى التبرعات لصالح الكيرن كيمث ايضاً.

اما في مدينة خانقين فقد نصب (ابراهيم ساسون نسيم) الملقب بابراهام نفسه وكيلاً للكيرن كيمث و كان مهووساً بالصهيونية، و رغم خلافه مع رئيس الطائفة اليهودية في خانقين، فقد تمكن من ارسال كمية كبيرة من المال، فضلاًعن ارسال بعض المهاجرين الى فلسطين في عام ١٩٣٥.

و كانت هناك عدة جمعيات صهيونية تم تأسيسها في العراق، كانت حصة كردستان منها كما يلي:

١- منظمة بني يهوذا في اربيل.

٢- منظمة بني يهوذا في خانقين.

٣- منظمة الهاجاناه (الدفاع) في كركوك عام ١٩٤٦,

٤- حركة حالوتس (الطلائع) في كركوك تحت اسم (قعوروت) عام ١٩٤٤.

٥- حركة حالوتس في اربيل تحت اسم (طبريا) في شهر آذار عام ,١٩٤٧

٦- حركة حالوتس في حلبجة تحت اسم (تل حاي) في شهر آذار عام ١٩٤٧.

وكان للوكالة اليهودية التي تأسست عام ١٩٢٢م دور كبير في ارسال العديد من اليهود الى كردستان العراق للاتصال باليهود الكرد من جهة، ومحاولة اقامة علاقة مع العديد من الشخصيات الكردية

ففي سنة ١٩٣٤م وصل روبين الى العراق في مهمة سرية، وقدم نفسه على مدى ثلاث سنوات متتالية على انه استاذ مدرسة وصحافي يعمل بدوام جزئي، وعلى هذا الاساس تجول في مختلف مناطق العراق، وأقام علاقات واسعة مع الأكراد وسائر الأقليات غير العربية، بحجة تجميع المواد الضرورية لكتابة مقالات مزعومة لم تنشر ابداً.

وفي تشرين الأول (أكتوبر) عام١٩٤٢م قام (مائير مريدور) بزيارة كردستان موفداً من قبل الموساد للهجرة الثانية (الشعبة السياسية للوكالة اليهودية) ،للعمل مع اليهودي الاخر (انزو سيريني) على إنشاء وحدات دفاع ذاتية في الاحياء اليهودية في العراق لمواجهة هجمات العراقيين ، وأفاد في تقريره ان علاقات اليهود بجيرانهم في كردستان بصورة عامة جيدة، بيد ان العراقيين كانوا يقومون دائماً بمحاولات لإذكاء الخلافات والصراعات بينهم. وكتب مردور يقول ((في قرى الشمال (كردستان) صندور (قرية تقع شمال مدينة دهوك) و زاخو تقابلت مع يهود يحملون السلاح على غرار ما يفعله سكان المنطقة، وأضاف... لقد أصبح وضع اليهود الأمني في تلك المنطقة سيئاً جراء قيام العراقيين بتحريض الاكراد، ويمتنع يهود صندور في الآونة الاخيرة عن التوجه إلى الحقول لحراسة كرومهم، خشية

توريط أنفسهم فيما لا تحمد عقباه))، وكـان يهـود قريـة صـندور (القريـة اليهوديـة الوحيدة في كردستان العراق) قد تعرضوا الى حادثة قتل لعدد منهم علـى يـد بعـض الاغوات الاكراد في لاسباب عشائرية سنة ١٩٤٢م، وقد أشارت الصـحافة اليهوديـة في فاسطين إلى هذه الحادثة التي جرت لهولاء اليهود.

ويضيف مريدور في تقريره قائلاً ((تسكن مدينة اربيـل اغلبيـة كرديـة سـاحقة، والاكـراد هـم عناصـر متمـردة باحثـة عـن الحريـة، والاكـراد يتميـزون في مظهـرهم الخارجي بملابسهم الملونة، ومظهرهم الجسماني الممتليء بالقوة بعكس العراقيين. وكذلك اليهـود الـذين يسـكنون تلـك المدينـة يبـدون أصـحاء ،... ورئـيس الجاليـة اليهودية يتكلم العبرية وقد زاره ميجور (رائد) انكليزي، وسأله حول موقف الجالية اليهودية تجاه الصـهيونية ؟ فقـال رئـيس الجاليـة: إن كـل يهـودي صـهيوني، وإن أعضاء جاليته هم أيضاً كذلك)).

في عام ١٩٤٦م ارسلت الوكالة اليهودية اثنين من أعضاء شبكتها السياسـية الى العراق (موريس فيشر) و (يهـودا هلمـان) لتجنيـد الكـرد والاشـوريين (المسـيحيين النساطرة) ضد العرب، وفي أعقاب الزيارة التي قام بهل الاثنان الى كردستان العراق، كتبـت الوكالـة اليهوديـة الى اللجنـة الامريكيـة – البريطانيـة لدراسـة مشـكلة (ارض اسرائيل): ((يكفي أن نشير الى المصير الذي آل اليه الاكراد والاشوريين في العـراق (يقصد فشل حركات بارزان في الاعوام ١٩٣٢–١٩٤٣– ١٩٤٥م، وحركة الاثـوريين عام ١٩٣٣)، كي ندرك مدى ضعف فرص قيام أي نظـام عربـي بالتعامـل بروحيـة حكم ذاتي فدرالي، ووفقاً لمباديء مع أقلية ذات طابع سياسي وحضـاري مختلـف عن حضارته)).

وفي تقرير حول الاكراد وصل الى الوكالة اليهودية ، وتم الاحتفـاظ بـه في ملفاتهـا وارشيفها جاء: ((ان الاكراد يتوجهون الينا منـذ سـنتين بكـل الطـرق الممكنـة كـي

نتصل بهم، ونضم صوتنا الى صوتهم ضد الخصم المشترك العرب)). ويستطرد التقرير ((الاكراد يطالبوننا بمنظمين ومدربين، وهم يؤمنون بأن بمقدور الرسل الاسرائيليين، أن يوحدوا جميع القبائل الكردية المتخاصمة في بوتقة واحدة مقاتلة، وبمقدورهم تدريبهم على جميع أنواع السلاح والمتفجرات)). وعندما سألتهم؟ لماذا يتوجهون الى اليهود بالذات، قالوا لي: لدينا عدو مشترك.

ويفيد التقرير بأن حازم بك شمدين آغا عضو البرلمان العراقي عن قضاء زاخو قال بهذا الصدد: ((لقد يئسنا من البريطانيين والامريكيين ونحن عاى إستعداد للاتصال باي جهة كانت، ونحن على استعداد لقبول أية مساعدة من اليهود. وعندما طلبت منه ان يهب من اجل العمل توحيد ولم شمل الاكراد، بدا خائفاً، وقال لي: اننا نأمل من يهود ارض اسرائيل (فلسطين) ان يرسلوا رسلاً لاعدادنا، وطلب مني أن أنقل طلبه هذا الى المؤسسات اليهودية، وتعهد باستقبال وتوفير المأوى والحماية لأي رسول نرسله اليهم، وعرض خدماته اذا ما أردنا تهريب أي رسول يهودي من بغداد. وانني أقترح انه اذا ما وافق الاكراد على ارسال عدد منهم الى ارض اسرائيل (فلسطين)، وان نقوم بتدريبهم واعدادهم، وأريد أن أنوه بأن الاكراد اوردوا مثل هذا الاقتراح عدة مرات)).

ركز الموساد في مختلف عملياته على إقامة علاقات سرية مع الاقليات غير العربية مثل الكرد والموارنة في البلدان العربية، ومع البلدان الاسلامية غير العربية المجاورة كتركيا وإيران، وفقاً للقول المأثور القديم (عدو عدوي هو صديقي)

عندما وضعت الحرب العربية – الاسرائيلية الثانية عام ١٩٥٦م أوزارها، كانت اسرائيل لا تزال دولة منبوذة في المحيط العربي، لذلك أرادت ان تضع (سياسة المحيط) موضع التنفيذ للخروج من عزلتها الاقليمية. وتعود جذور هذه السياسة الى النشاطات التجسسية التي قام بها (براينتشايلد أوف روبين شيلواح) الذي أصبح

عام ١٩٥١م أول رئيس لجهاز الموساد، كان روبين يعمل في مطلع شبابه احد كبار موظفي الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، ومؤسس جهاز الموساد الاسرائيلي للعمليات الخاصة عندما كانت الوكالة شبه دولة صهيونية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين.

ففي سنة ١٩٣٤م وصل روبين الى العراق في مهمة سرية، وقدم نفسه على مدى ثلاث سنوا ت متتالية على انه استاذ مدرسة وصحافي يعمل بدوام جزئي، وعلى هذا الاساس تجول في مختلف مناطق العراق، وأقام علاقات واسعة مع الأكراد وسائر الأقليات غير العربية، بحجة تجميع المواد الضرورية لكتابة مقالات مزعومة لم تنشر ابداً.

وفي تشرين الأول (أكتوبر) عام١٩٤٢م قام (مائير مريدور) بزيارة كردستان موفداً من قبل الموساد للهجرة الثانية (الشعبة السياسية للوكالة اليهودية) ،للعمل مع اليهودي الاخر (انزو سيريني) على إنشاء وحدات دفاع ذاتية في الاحياء اليهودية في العراق لمواجهة هجمات العراقيين ، وأفاد في تقريره ان علاقات اليهود بجيرانهم في كردستان بصورة عامة جيدة، بيد ان العراقيين كانوا يقومون دائماً بمحاولات لإذكاء الخلافات والصراعات بينهم. وكتب مردور يقول ((في قرى الشمال (كردستان) صندور و زاخو تقابلت مع يهود يحملون السلاح على غرار ما يفعله سكان المنطقة، وأضاف... لقد أصبح وضع اليهود الأمني في تلك المنطقة سيئاً جراء قيام العراقيين بتحريض الاكراد، ويمتنع يهود صندور في الآونة الاخيرة عن التوجه إلى الحقول لحراسة كرومهم، خشية توريط أنفسهم فيما لا تحمد عقباه))، وكان يهود قرية صندور (القرية اليهودية الوحيدة في كردستان العراق) قد تعرضوا الى حادثة في سنة ١٩٤٢م وبينما كان أهالي قرى إكمالة وصندور وقارقارفا (قرى تقع شمال مدينة دهوك) غارقين في نومهم أيقظهم نداء استغاثة من قبل رعاة

الغنم في جبل سبيريز المطل على القرى الثلاثة من الجهة الجنوبية، ولما كانت عادة أهالي المنطقة استجابة النداء أياً كان مصدره، لذلك حمل كل سلاحه وتوجهوا إلى مصدر الاستغاثة في الجبل، حيث حدث إطلاق نار أدى إلى جرح المدعو مصطفى گردي من أهالي قرية إكمالة، وقام يهود صندور بمحاولة إسعافه دون جدوى حيث فارق الحياة من جرح بسيط في ساقه. وقد إتهم أهالي قرية إكمالة يهود صندور بقتله رغم نفي اليهود ذلك. لذلك صمم أخو المقتول تيلي گردي ومعه إبن عمه رشيد گندل على أخذ الثأر من يهود قرية صندور، حيث قاموا في إحدى الليالي بالتوجه إلى قرية صندور ودخلوا الكنيست على حين غفلة منهم، ولما رأى اليهود الجالسين في الكنيست الرجلين في مدخل باب الكنيست أطفئوا الأنوار خوفا وهلعاً، وقام تيلي وإبن عمه رشيد بإطلاق النار بصورة عشوائية عليهم مما أدى إلى مقتل سبعة منهم وجرح اكثر من عشرة آخرين، وعلى إثرها أصبح تيلي گردي وإبن عمه رشيد گندل مطلوبين لدى السلطات الملكية العراقية، حيث إنضموا الى المطلوب الآخر (سليم مصطفى بيسفكي) الذي كان قد قتل المنصر الامريكي البروتستانتي (كمبرلند) في الثاني عشر من شهر حزيران (يوليو)عام ١٩٣٨م في مدينة دهوك. وقد أشارت الصحافة اليهودية في فاسطين إلى هذه الحادثة التي جرت ليهود قرية صندور، ومما تجدر الإشارة إليه أن تيلي گردي باعتباره أحدى الشخصيات العشائرية الدوسكية المشهورة كان يعتبر سابقاً أحد حماة يهود قرية صندور من اعتداءات الآخرين.

ويضيف مريدور في تقريره قائلاً ((تسكن مدينة اربيل اغلبية كردية ساحقة، والاكراد هم عناصر متمردة باحثة عن الحرية، والاكراد يتميزون في مظهرهم الخارجي بملابسهم الملونة، ومظهرهم الجسماني الممتليء بالقوة بعكس العراقيين. وكذلك اليهود الذين يسكنون تلك المدينة يبدون أصحاء ،... ورئيس الجالية

اليهودية يتكلم العبرية وقد زاره ميجور (رائد) انكليزي، وسأله حول موقف الجالية اليهودية تجاه الصهيونية ؟ فقال رئيس الجالية: إن كل يهودي صهيوني، وإن أعضاء جاليته هم أيضاً كذلك)).

في عام ١٩٤٦م ارسلت الوكالة اليهودية اثنين من أعضاء شبكتها السياسية الى العراق (موريس فيشر) و (يهودا هلمان) لتجنيد الكرد والاشوريين (المسيحيين النساطرة) ضد العرب ، وفي أعقاب الزيارة التي قام بها الاثنان الى كردستان العراق، كتبت الوكالة اليهودية الى اللجنة الامريكية – البريطانية لدراسة مشكلة (ارض اسرائيل): ((يكفي أن نشير الى المصير الذي آل اليه الاكراد والاشوريين في العراق (يقصد فشل حركات بارزان في الاعوام ١٩٣٢–١٩٤٣– ١٩٤٥م، وحركة الاثوريين عام ١٩٣٣)، كي ندرك مدى ضعف فرص قيام أي نظام عربي بالتعامل بروحية حكم ذاتي فدرالي، ووفقاً لمباديء مع أقلية ذات طابع سياسي وحضاري مختلف عن حضارته)).

وفي تقرير حول الاكراد وصل الى الوكالة اليهودية ، وتم الاحتفاظ به في ملفاتها وارشيفها جاء: ((ان الاكراد يتوجهون الينا منذ سنتين بكل الطرق الممكنة كي نتصل بهم، ونضم صوتنا الى صوتهم ضد الخصم المشترك العرب)). ويستطرد التقرير ((الاكراد يطالبوننا بمنظمين ومدربين، وهم يؤمنون بأن بمقدور الرسل الاسرائيليين، أن يوحدوا جميع القبائل الكردية المتخاصمة في بوتقة واحدة مقاتلة، وبمقدورهم تدريبهم على جميع أنواع السلاح والمتفجرات)). وعندما سألتهم ؟ لماذا يتوجهون الى اليهود بالذات، قالوا لي: لدينا عدو مشترك.

ويفيد التقرير بأن حازم بك شمدين آغا عضو البرلمان العراقي عن قضاء زاخو قال بهذا الصدد: ((لقد يئسنا من البريطانيين والامريكيين ونحن عاى إستعداد للاتصال باي جهة كانت، ونحن على استعداد لقبول أية مساعدة من اليهود.

وعندما طلبت منه ان يهب من اجل العمل توحيد ولم شمل الاكراد، بدا خائفاً، وقال لي: اننا نأمل من يهود ارض اسرائيل (فلسطين) ان يرسلوا رسلاً لاعدادنا، وطلب مني أن أنقل طلبه هذا الى المؤسسات اليهودية، وتعهد باستقبال وتوفير المأوى والحماية لأي رسول نرسله اليهم، وعرض خدماته اذا ما أردنا تهريب أي رسول يهودي من بغداد. وانني أقترح انه اذا ما وافق الاكراد على ارسال عدد منهم الى ارض اسرائيل (فلسطين)، وان نقوم بتدريبهم واعدادهم، وأريد أن أنوه بأن الاكراد اوردوا مثل هذا الاقتراح عدة مرات)).

ركز الموساد في مختلف عملياته على إقامة علاقات سرية مع الاقليات غير العربية مثل الكرد والموارنة في البلدان العربية، ومع البلدان الاسلامية غير العربية المجاورة كتركيا وإيران، وفقاً للقول المأثور القديم (عدو عدوي هو صديقي)

(٨)

يهود كردستان ورؤسائهم القبليون- دراسة تحليلية نقدية

صدر للباحث الامريكي اليهودي (مردخاي زاكن) كتاب بعنوان (يهود كردستان ورؤسائهم القبليون) ترجمة الدكتورة سعاد محمد خضر، ومراجعة الدكتور عبدالفتاح علي يحيى، والدكتور فرست مرعي.

والكتاب يتكون من ٤٩٧ صفحة، من منشورات مؤسسة زين في السليمانية لاحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي.

يتألف الكتاب من مقدمة المترجمة ومقدمة المؤلف واستهلال بمثابة تمهيد يضم بين ثناياه: خلفية تاريخية، الارض والناس، وضع اليهود في القرون الماضية، فضلاً عن اربعة اجزاء، وملاحظات ختامية، ومقابلات (ميدانية) غير منشورة مع (٦١)شخصية من يهود كردستان الطاعنين في السن الذين هاجروا من كردستان الى فلسطين، ومقابلات شفهية غير منشورة مع الكرد اليهود محفوظة في قسم التاريخ الشفاهي في معهد الدراسات العبرية في الجامعة العبرية في القدس (أورشليم).

يتكون الجزء الاول من خمسة فصول، يتعلق الفصل الاول بيهود زاخووعلاقتهم باسرة شمدين وغيرها من اسر اغوات المنطقة، والثاني حول يهود عقرة، والثالث حول علاقة يهود دهوك بأسر الاغوات والشيوخ، والرابع بعلاقة اليهود باغوات

وموظفي العمادية، والخامس بتأسيس السليمانية وفقروية يهودية، وعن علاقةاسرة الشيخ محمودالبرزنجي باليهود، والسادس حول العلاقة القوية بين الزعيم الكردي ملا مصطفى البارزاني بيهود بلدة شنو (اشنوية) في كردستان ايران أثناء ايام حكم جمهورية كردستان (مهاباد).

فيما يضم الجزء الثاني فصلين فقط يتعلق الفصل الاول بتجربة اليهود في ريف كردستان، من خلال تجربة قرية صندور اليهودية كنموذج للتعايش اليهودي– الكردي، من خلال مدى حماية الاغوات ليهود قبائلهم ومدى اخلاص اليهود لرؤسائهم تبعا للحماية، فظلاً عن التطرق الى التجمعات اليهودية القبلية وغير القبلية.

بينما يؤلف الجزء الثالث (بعض مظاهر الحياة اليومية والخاصة) ثلاثة فصول يتعلق الفصل الاول باوضاع اليهود في كردستان من حيث الامان وتداعياته من حيث الهجرة ومقتل اليهود في المشهد القبلي تبعاً للثارات القبلية، وفي الفصل الثاني توفر على الوضع الاقتصادي لليهود ما قبل القرن العشرين، بجانب المهن الرئيسية لليهود. أما الفصل الثالث فخصص لاعتناق اليهود للاسلام والاسباب الموجبة لذلك، والاليات التي اتخذها اليهود لافشال التحول الى عقيدة اخرى غير عقيدة التوراة، فضلا عن بيان دورالشيوخ (= شيوخ الطرق الصوفية القادرية والنقشبندية) وعلماء الدين الاسلامي (=الملالي) والاغوات في تلك العملية.

وفي الجزء الرابع والاخير المتعلق ب (آخر الاجيال في كردستان ما بين الحرب العالمية الاولى والهجرة الى اسرائيل خلال سنوات ١٩٤٨–١٩٥١م) يتوفر على ثلاثة فصول، الاول يتعلق بالخبرة الحياتية اليومية في سنوات الحرب العالمية الاولى من خلال الهروب من الخدمة العسكرية والهجرة بسبب العمل القسري والسخرة وشحة المؤن، والفصل الثاني يتعلق بسنوات نهاية الحرب وما تلاها، والثالث يتضمن

علاقة اليهود بكل من الكرد والعرب خلال سنوات ١٩٤١-١٩٥١م من خلال آثار مذبحة الفرهود التي لحقت بيهود بغداد بعيد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني ورفاقه الضباط الاربعة في حزيران سنة ١٩٤١م، فضلا عن الاثار المترتبة على اعلان قيام دولة اسرائيل في ١٥مايس/ايار ١٩٤٨م، وما تلاه من ملاحقة اليهود وسجنهم بتهمة العمالة للحركة الصهيونية و لدولة اسرائيل، بجانب الضغوط الاقتصادية على اليهود قبيل هجرتهم الى فلسطين من خلال شراء دورهم ومقتنياتهم باثمان بخسة.

في استهلال الكتاب أو التمهيد له يذكر الكاتب ما نصه: " لم يعد هناك وجود لكردستان المذكورة في كتابي هذا. هاجر الكُرد اليهود الى اسرائيل" كما هاجر كثيرون من الآثوريين المسيحيين الى العديد من الدول الغربية في حين يعيش الكُرد المسلمون في خضم الجيشان والثورات والحروب التي غيرت خارطة كُردستان".

في الخلفية التاريخية تطرق الباحث الى لفظة الكرد وكردستان التي وردت في المصادر القديمة من السومرية والاشورية والاغريقية واللاتينية، وفي اشارته الى المصادر الارامية على انها ذكرت (بيت الكرد وكردستان) في اشارة الى (بيث قوردايا)، ولكنه جانب الصواب في تطرق الكتاب المقدس وبالتحديد (الانجيل) الى جبال آرارات على انها جبال الكرد وكردستان" والصحيح ان التوراة هي التي ذكرت الجبال المذكورة، ولكن تم تعريفها في ترجمة" أونكيلوس" الارامية في القرن الرابع الميلادي على انها (جبال الكرد وكردستان)، وعلى الشاكلة نفسها قدم (التلمود) في القرن السادس الميلادي إشارات قليلة اخرى للكورد والكورديين.

وبشأن عدد اليهود الكرد فان (زاكن) يقدر عددهم قبيل هجرتهم الجماعية الى فلسطين (اسرائيل) في الاعوام (١٩٥١-١٩٥٢م) بحوالي خمسة وعشرين الف نسمة، يتوزعون على مائتي قرية والعديد من المدن والقصبات، وفي الوقت نفسه كان هناك

ما يقارب عشرون الف نسمة على الاكثر من اصل كردي يقيمون في اسرائيل (نقلاً عن مارتن بروينسن-١٩٧٨م)، وغالبية هؤلاء اليهود قدموا من كردستان العراق، وكانوا متواجدين في مناطق: الموصل، زاخو، دهوك، عمادية، زيبار، كما كانوا يقيمون في مناطق: كركوك، اربيل، السليمانية. ويركز كتابنا الحالي على اليهود الذين عاشوا شمال نهر الزاب الكبير وشرق نهر دجلة، فضلا عن كرد السليمانية.

موقف اليهود من شيوخ وآغوات كردستان

في مسحه لخمسة مناطق كردية وهي: زاخو ودهوك والعمادية وشنو والسليمانية، يتطرق (زاكن) نقلا عن رواته من اليهود، الى ان هناك بعض الاغوات وشيوخ الطرق الصوفية وبعض علماء الدين كانوا يضطهدون اليهود ويعتدون عليهم من ناحية أخذ أموالهم واتخاذهم عمالاً للسخرة على اساس انهم كانوا اشبه بالعبيد لدى اغوات القبائل، ويأتي بأمثلة مباشرة مع ذكر الاسماء بكل دقة، في الوقت الذي يشيد بآخرين من تلك الطبقات مع الاشارة الى الاسماء وتوقيت الحوادث .

ففي قضاء زاخو التي كانت اولى محطاته، على اساس ان اصوله العرقية ترجع اليها، وينقل عن احد رواته وهو المعلم (ليفي) واستناداً الى رواية شفوية:" فان رجال قبيلة سليفاني قد شيدوا مدينة زاخو، وتقع اراضيهم جنوب المدينة وأقامت اسرة شمدين آغا في زاخو، وتعود اصولها الى قبيلة سليفاني".

وفي معرض الاشارة الى شخصيات وأغوات زاخو نراه يشيد بأسرة (شمدين آغا) ويكيل المدح الى غالبية ابناء هذه الاسرة القوية والغنية في تلك الحقبة من منتصف القرن التاسع عشر لغاية منتصف القرن العشرين بعيد الهجرة اليهودية الى فلسطين ووفة الشخصية المعروفة (حازم بك) عام ١٩٥٤م،

" ومع نهايات القرن التاسع عشر فما فوق، سيطرت اسرة شمدين على جميع المسلمين واليهود والمسيحيين في زاخو وضواحيها، وكان عاصف بك اول شخصية اشتهرت من الاسرة واصبح ابنه حازم بك (١٨٩٥-١٩٥٤م) اقوى رجل في زاخو، وكان أكثر الناس ثراءً في المنطقة كما كان رجل أعمال يمتلك مائة حانوت في زاخو الى جانب الاراضي الشاسعة التي يمتلكها خارج المدينة، وكان سياسياً مرموقاً فكان مندوباً لمرات عديدة عضواً في البرلمان وفي مجلس الاعيان (=مجلس الشيوخ العراقي)، كما كان وزير بلا وزارة فترة قصيرة من الزمان في الحكومة العراقية. وكان أعمامه واولاد اعمامه رجالاً متنفذين كذلك. وكان عمه محمد آغا عمدة زاخو وعضواً في البرلمان حتى وفاته عام ١٩٢٣-١٩٢٤م في حادث سقوط طائرة، واحتل ابنه حجي آغا مكانه عمدة للمدينة. وهناك ابن عم آخر لحازم بك وحاجي آغا وهو: عبدالكريم آغا بن حجي رشيد بك، ولم يكن عبدالكريم آغا يتمتع بنفوذ رسمي كغيره من اعضاء الاسرة ولكنه كان "أفضل آغا" يقدره مجتمع زاخو اليهودي...".

وفي الاشارة الى احترام آغوات زاخو للشخصيات اليهودية يقول المؤلف :" فقد كان حازم بك يقف احتراما ل" موشي كاباي" مختار زاخو الثري، كما كان عبد الكريم آغا ينادي " مرداخ ميرو زاكن" (=احد افراد اسرة المؤلف) بكلمة "خالو" لان خاله في الواقع "جميل آغا" رئيس آغوات السندي كان يوفر له الحماية والرعاية".

وبخصوص عدد قرى قبائل السندي والكولي والسليفاني، يقول بأن قبيلة كولي تمتلك ثماني قرى وسندي اثنتي عشرة قرية، وسليفاني اربع عشرة قرية، وهذا خطأ، لان هذه العشائر المذكورة تمتلك اكثر مما ذكر بكثير.

وبشأن آغاوات قبيلة سندي الذين كانوا يقيمون في منطقة (كلي بسآغاية) :" فقد كانوا الاسياد القبليين لمعظم يهود زاخو، وأكثرهم تجار أو باعة متجولون ينتقلون في مناطق سيادتهم. وكان الأغوات خلال الاربعة أجيال الاخيرة: آقوب (يعقوب آغا)، وولده" عبدي آغا "، وابني عبدي آغا: جميل آغا وصالح آغا (توفي عام ١٩٤٥م) وأبناء " جميل آغا " عبدي آغا، وبشار آغا، وقد منحت قبيلة سندي حمايتها للكثيرين من اليهود".

وكان مقر جميل آغا يقع في قرية دار هوزان شمال غرب زاخو، ولكنه كان يقضي الصيف في صاركى أو في قرية مارسيس في الجبال القريبة من الحدود العراقية التركية.

وبشأن العلاقات الاجتماعية والعلاقات التي تربط بين رئيس قبيلة السندي ويهود زاخو، يقول الآتي: " عندما تزوج (عبدي آغا) ابن (جميل آغا) في العام ١٩٤٥م اعتبر الرواة اليهود ذلك العرس حدثاً هاماً في حياتهم الاجتماعية، كما اعتبروا دعوتهم لحفل الزفاف هذا شرفاً كبيراً كونهم ضيوفاً في حفل عرس ابن الآغا... وحتى في اسرائيل، وبعد أكثر أربعين عاماً من الهجرة اليها، اعتبر الرواة اليهود دعوة العرس هذه دليل احترام كبير يكنه لهم الأغوات. وكذلك عندما تزوج (بشارآغا) ابن (صلاح آغا) زوجته الثانية من قبيلة (هاجان) من (الكوجر)، أقيم احتفالات ما قبل العرس (الخطبة والشبكة) في منزل اسرة (مرداخ – مردخاي ميرو بيزاكن) اليهودية في زاخو، وشعر اليهود بالفخر بسبب احتفال الزواج هذا...".

ومع هذا المدح لرؤساء قبائل السليفاني والسندي، فانه يشير في موضع آخر الى المذابح التي قام بها كرد زاخو ضد اليهود فيها، بقوله: " ... فهناك رسالة تذكر شكوى قدمها قادة يهود زاخو عام ١٨٩٢م تقول بأن الكرد يقومون بمذابح منظمة ليهود المدن، ويحرقون منازلهم ومعابدهم. وقتل سبعة من اليهود والقي القبض

على معظم الناجين وعرضوهم للتعذيب الشديد. كما ضوعفت الضرائب المفروضة عليهم بشكل كبير جداً، فغرقت المدينة وتهدم مائة وخمسون منزلاً يهودياً".

وفي السياق نفسه يشيرفي هامش الصفحة (٤٥) الى مذابح كثيرة وقعت ليهود السليمانية في عام ١٨٩٥م، وتم الاعتداء فيها على نسائهم وانتهكت أعراضهم، ونهبت محلاتهم، مع الاشارة الى مقتل سبعة من يهود قرية صندور الواقعة شمال مدينة دهوك بعد خمسين عاماً، وبالتحديد سنة ١٩٤١م.

ولم ينسى الكاتب التطرق الى الحادثة التي وقعت عام ١٩٢٥ وكيف ان جميل آغا ارسل بعض رجاله الى قرية بيرسفي المسيحية الواقعة شمال شرق زاخو، طالباً بعض الحبوب مع ستة من البغال، ولكن مختار القرية (ميشو بن زيرو) رفض طلب جميل آغا، وكان يأمل ان مطاردة الحكومة ستبعده وتمنعه بذلك من شن غارة على بيرسفي، لانه قبل ذلك كان قد قتل سنة ١٩٢٥م ستة من رجال الشرطة في كمين نصب لهم قرب قرية شرانش، وهرب على إثرها الى داخل الاراضي التركية، ولكن رجال جميل آغا نصبوا كمينا للمسيحيين السائقين للبغال التي تحمل الاخشاب قادمين من بيرسفي الى زاخو لمصلحة يهود زاخو، وتم قتل ستة منهم بالفؤوس وتم سرقة بغالهم. وفي حادثة اخرى يشير الى ان احد الارمن من سكان قرية ديهي قام بتوجيه السباب الى جميل آغا بصوت عالٍ امام الناس، وسحب جميل آغا خنجره وأراد ان يرديه قتيلاً، ولكنه لم يستطع فعل ذلك أمام الناس وبالقرب من مركز شرطة زاخو، ولكنه بعد سنة أو سنتين ارسل احد رجاله (محي مجولي) بصحبة تاجريهودي (هارون جودو) الذي روى الحكاية لمؤلفنا، ذهبنا سوية الى منزل المسيحي في محلة كيسته في زاخو، وطلب منه (محي مجولي) ان أقتل الارمني المسيحي بينما هو يمسك به فرفضت ذلك، وطلب مني ان أمسكه بينما هو يقتله ولكني رفضت عرضه الثاني، واخيرا امسك به وقتله وهو نائم في فراشه وامر

زوجته الا تفتح عيونها وإلا قتلت هي الاخرى، وأخذ برماله (غطاء فراشه)، وعدنا أدراجنا الى قرية دار هوزان مقر جميل آغا، وعندما بزغ الفجر أنواره حتى وجدنا الدماء تغطي ملابسنا.

ويناقض الباحث نفسه عندما يذكر في مكان آخر (ص٧٦) كيف ان رؤساء قبيلة سندي ككانوا حماة يهود زتخو وما يحيط بها، كما كان (آقوب آغا وولده عبدي آغا)، ثم ولدي عبدي آغا (جميل آغا وصلاح آغا) الآغاوات الرئيسيين لتلك المنطقة خلال النصف الاول الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، وإن هؤلاء الأغوات كانوا أقدر بل أكثر قدرة على حماية اليهود من الحكومة نفسها، وينقل عن المنصر الاسكتلندي – البريطاني قوله: " ان رئيس بارزان وعبدي آغا من قبيلتي سندي وكولي من أهم رؤساء القبائل في تلك المنطقة في بداية القرن العشرين بمقارنت هم مع مير برواري (حجي رشيد بك) ومع آغا جالا (=جلى في كردستان تركيا) الاقل شأناً وسطوة". ويستطرد زاكن نقلا عن ويكرام قائلاً:" ربما يكون عبدي آغا من سندي– كولي أفضلهم جميعاً، فانه كان يمتلك قلعة رائعة التكوين، لم تتمكن اية قوات حكومية من التغلغل فيها، وكانت قيمته تعادل قيمة جاره شيخ بارزان (= الشيخ عبد السلام الثاني)، وتلك القلعة قوية شامخة في هضبة تانينا (سنديا)، وهي هضبة مسطحة قوية تقع بين الجبال (= شمال مدينة زاخو على الحدود العراقية التركية) حيث توجد غابات ومياه تكفي جميع افراد القبيلة (=السندي)

وعند عرض هذه الواقعة على (الدكتورلزكين عبدي جميل) حفيد آغا عشيرة السندي (جميل آغا)، أنكر هذه المعلومة بشدة وقال هذه من اكاذيب رجال يهود زاخو، وأضاف بأن جده (= جميل آغا) كان حامي حما يهود زاخو، وأن الذي قتل

الشخص الارمني هو احد اهالي مدينة زاخو حصرا، ومن جانب آخر فان مسيحيي قرية بيرسفي هم من اتباع وانصار جده، فكيف يقوم بقتلهم وايذائهم؟

وفي الفصل الثاني تطرق الباحث الى قضاء عقرة (ئاكرى)، وذكر معلومة مهمة وهي ان يهود عقرة تركوها بشكل جماعي بسبب حاكمها الذي كان يخلق لهم المشاكل حسب تعبيره، وينقل عن الرحالة اليهودي (بنيامين الثاني) عن عدة غارات قام بها مسلمون كرد ضد النساء اليهوديات اللاتي كن يأخذن حمام التطهير الطقسي بالقرب من الكنيس خارج المدينة.

ويسرد الباحث احصاءات بعدد اليهود اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، حيث زاد عدد يهود عقرة زيادة طفيفة، بدون ذكر السبب، ويبدو ان قيام حركات بارزان ضد الحكومة الملكية العراقية في سنوات ١٩٣١-١٩٣٢م، وسنوات ١٩٤٣-١٩٤٥م بقيادة الشيخ احمد بارزاني وملا مصطفى البارزاني جعلت الكثير من يهود بارزان وقرى عشيرة الزيبار يلتجئون الى مدينة عقرة.

بعدها يتطرق الى ذكر اسرة يهودية مشهورة خلال الثلاثة أجيال الماضية وهي اسرة (الخواجه خينو) التي كانت تترأس المجتمع اليهودي في عقرة، وكانت تقيم علاقات واسعة مع الأغوات والموظفين الرسميين، الذي اعتادوا على زيارة هذه الاسرة وقضاء اوقات ممتعة معهم لتناول الطعام والشراب والاستماع الى الموسيقى، مع توفير مساعدات مادية ومالية لرؤساء القبائل المحتاجين في اوقات الشدة، وينقل عن مصدر ميداني وهو (درويش ناحوم) الذي كان يعمل كاتباً لدى (خوا جه خينو)، قوله: " اعتاد ضباط الشرطة والجيش زيارته وكانوا يجلسون ويتناولون الطعام والشراب ويستمعون الى بعض الاغاني التي تُشيع لديهم البهجة، ثم يغادرون ".

وبشأن العلاقة بين اليهود وشيوخ بارزان النقشبنديون، فانه يشير الى أن شيوخ بارزان يحظون باحترام فائق لدى الناس في كردستان، وينقل عن المنصر (المبشر) البريطاني الاسكتلندي (ويكرام) في كتابه (الحياة في شرق كردستان) قوله:" أن شيخ بارزان كان واحداً من أقوى الشخصيات القبلية في كَردستان، وتحدث عن زيارة قام بها لبارزان حيث قام حراسه بمرافقته ورجاله الى قرية (بيره كه برا) الزيبارية، حتى وصلنا الى شواطي النهر (=الزاب)، وعندما ركبنا العبارة انتهت مهمتهم الى هذا الحد. انهم لن يرافقوننا عبر النهر لانه يعود الى أراضي شيخ بارزان، وأحست الحكومة (=العثمانية) ببعض الزهو لتلك اللياقة التي أبداها بمرافقتهم عبر أراضيهم...".

ومن جانب آخر اكد ويكرام على تواضع شيخ بارزان (عبدالسلام الثاني) عندما قارنه بغيره من رؤساء القبائل حتى الاقل قوة، قائلاً: "ان اولئك الرؤساء حتى الاقل سطوة يعيشون في القصور"، في حين كانت منازله بين رجاله، ولا يتعدى مكان اقامته عدة منازل متجاورة، وكانت القرى في منطقة بارزان مزدهرة، والشيخ نفسه كان حكيماً رحيماً معروفاً بعدالته في التعامل مع أتباعه. وعندما نشب النزاع بينه وبين الحكومة وأصبح فاراً في الجبال، قطف ثمار معاملته الطيبة لفلاحيه، لانه لم يوجد انسان واحد مسلم أو مسيحي يقوم بخيانته ويسلمه لاعدائه".

ويواصل ويكرام ابداء تعاطفه مع شيخ بارزان من خلال كرم الشيخ وحبه للخير ليس فقط تجاه أتباعه المسلمين، بل تجاه من لم يكن مسلماً.

بعدها يغير الباحث مجرى الحديث فينقل عن تقرير خاص بأخبار منطقة العمادية صادر في كانون الاول عام ١٩١٣م واستناداً الى أقوال أحد المبشرين المحليين: "قام الشيخ البارزاني (= عبدالسلام الثاني) بشن غارة على بضع قرى

(=عشيرة نيروه)، ثلاث منها آشورية (=نسطورية) وست كردية. واعملوا فيها النهب والسلب وقتل ستة من اليهود. وكانت تلك الغارة رداً على رفض رجال قبائل (نيروه– ريكان) مساعدته في هجوم تم التخطيط له على (قبيلتي) جال وتخوما الآثوريتين".

ويطرح الباحث تساؤلاً:"ولكن لماذا قتل هؤلاء اليهود المساكين"، وينقل عن المبشر ناقل الخبر :"انه شيء غير مفهوم"، بعدها يحاول الباحث تحليل هذا الخبر المفاجيء، لان ذلك التقرير يثير الشكوك والمواقف الصادقة لشيوخ بارزان تجاه الكرد اليهود،ويحاول الاجابة قائلاً:" لان مختلف التقارير الصادرة من مصادر متنوعة حول المعاملة الكريمة التي يبديها البارزانيون تجاه اليهود.

وهذا ما يتناقض الى حد كبير على اساس العلاقات الجيدة بين اليهود وشيوخ بارزان، حيث يشير الكاتب بوضوح الى ذلك من خلال قوله:" يبدو ان شيوخ النقشبندية خاصة الشيخ احمد والملا مصطفى البارزاني، يرتبطون بعلاقة حسنة خاصة مع اليهود الكرد الذين يتمتعون برعايتهم،... وزيادة على ذلك يتحدث الرواة من يهود مناطق: شنو، ميركه سور، سركاني، وديانا، يتحدثون عن المواقف الايجابية للبارزانيين تجاه اليهود" .

وكان لشيوخ بارزان علاقات وطيدة مع اسرة (خواجه خينو) أهم واشهر اسرة يهودية في مدينة عقرة خلال الثلاثة اجيال الماضية، تشهد بذلك طلب السلطات العثمانية (=حكومة الاتحاد والترقي) في العراق من (خواجه خينو) التوسط بينها وبين الشيخ عبدالسلام الثاني البارزاني، اثناء حركته في بداية القرن العشرين، ففي حين يؤكد الباحث انه لا يوجد مصدر آخر يؤكد هذه الرواية سوى تراث (اسرة خواجه خينو)، وينقل الباحث رواية عن (آرييل كاباي) احد افراد اسرة (خينو) مفادها:"عندما وصل جدي الى بارزان... حضر الجميع للترحيب به الشيخ عبد

السلام (ولد عام ١٨٨٢م)، محمد صادق والشيخ احمد (ولد عام ١٨٨٤م)، الملا مصطفى البارزاني (ولد عام ١٩٠٣م)، مع جميع ابنائهم. أخبرهم انه قد حضر اليهم للتوسط في تلك القضية وقالوا له: لن يحدث أي سوء لك. وكل ما تقرره سنقبل به، ولكن لو حضر شخص آخر، ما كان قادراً ان يصل هنا لاننا نراك انساناً محترماً... لقد حدثت تلك الزيارة اثناء احتفال اليهود بعيد الهيكل... وكان من المستحيل ان يغادر قرية بارزان، وقالوا له: سوف نبني لك الهيكل هنا،... وبالفعل أقاموا خيمة كبيرة له وولموا الوليمة وجاء جميع يهود قرية بارزان ليتناولوا الطعام الذي تم اعداده وفقاً للشعائر اليهودية في الهيكل".

ويستطرد الباحث الحديث حول العلاقة المتينة بين اسرة شيوخ بارزان، من خلال كلام للزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني اثناءحضوره حفل تعزية وكيل (خواجه خينو)عام ١٩٤٤م، و استلام البارزاني لهدية من زعيم يهود عقرة (الخواجه خينو) بمناسبة حضوره، عبارة عن خنجر ذهبي مرصع بثلاثة فصوص ذهبية، حيث قال بالنص امام العديد من رؤساء القبائل الكردية في مدينة عقرة ما نصه:" تعرفون جيداً ان تلك الاسرة (=الخواجة خينو) عزيزة على قلبي... وينظر الجميع الينا وكأننا اسرة واحدة رغم اختلاف ديننا، انا لا اريد ان يصيبهم أي أذى"، وينقل زاكن عن الكاتب اليهودي الآخر (اميل مراد) بخصوص الخطاب الهادف الذي القاه الملا مصطفى البارزاني في تلك المناسبة وقد انهى خطابه بقوله:" أحب كثيراً اليهود ومن يفكر في إيذائهم فالويل له مني".

ويواصل الباحث الحديث عن الاصول التاريخية لاسرة شيوخ بارزان، بقوله: "تأريخياً يوجد شيخان يحملان اسم عبد السلام. اولهما (عبدالسلام اسحق) جد (الملا مصطفى البارزاني)، الذي اعدمه الاتراك شنقاً في الموصل عندما وصل اليها للتفاوض حول تسوية لتمرده في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أما

ثانيهما، عبد السلام المرشح المفضل ليستقر في الصورة... وعبد السلام هذا هو الشقيق الاكبر للملا مصطفى البارزاني، وتم شنقه في الموصل عام ١٩١٤م..." .

بينما يشير مصدر آخر (حسن أرفع في كتابه: الشعب الكردي دراسة تاريخية وسياسية) الى ان اسم جد الشيخ احمد هو (اسحق بن يعقوب)، وجده الاكبر (= يعقوب) كان قدجاء الى بارزان من قرية بحركى التي تقع على بعد عشرة امي الشمال مدينة اربيل، ونزل في أطراف (زيبار) مع عائلته وأفراد قبيلته، على الضفة الشمالية المقابلة من نهر الزاب الاعلى (=الزاب الكبير)" وقد اطلق على المكان إسم بار– زان، والذي يعني في اللغة الكردية (مكان الهجرة)".

هناك اختلاف في اسم الجد الثالث للملا مصطفى البارزاني بين المرجع اليهودي والمرجع الايراني، والاثنان يحاولان ارجاع نسب اسرة شيوخ بارزان الى اليهودية من خلال تسمية اسحاق ويعقوب.

ولحل هذا الاشكال لابد من القول ان المعلومات المتعلقة بشيوخ بارزان الأوائل غالباً ما تكون مليئة بالتناقضات، فاستناداً إلى مصادر أخرى، فان شيخ بارزان تاج الدين كان خليفة لمولانا خالد الميكائيلي الجاف، واستناداً إلى أخرى فإنه كان خليفة للشيخ السيد طه النهري.

أما المصدر الأوسع تفصيلاً فإنه لا يسمى أول الشيوخ البارزانيين، بل – عبدالرحمن واستناداً إلى المصدر نفسه فإن عبدالسلام الأول لم يكن ابن عبد الرحمن بل أخاه الأصغر.

والإشكالية التيوقع فيها العديد من المؤرخين والباحثين انهم ربطوا لقب تاجالدين بالملا محمد، ولكن الحقيقة أن (الملا محمد) هو والد الملا عبدالله الذي منحه العلامة الملا يحيى بن خالد المزوري العمادي المتوفى سنة ١٨٤٣م) الإجازة العلمية، وتاريخ منح الإجازة غيرمؤرخ ولكن يبدو والله أعلم أنها منحت لملا عبدالله

البارزاني قبيل انتقال الملا يحيى المزوري إلى بغداد قادما من العمادية عاصمة امارة بهدينان بعد سنة ١٨٢٥، حيث كان الأخير موضع ترحيب من قبل أمير العمادية (= بهدينان) زبير بن إسماعيل باشا التي دامت أمارته من ١٨٠٨ إلى ١٨٢٥م، بعدها اسيئت معاملته حيث قتل ابنه (ملا عبد الرحمن) على يد أحد أزلام سعيد باشا أمير العمادية، كما قتل عمه (علي آغا المزوري) وابنه سنجان اغا على يد (علي بك اليزيدي) اميرالطائفة اليزيدية، بتواطؤ أميري العمادية وعقرة سعيد باشا وإسماعيل باشا، لذا فإن كلمة (تاج الدين) لقب أضيف إلى اسم الشيخ عبد الرحمن بن ملا عبد الله صاحب الإجازة. لان هذا اللقب شاع استخدامه لشيوخ الطرق الصوفية في تلك الآونة، فالشيخ حسن شمس الدين أبومحمد الذي تلقى علومه الدينية من المتصوف المشهور (محي الدين بن عربي المتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، والشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري المتوفي سنة ٤٥٧ هـ/ ١١٦٢ م والمدفون في جبل لالش الواقع شمال شرق مدينة الشيخان (=عين سفني) في كردستان العراق، عرف بلقب (تاج العارفين)، وعرف مولانا الشيخ خالد البغدادي النقشبندي بلقب (تاج الدين).

ولم يقتصر استخدام كلمة (تاج) في الألقاب المفخمة للإفراد وإنما تعداه إلى الاستخدام في عناوين كتب السادة الصوفية كجزء من متطلبات التفخيم، كما هو مدرج في عنوان كتاب تاج الرسل) لأبن عربي.

مما تقدم يثبت بجلاء أن لقب تاج الدين اقترن باسم الشيخ عبد الرحمن بن ملا عبد الله بن ملا محمد الشافعي الكردي البارزاني بعد إجازته للطريقة النقشبندية من قبل الشيخ السيد طه النهري الأول.

ومن الجدير بالملاحظة أن بعض الباحثين يعتبرون الشيخ عبد الرحمن البارزاني والداً للشيخ عبدالسلام الأول البارزاني، والصحيح أن الأخير هو الأخ

الأصغر للشيخ عبد الرحمن، حيث ترك الملا عبدالله ثلاثة أبناءوهم: تاج الدين عبد الرحمن، وعبد الرحيم، وعبد السلام الذي توفي ىسنة ١٨٧٣م في رواية، او في سنة ١٨٨٤م في رواية أخرى، وهو موضوع بحثنا.

واستناداًإلى حوليات الرهبنة الهرمزدية الكلدانية فان الشيخ عبد السلام الأول البارزاني ابن الملا عبد الله كان لايزال حياً يرزق في سنة ١٨٧٣م.

وفي الفصل الثالث يسرد الباحث قصة مدينة دهوك، المقر الرئيسي لقبيلة الدوسكي مع ثمانين قرية اخرى (=الصحيح ان قبيلة دوسكي كانت تضم حوالي ١٢٥ قرية).

ويتطرق في البداية الى وجود جالية يهودية ومسيحية مع المسلمين يقيمون في مائة منزل، بعدها يذكر ان الكرد يشكلون غالبية سكان المدينة من خلال سكنهم في خمسمائة وخمسين منزلاً، يشغل المسيحيون خمسة وستين منزلاً، واليهود ثلاثين الى جانب عدد كبير من النسطوريين (=الاثوريين)، وعدد أقل من المسيحيين الكلدان هاجروا من من مناطق جزيرة بوتان وهكاري بعد الحرب العالمية الاولى، وهذا ما زاد من نسبة سكان دهوك، حيث وصل تعدادهم في سنة ١٩٢٩ الى (٢٩٨٥٨) تسعة وعشرين الفا وثمانمائة وثمانية وخمسين نسمة، أغلبهم من الكرد المسلمين وتعدادهم (١٨٣٠٧) نسمة، والمسيحيون وتعدادهم (٥٧٨٤)، والعرب المسلمون وتعدادهم (٢٠٦٨)، واليزيديون وتعدادهم (٢٨٧٠)، واليهود وتعدادهم (٨٢٩) نسمة

وبمقارنته بالمدن الكردية الاخرى فان دهوك كانت تستوعب اكبر عدد من اليزيدين، ويبدو ان الباحث يقصد باليزيديين المتواجدين في القرى القريبة والتابعة لقضاء دهوك، والا فلا وجود لليزيديين في مركز مدينة دهوك حصراً، ويعزو الباحث سبب ذلك بقوله:" ... فان اسمها القديم هو دهوكى داسنيا أي دهوك اليزيديين،

ولكنها أقفرت بعد المجازر التي خضع لها اليزيديون. وبعد ذلك جاءها المسيحيون واليهود ليقيموا فيها".

وبخصوص آغوات وشيوخ منطقة دهوك، فان الباحث يخصص عدة صفحات من الفصل للحديث عن (سعيد آغا دوسكي) وأولاده، بعدها يحاول التعريف بسلفه (حسن آغا) من خلال ذكريات (ساسون ناحوم) من يهود دهوك:" حسن آغا كبير آغاوات دهوك في بدايات القرن العشرين، والذي وقف الى جانب روسيا ضد تركيا (=الدولة العثمانية) أثناء الحرب العالمية الاولى. هرب حسن آغا مع قواته القبلية الى روسيا ولم يعد بعد ذلك مطلقاً، وحل مكانه سعيد آغا ابن عمه، وكان سعيد آغا أكبر حاكم قبلي في دوسكي (بالارامية الحديثة دوستيكنايه) وتمتد منطقة نفوذه من من محيط دهوك صعوداً الى شواطيء نهر الخابور، ويعود أصله الى (قرية) كرمافا، وتصف التقارير الحربية البريطانية (سعيد بك) ١٨٩٠–١٩٤٧م، القادم من كرماوا– كرمافابالقرب من دهوك: الرجل القوي الوحيد في قبيلته ويتمتع بنفوذ كبير، ولكن الآخرين أقل قوة وأدنى منزلة أقل كثيراً من مجرد مخاتير القرى، ويراه البريطانيون رجلا حساساً وليست شخصيته قوية بشكل خاص. ويقدرون مساندته للحكومة اثناء عملية (١٩٢٢م) في وادي زيبار، وصموده المتواصل أثناء الاضطرابات في منطقة دهوك عام (١٩٢٥م)، أثناء زيارة لجنة الحدود، في الوقت الذي تبنى فيه معظم آغوات دوسكي موقفاً معادياً للحكومة. وبعد استقلال العراق انتخب مندوباً أو عضواً برلمانياً عام ١٩٣٨م، ومرتين آخرين في عام ١٩٤٤م وعام١٩٤٧م".

لقد كانت ذكريات اليهودي الدهوكي (ساسون ناحوم) يشوبها الغموض، لان حسن آغا الدوسكي ذهب مع مقاتلي قبيلته الدوسكي الى ايران للقتال الى جانب

الدولة العثمانية أثناء الغزو الروسي لشمال ايران، وتوفي فيما بعد في مدينة مهاباد اثر مرض الم به، ودفن هناك.

أما بخصوص التقرير العسكري البريطاني، فقد كان دقيقاً الى حد كبير، فقد انضم سعيد آغا الى جانب الحكومة البريطانية، فما انضم (سفر آغا ابن عمر آغا) احد زعماء قبيلة الدوسكي الى جانب الحكومة العثمانية ضد المحتل البريطاني، ويبدو أن موقفه هذا كان احد اسباب اغتياله عام ١٩٢٤م اثناء تواجده في قرية (بيرافات).

ويمضي التقرير العسكري البريطاني في التحدث عن أبنا سعيد آغا الثلاثة بالقول :" انتحر ابنه اسماعيل، ويقال ان السبب هو نصرته للقضية القومية الكردية بقيادة البارزاني متخذاً بذلك موقفاً مناهضاً لوالده المعروف بميوله الانكليزية وتأييده لسياسة الحكومة... والابن ألآخر (ديوالي) الذي خلف والد سعيد آغا. ويتفق الرواة اليهود على أن ديوالي ووالده انتهجا سياسة الابتزاز وجمع استحقاقاتهم التقليدية، ويقدمه الرواة اليهود آغاً قبلياً أقل لباقة وتهذيباً من والده سعيد آغا..."

من خلال ما تقدم يبدو ان بعض الحوادث أثرت على طريقة تعامل الرواة اليهود مع ديوالي آغا الدوسكي، فان اغلب الاتهامات جاءت من المدعو (سعيد جمليلي) ابن حاخام باشي دهوك في تلك الحقبة، لانه كانت لديه مشاكل مالية واجتماعية مع بعض يهود دهوك، وعندما كان ديوالي آغا يحاول ايجاد الحلول لها التي تتفق مع الاعراف القبلية آنذاك، والقضية التي أثارت ردود فعل الآغا حول اليهود هو ان (حزكو إيللو) قد أثار حفيظة ديوالي ضد اليهود، عندما أخبره أنه في يوم الغفران "لعن اليهود ديوالي في الكنيس"، وكان الحاخام الذي بدأ بلعن ديوالي هو (بنيامين

جمليلي) والد يوسف جمليلي، والقصة تبدأ من هنا، ولمن أراد المزيد فعليه بمراجعة الكتاب نفسه (الصفحات ١٢٤-١٣١).

بعدها يتطرق الباحث الى موضوع آخر وهو علاقة الشيخ عبيدالله بن الشيخ نور محمد البريفكاني وعلاقته بيهود دهوك، حيث يعرفه بالشكل الاتي:"كان الشيخ عبيدالله البريفكاني أحد الرؤساء الدينيين في منطقة دهوك الذي يرتبط بعلاقات خاصة مميزة باليهود ويدخل متفهم لليهودية، يقال انه اهتم بمعرفة التوراة، حيث قام احد الاحبار المحليين بترجمة جزء منها خلال منتصف ١٩٢٠ وبدايات ١٩٣٠م".

وفي اعتقادي ان الشيخ عبيدالله البريفكاني كان يحاول الاطلاع عن كثب على الكتاب المقدس لليهود (التوراة)، حيث لم يتسنى له الحصول على الطبعة العربية للكتاب المقدس التي كانت متوفرة آنذاك في مطابع بيروت، أو على أقل تقدير لم يكن على علم بوجود طبعة عربية خاصة بالتوراة. لذلك من الاهمية بمكان تقدير الحبر اليهودي (شالوم شيمون)

كبير حاخات دهوك، الذي أخذ على عاتقه ترجمة بعض اسفار التوراة، وتدريسها للشيخ ابتداء من ١٩٢٠ لغاية ١٩٣٦م عندما هاجر الى فلسطين، وهذا ما بدا واضحاً في قول الباحث:" كان الشيخ محبا لليهود، وقد شعر بحزن عميق بسبب سفر الحاخام الى اسرائيل (= فلسطين)، ولانه لم يستطع مواصلة دراسته".

بعدها يشير الباحث الى حادثتين كانتا لها تأثير كبير في مشاعر الشيخ تجاه يهود، ففي الرواية الاولى التي جاءت بصيغة التمريض: "يقال ان ابن الشيخ عبيدالله المريض (نور محمد) أراد الصلح مع أعمامه الذي ابتعد عنهم بسبب بعض المنازعات، وفي ذات الوقت طلب الشيخ عبيدالله من الجالية اليهودية، وعبر خادمه (شابو شيمون) ان يقيموا الصلوات عسى الله ان يمن على ولده بالصحة، وبعد ذلك

بشهرين تم الصلح بمشاركة العديدين من الاعمام: الشيخ نوري (= ابن الشيخ عبدالجبار)، والشيخ عبد الرحمن الاتروشي، والشيخ محمد المماني، واحدى العمات مريم خاتون، وشارك في ذلك ايضاً الكاهن يوسف البهرو (= خوري كنيسة الانتقال الكلدانية في دهوك)، وامام دهوك (= الملا سعيد ياسين امام جامع دهوك الكبير)".

ويبدو من خلال النص ان الراوي اليهودي قد وضع امام جامع دهوك في المرتبة الاخيرة، وهذا يتأتى من خلال تكملة الرواية، والايحاء للقارىء بان العلاقة بين الشيخ عبيدالله وكبير علماء الاسلام في دهوك ليست على ما يرام " ان الشيخ عبيدالله قد تجادل مع أمام دهوك قبل شهرين من ذلك الحدث حول قيام الامام باثارة الناس ضد اليهود. ويعرض الحوار التالي كيف أن الشيخ عبيدالله قد دخل في جدال عنيف مع إمام دهوك حول (اركان الاسلام)، وأن الشيخ قد وعد بأن يدفع الامام مبلغ مائة دينار اذا ما اعد الاجابات خلال شهر واحد" ولكنه لم يستطع، فيجب عليه آنذاك أن يتوقف عن إثارة الناس ضد اليهود، ولا يتهمني اذا ما امرت باعدامه".

ويحاول الباحث تنبيه القارىء على مبلغ ايمان الشيخ بأن التوراة وما فيها دليل على تفوق الشعب اليهودي من خلال القول بأن الحبرين اليهوديين (شالوم) و (موشي مانواح) قد تمكنوا عن طريق الصلاة والتضرع الى الله والتطهير مع استخدام الاحجية والتعاويذ (= القبالا – التصوف اليهودي)،

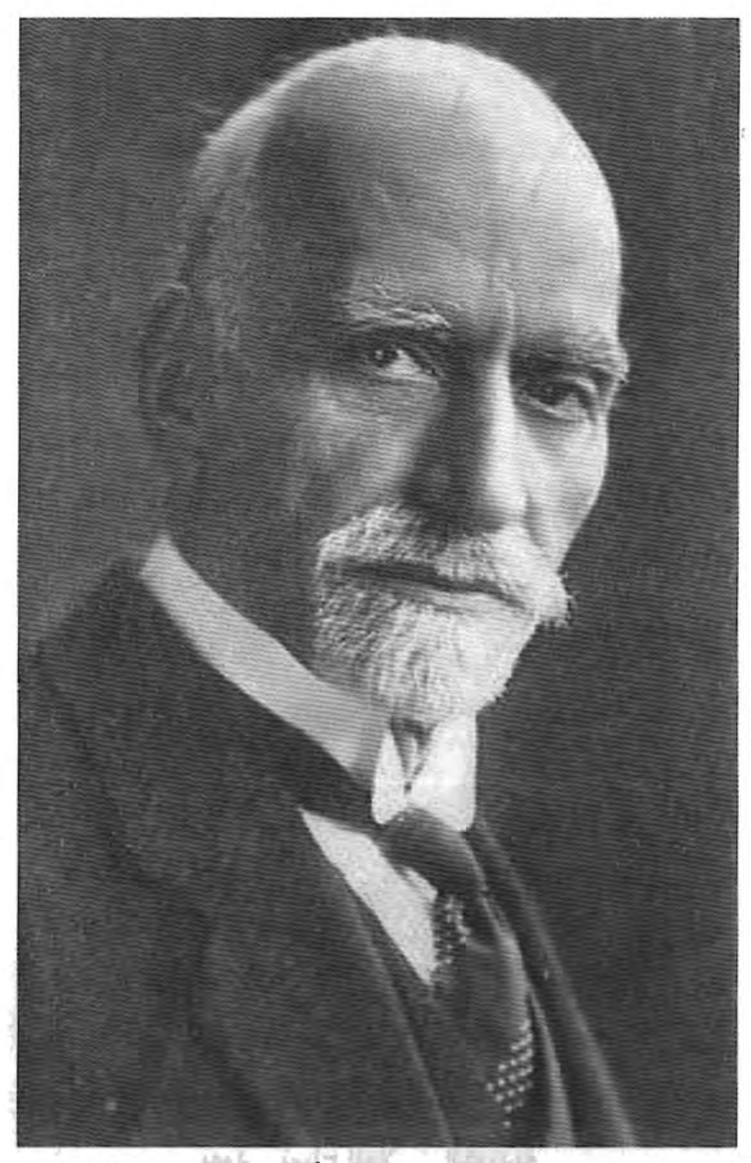
من إنزال المطر في فترة الجفاف، ومنع ضبعين من افتراس الجثث في مقبرة المسلمين، وهذا اكبر دليل على الدعاية لليهود ولليهودية من خلال روايات لا يمكن التكهن بمدى صحتها، لانها جاءت من مصدر واحد.

ومن خلال قراءة الكتاب بتأني ثبت بأن عدد اليهود الذين قتلوا على يد الكـورد لم يتجاوز الثلاثين شخصا خلال اكثر من قرن، ولو تم القيـاس بعـدد قتلـى الكـورد من المسلمين في الصراعات القبلية والجانبية لكان العدد كبيرا جدا، وهذا يدل علـى سماحة الكورد ورقي قيمهم واخلاقهم التي تربوا عليها، علما ان كـثيرا مـا يـذكر في الكتاب على لسان الرواة اليهود (الشهود الميدانيين) عار عن الصحة ورغم ذلك فقـد تم تدوين تلك المعلومات في الكتاب.

ملحق الصور



يهودي نساج للملابس الكوردية



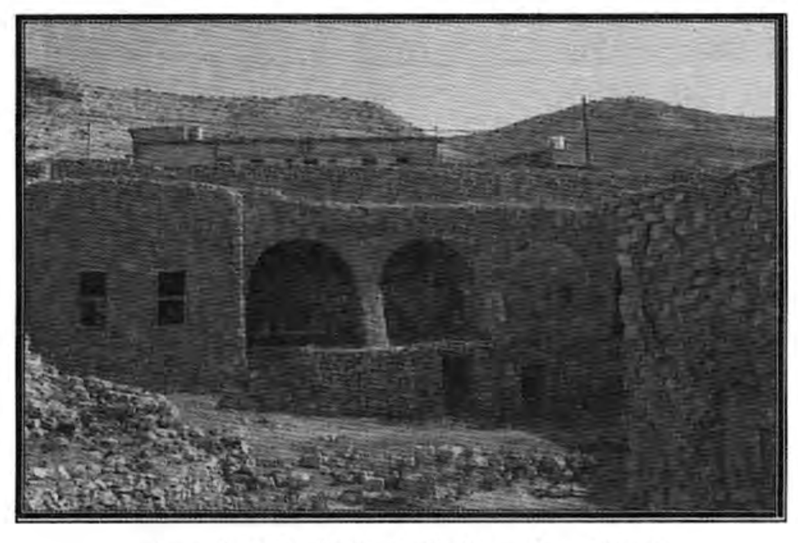
السير ساسون حسقيل اول يهودي يتبوأ منصب وزير مالية في العراق



المختار اليهودي لقرية سندور– دهوك



الملك فيصل الاول مع زعماء الطائفة اليهودية في العراق



قبر النبي ناحوم في القوش شمال شرق الموصل



بعض يهود قرية سندور –دهوك



قبر ستير وعمها مردخاي في مدينة همدان – ايران في القرن الرابع قبل الميلاد



سفرة لبعض يهود قرية سندور– دهوك ١٩٣٣



عائلة يهودية من قرية سندور – دهوك



لحظة وصول اليهود الكورد الى فلسطين



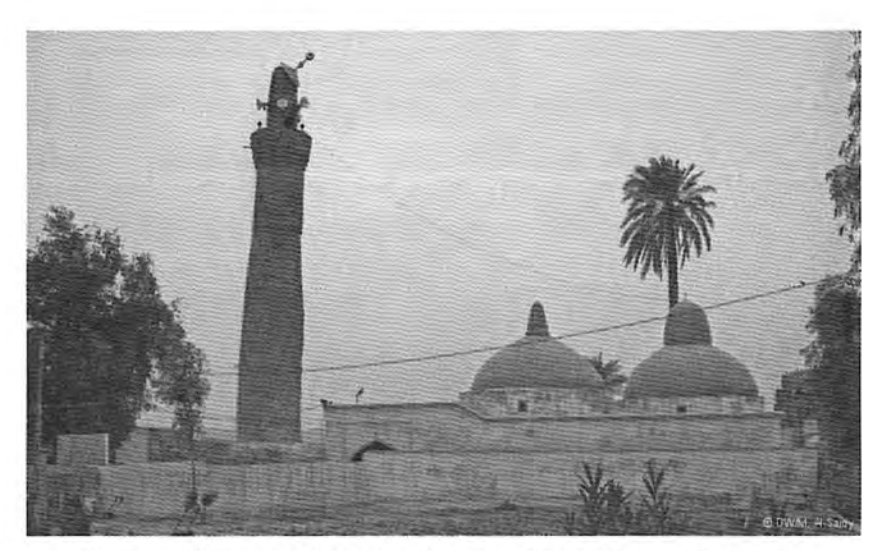
مرقد يُعتقد انه للنبي حنينة والذي يقع أيضا في قلعة كركوك القديمة بجوار مرقد النبى دانيال ومرقد النبى عزرا



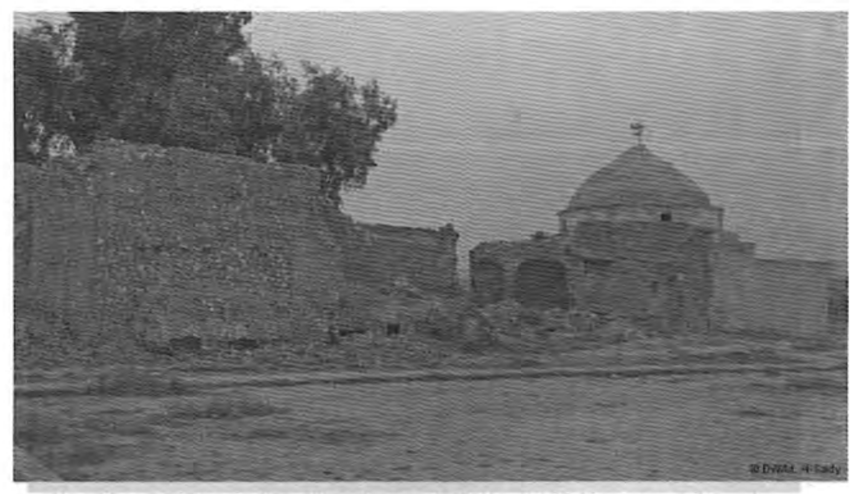
منظر من داخل قرية سندور– دهوك ١٩٣٣



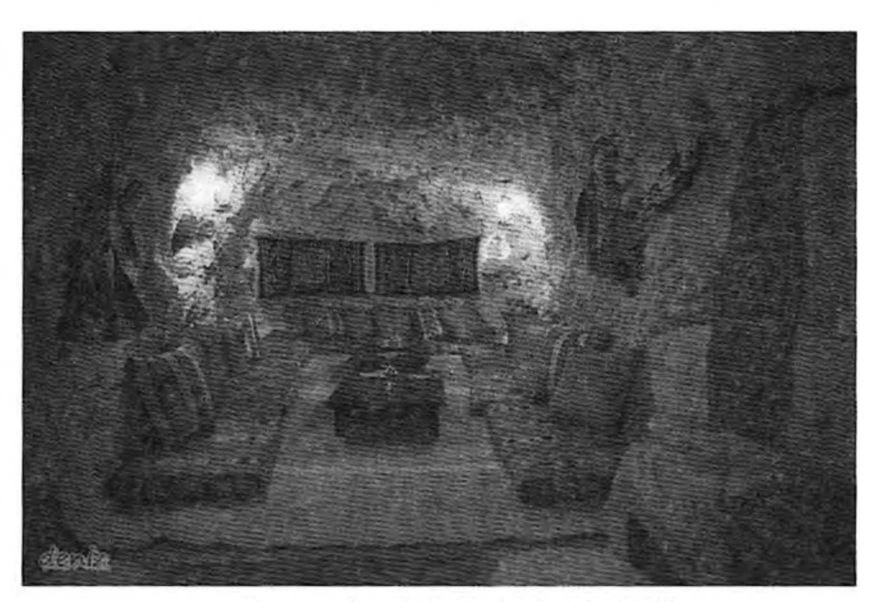
مزارع يهودي من قرية سندور–دهوك ١٩٤٢



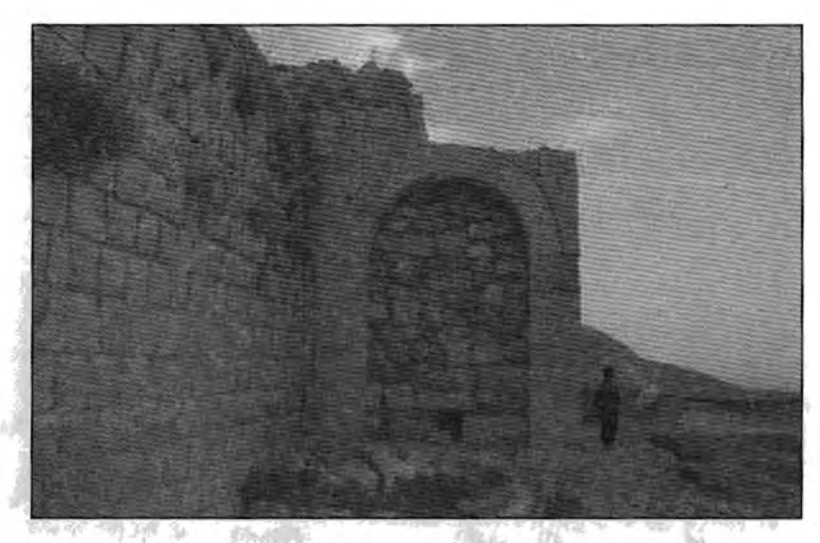
مسجد اسلامي في قلعة كركوك– يعتقد اليهود انه ضريح النبي دانيال



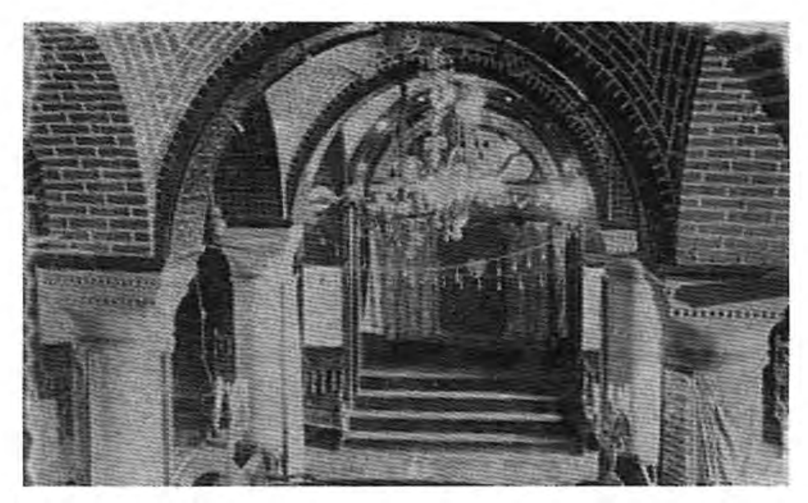
مسجد اسلامي في قلعة كركوك يعتقد اليهود انه قبر النبي عزير



مكان استراحة زوار قبر النبي ناحوم – القوش



منظر جانبي لقبر النبي ناحوم في القوش



منظر داخلي لكنيس يهودي



منظر لقرية سندور- دهوك

د. فرست مرعي



يتضمن هذا الكتاب عدة أبحاث ودراسات ومقالات تاريخية ودينية واجتماعية كتبت في حقب متباعدة حول يهود كوردستان والعراق، بهدف القاء الضوء على الجذور التاريخية لليهود الكورد وكيفية استقرارهم في جبال ووديان كوردستان بعد قضاء الآشوريين بقيادة ملكهم سرجون الثاني على المملكة الإسرائيلية (الشمالية) واحتلال عاصمتها (شكيم ـ يونو بوليس ـ نابلس) عام ٧٢١ – ٧٢٢ ق.م و سبي سكانها اليهود الى ضفاف نهر البليخ والخابور في شمال سوريا الى جبال ميديا (كوردستان الحالية).



ڕێڤەبەریا چاپ و بەلاڤكرنێ ـ دهۆك
ژمارا سپاردنێ 2126 79 2013

چاپخانا پارێزگەها دهوكێ
CAPXANA PARÊZGEHA DUHOKÊ